حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به ـ العدد التاسع ـ شوال ١٤٤٠هـ / حزيران ٢٠١٩م

باب الثعبان - مسجد الكوفة المعظم

٩

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد محمد مجيد الموسوي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

القضاء في الكوفة
النشأة والتطور
دراسة تاريخية
(١٧-١٣٢هـ/٦٣٨-٧٤٩م)
(القسم الثاني)

الدكتور محمود شاكر مشعان

جامعة الكوفة - كلية الآداب - قسم التاريخ

تتمة المنشور في العدد السابق

الفصل الثّاني
العلاقات الإدارية لقضاة الكوفة

المبحث الأوّل
علاقة قضاة الكوفة بالخلافة

اختلفت طبيعة العلاقة بين قضاة الكوفة والخلفاء الرّاشدين بحسب سياسة كلّ خليفة، ففي خلافة عمر بن الخطاب «١٣-٢٣هـ/٦٣٤- ٦٤٣م»، الّتي تميزت بالمركزية باختيار تعيين الولاة والقضاة والتّدبير فكان يقول: «لأنزعنّ فلاناً»[١] وكان الخليفة عمر بن الخطاب إذا استعمل عاملاً كتب له عهداً وأشهد عليه رهطاً من الصّحابة من المهاجرين والأنصار واشترط عليه أن لا يركب برذوناً[٢] ولا يأكل ما لا يقدر عليه أوساط رعيته ولا يلبس رقيقاً ولا يتخذ حاجباً ببابه دون النّاس يحجبه عنهم[٣].

وكان الاختيار إلا أعلم الصّحابة في معرفة كتاب الله وسنة رسول الله [استناداً إلى قول الرّسول]: «من استعمل عاملاً من المسلمين وهو يعلم أنّ فيهم من هو أولى بذلك منه وأعلم بكتاب الله وسنة نبيه فقد خان الله ورسوله»[٤].

وكان الخليفة عمر بن الخطاب حين يعين العامل غالباً ما يقول: «أيّها النّاس إنا لا نبعثكم أمراء جبارين ولكنا نبعثكم أئمّة هدى يقتدي بكم فادروا على المسلمين لفتحهم ولا تضربوهم فتذلوهم ولا تستأثروا عليهم فتظلموهم ولا تجهلوا عليهم فتحرجوهم وقاتلوا الكفار بهم فإذا رأيتم بهم كلالاً فكفوهم فإنّه أبلغ في جهاد عدوكم»[٥].

أمّا سيرة الخليفة عمر بن الخطاب فلا يسعنا إلا الثّناء عليها إذ لم يكن الوالي في رأيه إلا فرداً كغيره من الأفراد يجري عليه حكم العدل كما يجري علي جميع الأفراد الآخرين فكان إذا شكا العامل أنّه أحقر الرّعية جره إلى المحاكمة، وهنا يقف الاثنان موقف المساواة مراعياً[٦] في ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[٧].

وعندما وجه الخليفة عمر بن الخطاب عبد الله بن مسعود إلى الكوفة قال: «إنّي وجهتك معلماً ليس لك سوط ولا عصا فاقتصر على كتاب الله فإنّه كفاك وإيّاهم ولا تقبل الهدية وليست بحرام ولكن أخاف عليك القالة»[٨].

وعن عامر الشّعبي، قال كتب عمر بن الخطاب إلى شريح الكندي قاضي الكوفة قائلاً: «ما في كتاب الله وقضاء النّبي [فاقض فإذا أتاك ما ليس في كتاب الله ولم يقض به النّبي] فما قضى به أئمّة العدل فأنت بالخيارات إن شئت أن تجتهد رأيك وإن شئت تؤامرني ولا أرى في مؤامرتك إيّاي إلا أسلم لك»[٩].

وأيضاً مما يؤكد العلاقة القوية بين القاضي والخلافة فضلاً عن أهمية القضاء وهيبته واستقلاليته عن بقية الأعمال كتب الخليفة عمر بن الخطاب مؤكداً على شريح الكندي قال فيه:

(١) وكيع، أخبار القضاة، ٢٧٠/١.

(٢) برذوناً: الدّابة معروفة وسيرته البرذنة والأنثى برذونة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة «برذن»، ٦٤٧/٧.

(٣) ينظر: الطّبري، تاريخ، ٢٧٦/٣، مسكويه، أبو علي أحمد بن محمّد الرّازي، «ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م»، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم إمامي، دار سروش للطباعة والنّشر، ط٢، «طهران، ١٣٧٩هـ»، ٤١٣/١.

(٤) البيهقي: السّنن الكبرى، ١١٨/١٢، السّرخسي، المبسوط، ١١٠/١٦.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ٦٨/١، الخضري، تاريخ الأمم الإسلامية، ص١٢، الشّويلي، عصام كاطع داود، القضاء في البصرة، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية التّربية جامعة البصرة، «١٤١٩هـ/١٩٩٩م»، ص٧٥.

(٦) ينظر: الطّبري، تاريخ، ٢٧٣/٣، مشرف، القضاء في الإسلام، ص١٠٠.

(٧) سورة الحجرات، الآية/١٣.

(٨) وكيع، أخبار القضاة، ١٨٩/٢.

(٩) المصدر نفسه، ١٣٩/٢.

«لا تشار ولا تضار ولا تشتر ولا تبع ولا ترتش»[1].

وقد سن الخليفة عمر بن الخطاب للقضاة دستوراً يسيرون على هديه في الأحكام ويعد هذا الكتاب أساس علم التّرافع[2] في القضاء وبعث بهذا إلى أبي موسى الأشعري وإلى غيره من القضاة[3].

وأهم ما جاء فيه: «بسم الله الرّحمن الرّحيم، أمّا بعد فإنّ القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أدلي إليك فإنّه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له آسِ بين النّاس في مجلسك ووجهك حتّى لا يطمع شريف في حيفك ويخاف ضعيف من جورك البيّنة على من ادعى واليمين على من أنكر والصّلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً حرم حلالاً أو أحل حراماً ولا يمنعنك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه إلى حق فإنّ الحق قديم ومراجعة الحق خير من التّمادي في الباطل الفهم فيما تلجلج في صدرك مما لم يبلغك في كتاب الله ولا سنة النّبي [أعرف الأمثال والأشباه وقس الأمور عند ذلك ثمّ اعمد إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى واجعل للمدعي حقاً غائباً أو بينة أمداً ينتهي إليه فإن أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا وجهت عليه القضاء فإنّ ذلك أنفى للشك وأجلى للعمى وأبلغ في العذر، المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد أو مجرباً عليه شهادة زور أو ظنيناً في ولاء أو قرابة فإنّ الله قد تولى منكم السّرائر ودرأ عنكم بالشّبهات، ثمّ إيّاك والقلق والضّجر والتّأذي بالنّاس والتّنكر للخصوم في مواطن الحق الّتي يوجب الله بها الأجر»[4].

ويتضح لنا من خلال ما جاء في هذه الرّسالة من نظم قضائية وإجراءات حكيمة وواضحة حظيت بشهرة واسعة واهتمام كبير حتّى سماها بعض المنصفين كتاب سياسة القضاة تلقاه القضاة بالقبول وبنوا أصول الحكم والشّهادة لأنّها أوضحت نظرية القضاء وضوابط الشّهادة في سبيل الوصول إلى إصدار الحكم وتنفيذه.

وأجاز الخليفة عمر بن الخطاب في رسالته الصّلح لقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما**﴾[5]، واعتماداً على قول الرّسول: «الصّلح جائز بين المسلمين»[6].

(١) المصدر نفسه، ١٩٠/٢.

(٢) التّرافع: التّخاصم والتّحاكم، الغديري، القاموس الجامع للمصطلحات الفقهية، ٧٣/١.

(٣) حسن، تاريخ الإسلام السّياسي والدّيني، ٤٨٦/١.

(٤) الجاحظ، البيان والتّبيين، ٤٩/٢، ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٦٦/١، وكيع، أخبار القضاة، ٢٨٣/١- ٢٨٤، الخصاف، أدب القاضي، ص٢١٣.

(٥) سورة الحجرات، الآية/٩.

(٦) النّيسابوري، المستدرك على الصّحيحين، ١١٣/٤.

وكان الخليفة على صلة دائمة مع الولاة والقضاة، إذ كان يلتقيهم في موسم الحج ويسائلهم عن أعمالهم، وفي الوقت نفسه يسائلهم النّاس عن ذلك للتأكد من دقة القيام بواجباتهم لذلك أكد ضرورة العدالة في عملهم، فكان اختيار القضاة موفقاً إذ عملوا بصورة مستقلة برأيهم في حدود كتاب الله وسنة رسول الله[7].

ويبدو لنا من تلك الرّسائل الّتي جرت بين الخليفة عمر بن الخطاب والقضاة حول كثير من القضايا وشؤون الرّعية الّتي سعى الخليفة إلى المحافظة عليها أنّها دليل على المكانة الّتي كان يتمتع بها.. القضاة في الدّولة العربية الإسلامية في صدر الإسلام.

وفي خلافة عثمان بن عفان «٢٤- ٣٥هـ/٦٤٤- ٦٥٥م»[8]، كتب إلى عمّاله: «أمّا بعد، فإنّ الله أمر الأئمّة أن يكونوا رعاة، ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة وإنّ صدر هذه الأمة خلقوا رعاة ولم يخلقوا جباة وليوشكن أئمّتكم أن يصيروا جباة ولا يكونوا رعاة، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء إلا وأنّ السّيرة أن تنظروا في أمور المسلمين وفيما عليهم فتعطوهم ما لهم، وتأخذوهم بما عليهم ثم تثنوا بالذّمة الّذي لهم وتأخذوهم بالّذي عليهم ثمّ العدو الّذي تنتابون واستفتحوا عليهم»[9].

وبسبب اختلاف الأمور عما كانت عليه في خلافة الخليفة عمر بن الخطاب حكم عثمان أثني عشر سنة، فمكث ست سنين النّاس راضون عنه، وأنّه لأحب إلى قريش من الخليفة عمر بن الخطاب لشدة عمر ولين عثمان لهم ورفقته بهم ثمّ توانى في أمورهم واستعمل أقاربه وأهل بيته في السّت الأواخر، وتأويل في ذلك الصّلة الّتي أمر الله بها فأنكر النّاس ذلك عليه[10].

أوصى الخليفة عمر بن الخطاب أن يقرر عماله أنّ ولي الأمر سعد بن أبي وقاص الّذي مارس القضاء إلى جانب قيادة الجيش ثمّ عزله، فلما ولي عثمان الخلافة ولى أخاه[11] وولى أخاه لأمّه الوليد بن عقبة بن المعيط بن أبي عمرو بن أمية[12]،

(٧) ينظر: الطّبري، تاريخ، ٢٩١/٣، هيكل، محمّد حسنين، الفاروق عمر بن الخطاب، «القاهرة، ١٩٤٥م»، ٢٢٣/١- ٢٢٥.

(٨) ينظر: اليعقوبي، تاريخ، ١١٢/٢، ابن الأثير، الكامل، ٤١/٣، زامباور، معجم الأنساب والأسرات، ٦٧/١.

(٩) الطّبري، تاريخ، ٣٠٦/٣، المسعودي، مروج الذّهب، ٢٣٠/٣، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حققه: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، «بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م»، ٢٣٠/٣.

(١٠) ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ١٣٣/٦، الطّبري، تاريخ، ٤٢٩/٣.

(١١) ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ١٣٨/٦، ابن الأثير، الكامل، ٤٢/٣.

(١٢) ينظر: الأصفهاني، الأغاني، ٢٥/١، اليعقوبي، تاريخ، ١١٤/٢، الطّوسي، الأمالي، تحقيق: قسم الدّراسات الإسلامية، دار الثّقافة للطباعة والنّشر والتّوزيع، «قم، ١٤١٤هـ»، ص١٧٦.

فقال النّاس في الكوفة بئسما ابتدلنا عثمان عزل أبا إسحاق الهين اللين صاحب رسول الله [وولى أخاه][١]، فقال له الإمام علي(عليه السلام) ألم يوصكَ الخليفة عمر بن الخطاب ألا تحمل آل أبي معيط وبني أميةَ على رقاب النّاس فلم يجب[٢].

تحدث عبد الله بن مسعود قاضي الكوفة عن تعيين الوليد قائلاً: «من غير الله ما به ومن بدل أسخط وما أرى صاحبكم إلا قد غير وبدل أيعزل مثل سعد بن أبي وقاص ويولي الوليد بن المعيط»[٣]، ثمّ قال عبد الله بن مسعود: «أصدق القول كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمّد وشر الأمور محدثاتها وكلّ محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النّار»[٤]، فكتب الوليد إلى الخليفة عثمان بن عفان فطلب عبد الله بن مسعود فعندما دخل المدينة يخطب على منبر رسول الله [فلما رآه قال: إلا أنّه قدمت عليكم دويبة[٥] سوء من تمشي على طعامه يقيء ويسلج[٦]، فقال عبد الله بن مسعود لست كذلك ولكني صاحب رسول الله [يوم بدر ويوم بيعة الرّضوان فأخرجه من المسجد إخراجاً عنيفاً وضرب به الأرض، فقال الإمام علي(عليه السلام) يا عثمان أتفعل هذا بصاحب رسول الله بقول الوليد بن عقبة فقام علي(عليه السلام) بأمر ابن مسعود حتّى أتى به منزله فأقام بالمدينة لا يأذن له عثمان في الخروج[٧]، حتّى إنّ السّيدة عائشة زوج الرّسول [كانت أشد نساء النّبي] إنكاراً على عثمان لم تتحرج من أن تصيح به من وراء سترها وهو على المنبر حين عاب على عبد الله بن مسعود قاضي الكوفة وصاحب رسول الله فأسرف في عيبه ولم تكن تتحفظ من الاعتراض على كثير من أعمال عثمان ومن سيرة عماله[٨].

وقد نصح الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) الخليفة عثمان قائلاً: «يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم فيدوركما تدور الرّحى ثمّ يرتطم في غمرة جهنم وإنّي أحذرك الله وأحذرك سطوته وانتقامه فإنّ عذابه شديد أليم وأحذرك أن تكون أمام هذه الأمة المقتول فإنّه يقال يقتل في هذه الأمة الإمام فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة وتلبس أمورها عليها ويتركهم شيعاً فلا يبصرون الحق لعلو الباطل يموجون فيها موجاً ويموجون فيها حرجاً»[٩].

استشهد عثمان بن عفان سنة «٣٥هـ/٦٥٥م»[١٠]، ويتضح لنا من خلال ما جاء من هذا الحادث قوة القضاء في الخلافة الرّاشدة إذ إنّ القاضي عبد الله بن مسعود اعترض على الخليفة على تعيين الوليد بن المعيط لأنّه رأى أنه لا يستطيع أن يحق العدل والمساواة بين المسلمين بالرّغم من إبعاده عن الكوفة، لأنّه كان يرى في القضاء أنه واجب شرعي، وإنّ الخليفة عثمان تجاوز على وصية الخليفة عمر بن الخطاب في عدم تعيين آل المعيط وتسلطهم على رقاب المسلمين وهو يعرف جيداً ماضيهم وحاضرهم.

ولما بويع الإمام علي(عليه السلام) بالخلافة «٣٥- ٤٠هـ/٦٥٥-٦٦٠م»[١١] دعا إلى حسن التّعامل والرّفق بالرّعية فقد تابع القضاة وكان الإمام علي(عليه السلام) يؤكد حسن معاملة النّاس قائلاً: «من عامل النّاس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم كان ممن حرمت غيبته وكملت مروءته وظهر عدله»[١٢].

وجه الخليفة علي بن أبي طالب(عليه السلام) إلى شريح الكندي قاضي الكوفة كلاماً قال فيه: «يا شريح قد جلست مجلساً لا يجلسه إلا نبي أو وصي أو شقي»[١٣].

وفي وصية أخرى قال: «انظر إلى أهل المعك[١٤] والمطل[١٥] في دفع حقوق النّاس من أهل المقدرة واليسار ممن يدلي بأموال النّاس إلى الحكام فخذ للناس بحقوقهم»[١٦]،

(١) ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ١٣٩/٦، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٧٠/٦.

(٢) ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ١٣٩/٦.

(٣) أبو مخنف: لوط بن يحيى بن سعد الغامدي الأزدي الكوفي، «ت ١٧٥هـ/٧٧٤م»، نصوص من تاريخ أبي مخنف، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، مطبعة المحجة، «بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م»، ٧٢/١.

(٤) أبو مخنف، تاريخ ٧٢/١، الجاحظ، البيان والتّبيين، ٥٦/٢.

(٥) دويبة: تصغير الدّابة الباء ساكنة وفيها شمام من الكسر وكذلك ياء التّصغير إذا جاء بعدها حرف مثقل في كلّ شيء وهي تدب في المشي ولا تسرع، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة دب، ٣٤١/١.

(٦) يسلج: يفرغ الفضلات من المعدة، ابن منظور، لسان العرب، مادة سلج، ٩١/٢.

(٧) ينظر: أبو مخنف، تاريخ، ٧٢/١، اليعقوبي، تاريخ، ١١٨/٢، البلاذري، أنساب الأشراف، ١٤٦/٦، الشّهرستاني، الملل والنّحل، ص٢٢٧.

(٨) ينظر: اليعقوبي، تاريخ، ١١٨/٢، البلاذري، أنساب الأشراف، ١٤٦/٦.

(٩) اليعقوبي، تاريخ، ١١٨/٢، الطّبري، تاريخ، ٣٧٦/٣، خالد، محمّد خالد، رجال حول الرّسول، «بيروت، ١٩٧٣م»، ص٢٢٧.

(١٠) ينظر: ابن خياط، تاريخ، ص١٨١.

(١١) ينظر: المسعودي، مروج الذّهب، ٣٣٨/٢، ابن الأثير الكامل، ٩٠/٣، زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ٦٧/١.

(١٢) علي، محمّد كرد، الإدارة الإسلامية في عز العرب، مطبعة مصر «القاهرة، ١٩٣٤م»، ص٥٨- ٥٩.

(١٣) النّجفي، جواهر الكلام، ١٧/٤٠.

(١٤) المعك: رجل لكنه رجل سوء، وفي حديث شريح طرف من الظّلم، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة «معك»، ٩٨/٦.

(١٥) المطل: التّسويف والمدافعة بالعدة والدّين والليانة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة «مطل»، ٦٩٢/٦.

(١٦) بحر العلوم، القضاء الشّرعي، ١٩٨/٢.

استناداً لقوله تعالى: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ وَتُدْلُوا بِها إِلَى الْحُكّامِ﴾[1].

يتضح لنا من خلال وصية الإمام علي(عليه السلام) لشريح أثر القاضي في الدّولة الإسلامية لأنّ التّمييز بين الحق والباطل عمل شاق وصعب وليس بالأمر الهين وأنّ عملية معرفة حجج الخصوم بعضها على بعض الآخر عملية في غاية الدّقة والحساسية.

وعن الشّعبي قال: اشترى شريح داراً بثمانين ديناراً فبلغ ذلك علياً(عليه السلام) فاستدعاه فقال يا بن الحارث بلغني أنّك اشتريت دار بكذا وكذا وأشهدت على نفسك شهوداً وكتبت كتاباً فقال قد كان ذلك يا أمير المؤمنين فنظر إليه نظرة المغضب ثم قال: «ويسلمك إلى قرارك خالصاً فاحذر أن تكون ابتعت هذا الدّار من غير مالك أو دفعت الثّمن من غير حلالك فإذا أنت قد خسرت دار الدّنيا ودار الآخرة، أمّا إنّك لو أتيتني عند شرائك ما اشتريت لكتبت لك كتاباً على هذه النّسخة فلم ترغب في شراء هذه الدّار بدرهم فما فوق والنّسخة: هذا ما اشترى عبد ذليل من عبد قد أزعج للرحيل، اشترى منه داراً من دار الغرور من جانب الفانين، وخطة الهالكين، ويجمع هذه الدّار أربعة: الحد الأوّل ينتهي إلى دواعي الآفات، الحد الثّاني ينتهي إلى دواعي المصيبات والحد الثّالث ينتهي إلى الهوى المردي والحد الرّابع ينتهي إلى الشّيطان المغوي وفيه يشرع باب هذا الدّار اشترى هذا المغتر بالأمل من هذا المزعج بالأجل هذه الدّار بالخروج من عز القناعة والدّخول في ذلّ الطّلب والضّراعة، فما أدرك هذا المشتري فيما اشترى من درك فعلى مبلبل أجسام الملوك وسالب نفوس الجبابرة، وميل ملك الفراعنة مثل كسرى وقيصر، وتبع وحمير، ومن جمع المال على المال فأكثر وبنى وشيد وزخرف ونجد وادخر، واعتقد ونظر بزعمه للولد أشخاصهم جميعاً إلى موقف العرض والحساب وموضع الثّواب والعقاب، إذا وقع الأمر بفصل القضاء»[2]، إذ قال تعالى: ﴿وَخَسِرَ هُنالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾[3]، شهد على ذلك العقل أ سر الهوى وسلم من علائق الدّنيا[4].

وكان القضاة في العصر الأموي من خيرة النّاس يخشون الله ويحكمون بين النّاس بالعدل وعلى الرّغم من أنّهم كانوا مستقلين في أحكامهم كان الخلفاء يراقبون حكامهم ويعزلون من يشذ منهم عن طريق العدل[5]، وكانوا تحت إشراف الخليفة مباشرة وخاصة الأمراء الّذين أوكل لهم تعيين القضاة[6].

ومن تتبعنا لسير الحوادث اتضح لنا إن هذا الأمر لم يستمر طويلاً نظراً للتغيرات السّياسية الّتي حدثت في الكوفة وشعور السّلطة الأموية بأنّ الكوفة هي المعارضة لحكمهم ومركز المؤيدين للعلويين، فجعل خلفاء بني أمية يعينون ولاة أقوياء سيطروا على مقاليد الأمور واضعفوا القضاء حفاظاً على السّلطة، حتّى لو أدى ذلك إلى ظلم النّاس، كما سنرى في هذه الرّسالة، ولأنّ الخليفة رئيسٌ والقاضي مرؤوسٌ، حتم ذلك على القاضي طاعة الخليفة وتنفيذ أوامره، والخلفاء هم أكثر من يعي دور القاضي ويعي طبيعة العمل الموكل إليه ومدى تأثيره في عامة النّاس[7]، لهذا السّبب حاولوا فرض القيود وذلك لما يتطلبه الظّرف السّياسي.

العصر الأموي:

وفي خلافة معاوية بن أبي سفيان «٤١- ٦٠هـ/٦٦١-٦٧٩م»[8]، اهتم بتنظيم الدّولة وإدارتها وقد عرف عنه الدّهاء والتّدبير وقد سار معاوية على أصول السّابقين في الإدارة فكان يفضّ مشاكله بالحسنى في بعض الأحيان وهو الّذي قال: «لا أضع سيفي حيث يكفني سوطي ولا أضع سوطي حيث يكفني لساني، ولو أن بيني وبين النّاس شعرة ما انقطعت»[9]، ويقول: «إنّي لأستحي إن أظلم من لا يجد عليّ ناصراً إلا الله»[10]، واستعمل معاوية النعمان بن بشير[11] على الكوفة فكتب إليه أنّ يزيد لأهل الكوفة في عطائهم زيادة عشرة دنانير فكان ينفذ بعضاً ويقول: «أنا قفل مفتاحه بالشّام»[12].

وهذا دليل على تبعية القاضي والوالي السّياسية لمعاوية، فكان ينفذ بعضها أي يمنحها إلى الموالي إلى السّلطة ويمنعها عن المخالفين للسلطة، لذا أصبح القضاء غير قادر على تحقيق مبادئ العدالة وكان هدف السّلطة شراء الذّمم وإكرام المؤيدين لهم.

(١) سورة البقرة، الآية/١٨٨.
(٢) محمد عبدة، شرح نهج البلاغة، ٣٢٠/٣، ينظر: ابن الجوزي، تذكرة الحفاظ، ١٥٨- ١٥٩.
(٣) سورة غافر، الاية/٧٨.
(٤) عبدة، شرح نهج البلاغة، ٣٢٠/٣، ابن الجوزي، تذكرة الحفاظ، ١٥٩/٥٨.
(٥) ينظر: الكندي، القضاة والولاة، ص٢٤٣، حسن تاريخ الإسلام، ٤٨٨/١.
(٦) ينظر: المسعودي، مروج الذّهب، ٢٥٣/٢.
(٧) ينظر: ابن فرحون، تبصرة الحكام، ٥/١.
(٨) ينظر: اليعقوبي، تاريخ، ١٥٠/٢، ابن الأثير، الكامل، ٢٣٠/٣، معجم زامباور، الأسرات الحاكمة، ٦٧/١.
(٩) اليعقوبي، تاريخ، ١٦٦/٢، ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٩/١، جاسم، القضاء الأموي، ص٦٢.
(١٠) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٧٥/١- ٧٦.
(١١) النّعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة أبو عبد الله، ويقال أبو محمّد الأنصاري الخزرجي ابن أخت عبد الله بن رواحة ولد، «٢هـ/٦٢٣م»، وحفظ عن النّبي أحاديث قتل بقرية بيرين سنة «٦٤هـ/٦٨٣م»، ابن سعد، الطّبقات، ٢٢/٦، ابن خياط، تاريخ، ص٦٥، الذّهبي، تاريخ الإسلام، ٢٢٦٠/٣، ابن خلدون، العبر، ٢٩١/٥.
(١٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ٢٢/٥.

وفي خلافة عبد الملك بن مروان «٦٥- ٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م»[١]، عدّ القضاء من أهم الوظائف الإدارية فقد أخذ عبد الملك ينظر إلى القضاء نظرة خاص مبنية على عدم التّدخل في شؤونهم وأحكامهم وقد تجلى بالقضاء حيث أوجب أن تقرأ عهود القضاة أي أوامر التعيين في المسجد أولاً ثم يتوجهون إلى دار الأمير حيث يتلى أمامه عند تولية القاضي[٢] وهذا تطور في النّظام القضائي في عهد عبد الملك إذ أصبح أولاً: هناك مراسيم للتعيين، وثانياً: قراءة عهود القضاة في المسجد، فكان الخليفة عبد الملك يعرف أخبار الأمصار ومنها الكوفة عن طريق البريد الّذي عرف عنه بعمله المنتظم، فكانت تصل إليه أخبار ورسائل من جميع أنحاء الدّولة الإسلامية وفي نفس الوقت يبعث برسائله إلى عماله بصورة مستمرة[٣].

يقول المسعودي: لما أفضى الأمر إلى عبد الملك بن مروان تاقت نفسه إلى محادثة الرّجال والإشراف على أخبار النّاس فلم يجد من يصلح لنادمته غير عامر الشّعبي قاضي الكوفة فلما حمل إليه ونادمه وحظي عنده باحترام وقال له: «يا شعبي لا تساعدني على ما قبح ولا ترد عليّ الخطأ في مجلسي ولا تكفني جواب التّشميت والتّهيئة ولا جواب السّؤال التّعزية، ودع عنك كيف أصبح الأمير وكيف أمسى وكلمني بقدر ما استطعمك واجعل بدل المدح صواب والاستماع مني واعلم أنّ صواب الاستماع أقل من صواب القول وإذا سمعتني أحدث فلا يفوتنك منه شيء»[٤].

ومما يدل على أنّ القاضي الشّعبي كان محباً للخليفة ومعجباً به، فقد وجهه عبد الملك رسولاً إلى ملك الرّوم فلما رجع قال: يا شعبي أتدري ما كتب إليّ ملك الرّوم قال: «وماذا كتب، قال: كتب العجب لأهل دينك كيف لم يستخلفوا رسولك؟ فقلت يا أمير المؤمنين لأنّه رآني وما رآك، فقال: الخليفة عبد الملك له إنّما أراد أن يغريني بك لأقتلك فبلغ ذلك ملك الرّوم فقال ما أردت إلا ذلك»[٥].

وقال الشّعبي مادحاً عبد الملك بن مروان: «ما ذكرت أحداً إلا وجدت لي الفضل عليه إلا عبد الملك فإنّي ما ذكرته حديثاً إلا زادني فيه ولا شعراً إلا زادني فيه»[٦]، ﴿**لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾[٧].

عبد الملك بن مروان بعد أن طابت نفسه منه دخل عليه قال: جنبني خصال أربع لا تطريني في وجهي ولا تجرين على كذبة ولا تغتب عندي أحداً ولا تفش لي سراً[٨]، قال رسول الله: «استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان فإنّ كلّ ذي نعمة محسود»[٩].

يبدو مما تقدم أنّ قاضي الكوفة الشّعبي أصبح أداة بيد عبد الملك بحيث تحوّل من قاضٍ لشؤون المسلمين إلى قاضي السّلطة، فضلاً عن تدخله في الأمور السّياسية لصالح طرق على حساب الطّرق الأخرى دون مراعاة من هو المحق من المبطل ومن هو يخدم شؤون المسلمين في تحقيق العدالة في أبسط صورها إلى المسلمين في عموم الدّولة الإسلامية.

وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف وإليه جنبني دماء بني عبد المطلب فليس فيها شفاء من الطّلب وإنّي رأيت الملك استوحش من آل حرب حين سفكوا دماءهم فكان الحجاج يتجنبها خوفاً من زوال الملك لا خوفاً من الخالق[١٠]، ويكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف يحذره على تجاوزه على أنس بن مالك في كتاب جاء فيه: «أمّا بعد فإنّك عبد قد طمت به الأمور حتّى عدوت طورك لقد هممت أن أضغمك ضغمة كبعض ضغمات الليوث الثّعالب[١١] وأخبطك خبطة تود أنّك زاحمت مخرجك من بطن أمّك، قد بلغني ما كان منك إلى أنس بن مالك وأظنك أردت أن تخبر أمير المؤمنين فإن كان عنده غيره ولا مضيت قدماً فلعنة الله عليك أخفش العينين[١٢]، فإذا أتاك كتابي فالق أنس بن مالك في منزله واعتذر إليه ولن تخفي أمير المؤمنين نبؤك»[١٣].

(١) اليعقوبي، تاريخ، ١٨٨/٢، ابن الأثير، الكامل، ٣٤٧/٣، الأنساب والأسرات الحاكمة، ٦٦/١.

(٢) بنظر: محمّد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، مطبعة لجنة التّأليف والنّشر، «القاهرة، ١٩٦٨م»، ص١٦٩.

(٣) الرّيس محمّد صفاء الدّين، عبد الملك والدّولة الأموية، ط٢، «القاهرة، ١٩٦٩م»، ص٢٣٩.

(٤) مروج الذّهب، ٢٩٢/٣.

(٥) ابن الجوزي، تذكرة الحفاظ، ٨٥/٢، ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشّافعي، «ت ٥٧١هـ/١١٧٥م»، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدّين أبي سعيد، دار الفكر للطباعة والنّشر، «بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م»، ١٤٨/٧- ١٤٩، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٠/٣.

(٦) عبد القادر أفندي بدران، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، تحقيق: الشّيخ عبد القاهر، مطبعة دار المسيرة، «بيروت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م»، ١٤٨/٧، ابن الأثير، الكامل، ١٠٤/٤، ابن الطقطقي، محمّد بن علي بن طباطبا، «ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م»، الفخري في الآداب السّلطانية والدّولة الإسلامية، مطبعة أيسر «طهران، ١٤١٤هـ»، ص١٢٤.

(٧) سورة الأنعام، الآية/٦٧.

(٨) الجاحظ، المحاسن والأضداد، مطبعة الجنوبي، «بيروت، د. ت»، ص٢٤.

(٩) الإحسائي، ابن أبي جمهور، «٨٨٠هـ/١٤٧٥م»، عوالي اللآلي في الأحاديث الدّينية، تحقيق: السّيد المرعشي ومجتبى العراقي، مطبعة سيد الشّهداء، «طهران، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م»، ٢٨٥/١.

(١٠) ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١١٧/٤، المسعودي، مروج الذّهب، ١٧٩/٣.

(١١) ضغمات الليوث الثّعالب: لأغمزنك كبعض غمزات الليوث الثّعالب وضغم: عض، ابن بكار، الزّبير، «٢٥٦هـ/٨٦٩م»، الأخبار الموفقيات، تحقيق: سامي مكي العاني، عالم الكتب، «بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م»، ص٢٧٤.

(١٢) أخفش العينين: الّذي في عينيه ضيق وضعف في البصر خلقه، ينظر: ابن منظور لسان العرب مادة «خفش»، ٢١٠/٧.

(١٣) ابن الأثير، الكامل، ٣٩/٤.

ذكر اليعقوبي أنّ الخليفة الوليد بن عبد الملك، «٨٦-٩٦هـ/٧٠٥- ٧١٤م»، كانت علاقته بعامله على العراق مقتصرة على الحجاج بن يوسف وجهوده في إدارة العراق والقضاء على أية حركة شأنها أن تعكر صفوة الحياة فيه[١].

ومن تتبعي لقضاة الكوفة في عهد الحجاج وجدتُ من القضاة الّذين تميزوا بالمعرفة القضائية -كما مرّ ذلك سابقاً- إلا أنّ الخليفة لم يعطهم صلاحيات كالّتي أعطاها إلى ولاتهم، لأنّ الخليفة كان همه السّيطرة على الحكم والقضاء على المعارضين من دون مراعاة تحقيق العدالة بين النّاس والاهتمام في شؤون الرّعية.

وتعدّ مدة خلافة عمر بن عبد العزيز: «٩٩- ١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م»[٢]، من ألمع مراحل الدّولة الأموية، فقد عرفت فيه صفات منها التّسامح وسعة الصّدر ورعاية أمور النّاس كافة دون استثناء فقد عرف عنه العدل في معادلة عماله ولا تأخذه في الله لومة لائم[٣]، وقد اهتم عمر بن عبد العزيز اهتماماً كبير بالقضاء لما يتميز به من إنصاف المظلومين، لذا أسند منصب القضاء إلى كبار الفقهاء وظل بعضهم قاضياً مدة طويلة[٤].

وكتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: «أنزل رعيتك بمنزلة ولدك فوقر كبيرهم وارحم صغيرهم وقوم ناسئهم»[٥].

ووجه الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرّحمن بن زيد بن الخطاب عامله على الكوفة «٩٩هـ/٧١٧م» يوصيه: اجتنب الأشغال عند حضور الصّلوات[٦] وأوصاه بأهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور في الأحكام وسنن سنها عليهم عمال السّوء وإنّ قوام الدّين وصلاح الرّعية العدل والإحسان فلا يكون شيء أهم إليك من نفسك حتّى توطنها بطاعة الله ولا تتخذ هدايا ولا دراهم[٧] وكان كثير التّوجيه إلى عماله قائلاً: «أمّا بعد فكان العباد قد عادوا إلى الله تعالى ثمّ ينبئهم بما عملوا ليجزي الّذين أساؤوا عما عملوا ويجزي الّذين أحسنوا بالحسنى وأوصيتك بتقوى الله فإنّه ذلك يدعوك إلى الزّهادة فيما زهدت»[٨].

وكان عمر بن عبد العزيز كثيراً ما يعبر عن أهمية العدل بقوله: «إنما هلك من كان قبلنا بحبسهم الحق يشري منهم وبسطهم الظّلم حتّى يفتدى منهم»[٩]، وكان يرى أيضاً أنّ القاضي ينبغي أن يكون فيه خمس خصال: العلم بما يتعلق به، والحلم عند الخصومة، والزّهد عند الطّمع، والاحتمال للأئمّة، والمشاورة لذوي العلم[١٠]، فضلاً عن العدل الّذي هو قبل أي شيء.

وقد كتب أحد عماله إليه يقول: «أمّا بعد فإنّ مدينتنا قد ضربت فإن رأى أمير المؤمنين أن يقطع لها مالاً يرممها به إن فعل»[١١]، فأجابه الخليفة عمر بن عبد العزيز: «أمّا بعد فقد فهمت كتابك وما ذكرت أنّ مدينتكم قد ضربت فإذا قرأت كتابي هذا فحصنها بالعدل والحق ونقِّ طرقها من الظّلم فإنّه حرمها والسّلام»[١٢].

اهتم عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل في شؤون المسلمين ومصالحهم وتحقيق العدالة بينهم من دون تمييز بين من هو معارض ومؤيد، بعيداً عن حب السّلطة، وكان محباً للآخرة زاهداً في الدّنيا يتابع عماله ومدى عدالتهم، وكان يقول: «الحجاج بن يوسف على العراق ومحمّد بن يوسف على اليمن امتلأت الأرض جوراً»[١٣]، ووجه رسالة إلى عبد الحميد والي الكوفة يوصيه بأنّ: «لا تولِّ بلالاً[١٤] من ولد أبي موسى الأشعري شيئاً، ويقال: أنّه كتب بليل الشّر، صغره»[١٥].

وهذا خير دليل على أنّ الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز كان يعرف بعض القضاة الّذين لا يقضون بالعدل والحق في شؤون المسلمون في خلافة من سبقه من خلفاء بني أمية إذ كان حذر أن يوليه شؤون المسلمين ومنهم بلال بن أبي موسى الّذي كان يحكم حسب ميوله الشّخصية ومحاباة الوالي.

وإذا أردنا أن نلتمس دليلاً على العلاقة الطّيبة بين الخليفة عمر بن عبد العزيز والقاضي فحسبنا أن نبين مدى تأثير

(١) ينظر: اليعوبي، تاريخ، ١٩٨/٢، ابن الأثير، الكامل، ١٠٥/٤.
(٢) اليعقوبي، تاريخ، ٢٢١٠/٢، ابن الأثير، الكامل، ١٥٣/٤، زامباور، الأنساب والأسرات الحاكمة، ٦٧/١.
(٣) ينظر: المسعودي، مروج الذّهب، ١٩/٤، ابن الجوزي، المنتظم، ٥١٢/٤.
(٤) ينظر: ابن خياط، تاريخ، ٢٩٨/١.
(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ١٣٩/٨، الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد «١٠٨٩هـ/١٦٧٨م»، شذرات من الذّهب في أخبار من ذهب، مطبعة دار الميسرة «بيروت، ١٣٧٩هـ/١٩٧٩م»، ١٢٠/١.
(٦) ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ١٣٠/٨، ابن كثير، البداية والنّهاية، ٢١٦/٥.
(٧) ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ١٤٧/٨، الذّهبي، تاريخ الإسلام، ٢٧٢/٦.
(٨) الأصفهاني، حلية الأولياء، ص٢٦٨.
(٩) الأصفهاني، حلية الأولياء، ٣٤٤/٥.
(١٠) وكيع، أخبار القضاة، ٧٧/١، الحنبلي، شذرات الذّهب، ١٢٠/١.
(١١) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ١٣/١، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤٦/١، الأصفهاني، حلية الأولياء، ٣٣٨/٥.
(١٢) الأصفهاني، حلية الأولياء، ٣٠٥/٥، الأبشيهي، المستطرف، ١٠٠/١.
(١٣) وكيع، أخبار القضاة، ٢٢٩/٣، ابن الجوزي، المنتظم، ٥٠٨/٤.
(١٤) بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري واسم أبي بردة عامر توفي «١٢١هـ/٧٣٨م»، الجاحظ، البيان والتّبيين، ٣٣٠/١، الذّهبي، تاريخ الإعلام، ٤٩/٨.
(١٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ١٧٠/٨.

قاضي الكوفة محارب بن دثار وأسفه لوفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز ورثائه له في الأبيات الآتية[١]:

لــو أعظــم المــوت خلقــاً أن نوافقــه
لعدلــه لــم يــزرك المــوت يــا عمــر
كــم مــن شــريعة عــدل قــد بعثــت لهــم
كــادت تمــوت وأخــرى منــك تنتظــر
يــا لهــف نفــسي ولهــف الواجــدين معــي
علــى العــدول الّتــي تقتالهــا الحفــر
دفعــت عــن عمــر الخيــرات مــصرعه
بــدير ســمعان لكــن يغلــب الغــدر

المبحث الثّاني
علاقة قضاة الكوفة بالولاة

حرص القضاة في الكوفة على تنظيم علاقاتهم مع الولاة لأنّ الوالي يمثل الخليفة وهو المسؤول الأوّل عن شؤون الرّعية في المصر وإدارته، وهناك أسباب جعلت الخلفاء يجمعون تلك الوظائف لشخص ثقة للمكانة العلمية والاجتماعية، التي يتمتع بها بعض القضاة وثقة الخلفاء بهم وخاصة من الصحابة الّذين عرفوا بدورهم في الجهاد ونشر الإسلام والمكانة السّياسية وحسن التّدبير لبعض القضاة الّذين كان لهم ثقل سياسي فكان لدورهم أهمية كبيرة كما أنّ ظروف التّحرير ربما كانت من العوامل الّتي جعلت الخلفاء يجمعون تلك الوظائف لشخص واحد، وأحياناً يكون للظروف الّتي تمر بها المدينة أثر في دفع الخليفة إلى جمع الوظيفتين الولاية والقضاء[٢].

يعد الوالي جهة إدارية مباشرة بالنّسبة إلى القاضي ويعمل كلّ منهما في سبيل تمشية أمور المنطقة الّتي أوكلت مسؤوليتها إليه ويفترض أن تكون علاقتهما متسمة بالاحترام والفهم الهادف إلى خدمة المجتمع الإسلامي الجديد ومن حيث المبدأ فإنّ سلطة الوالي أعلى من سلطة القاضي[٣].

وعندما تولى الصّحابي عبد الله بن مسعود القضاء في الكوفة، كان يضيء طريق الحكم إلى الولاة الّذين تحمل معهم وهو يعرف مكانتهم، ويقدرون هم مكانته ولكنه، كان يتابع أعمالهم فيأخذ على أيديهم إذا بدرت منهم ما يراها تضر في الدّولة العربية الإسلامية أو بمبدأ من مبادئ الإسلام، فاختلف مع عمار بن ياسر، فلما رفع أمرهما إلى الخليفة عمر بن الخطاب عزل عماراً[٤].

واختلافه مع سعد بن أبي وقاص والي الكوفة على الرّغم من أنّه عزل عن ولاية الكوفة حين شكاه بعض أهل الكوفة إليه فقال عنه: «فإن أصابت الخلافة سعداً فذلك وإلا فأيهم استخلف فلتستعن فإنّي لم أعزله عن عجز ولا خيانة والسّبب في خلافه إنّ سعداً اقترض من بيت المال وإنّ عبد الله بن مسعود كان مشرفاً عليه فلما حل أجل الدّين لم يتيسر لسعد، وكان عبد الله بن مسعود يطالبه بالمال، كما يفعل مع عامة النّاس»[٥].

أمّا خلاف عبد الله بن مسعود مع الوليد بن عتبة أخي عثمان بن عفان لأمّه، الّذي عينه والياً للكوفة، فبدأ الخلاف حين نما إلى عبد الله بن مسعود أنّ الوليد يشرب الخمر فردهم، لأنّه لم يتحقق هذا لديه بوجه من الوجوه، ولما تكررت عليه هذه الأخبار فأرسل عبد الله بن مسعود عدداً من هؤلاء الشّهود إلى الخليفة عثمان بن عفان، وفي خبر أنّ الوليد بن عتبة اقترض مقداراً من المال من بيت مال المسلمين فتجاهل رده، وكتب الوليد إلى الخليفة عثمان بن عفان، فأرسل الخليفة كتاباً إلى عبد الله بن مسعود: «إنّما أنت كاتب عندنا وتجاهل الوليد رد المال».

ومن خلال ذلك يتبيّن موقف عبد الله بن مسعود من الأمراء في الكوفة:

١- الإخلاص والتّضحية والمبادرة في تقديسها.

٢- تقويم الخطأ ورد الانحراف وجرأته الشّديدة في قول الحق.

٣- توقيره الصّحابة جميعاً والشّهادة لهم بالفضل[٦].

ويبدو لنا في مجال الأقضية والأحكام كان القاضي لا يسمح للولي أن يتدخل فهذه أمور متعلقة بالقاضي وحده ولكن قد يحاجج الوالي قاضيه فيما يرجح أنّه ينفع المتهم يذكر ابن بدران[٧] أنّ رجلين اختصما عند القاضي شريح الكندي فأمر بحبس من عليه الدّين فقال أمير الكوفة مستشهداً بقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ كانَ ذُو عُسْرَة فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَة وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[٨] فقال شريح: «ذاك في الرّبا»[٩].

أتى قاضي الكوفة عامر الشّعبي إلى الحجاج في سورة غضبه وهو يستقبل الأسرى بعد معركة دير الجماجم،

(١) ينظر: ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، دار الكتب العلمية «بيروت، ١٩٨٤م»، ٣٣٥.

(٢) ينظر: وكيع، أخبار القضاة، ٢٧٠/١- ٢٧٤، الطّبري، تاريخ، ٥٤٣/٤.

(٣) ينظر: المشهداني، عبد الله بن مسعود، ص٤٠.

(٤) ينظر: الطّبري، تاريخ، ٢٢٣/٣، ابن كثير، الكامل، ٤٣٣/٢، المشهداني، عبد الله بن مسعود، ص٤٠.

(٥) ينظر: المسعودي، مروج الذّهب، ٢٤٧/٣، المشهداني، عبد الله بن مسعود في تفسير القرآن، ص٤١.

(٦) ينظر: المسعودي، مروج الذّهب، ٧٩/٣، ابن الجوزي، المنتظم، ٦١/٣.

(٧) ينظر: تهذيب تاريخ دمشق، ١٤٦/٧.

(٨) سورة البقرة، الآية/٢٨٠.

(٩) بدران، تهذيب، ١٤٧/٧.

«٨٣هـ/٧٠٢م»، إلا أنّ من باء على نفسه بالكفر والنّفاق فلما سار عامر الشّعبي إلى الدّخول عليه لقيه رجل من أصحاب الحجاج بن يوسف يقال له يزيد بن أبي مسلم[١] وكان مولاه وحاجبه فقال يا شعبي لهفي بالعلم الّذي بين دفتيك وليس هذا بيوم شفاعة إذا دخلت على الأمير فبوئ له بالكفر والنّفاق عسى أن تنجو فلما دخل على الحجاج صادفه واضعاً رأسه لم يشعر فلما رفع رأسه قال: «وأنت يا شعبي فيمن أعان علينا وألب»، قال الشّعبي: أصلح الله الأمير إنّي أمرت بأشياء أقولها لك أرضيك بها وأسخط الرّب ولست أفعل ولكني أقول أصلح الأمير وأصدقك القول فإنّ كلّ شيء ينفع لديك فهو صدق إن شاء الله[٢].

وهكذا تعزز عند أهل الكوفة مكانة القضاة لانتفاضهم على جور الحكام، ولم يسلم إلا من شهد على نفسه بالكفر، أمّا من لم يتصاغر بين يدي الحجاج فكان مصيره القتل كما هو الحال لسعيد بن جبير قاضي الكوفة في ولاية الحجاج بن يوسف الثّقفي، «٧٥هـ/٦٩٤م» وأنّه خرج على الحجاج مع القراء وشهد دير الجماجم فلما انهزم[٣] فأدخل على الحجاج بن يوسف على سعيد بن جبير فقال: أنت شقي بن كسير[٤] قال: أبي كان أعلم باسمي منك، قال لقد شقيت وشقي أبوك، قال له: الغيب إنما يعلمه غيرك قال: لا بد لك بالدّنيا ناراً تلظى قال: لو علمت أنّ ذلك بيدك ما اتخذت إلهاً غيرك، قال: فما قولك في الخلفاء قال: لست عليهم بوكيل، قال: فاختر أي قتلة تريد أن أقتلك قال: بل اختر يا شقي لنفسك والله ما قتلتني اليوم بقتلة إلا قتلتك في الآخرة بمثلها فأمر به الحجاج فأخرج ليقتل، فلما ولّى ضحك فأمر الحجاج بردّه وسأله عن ضحكه فقال: عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك فأمر فذبح فلما كب على وجهه، قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله[٥]، واستشهد صابراً سنة «٩٥هـ/٦٩٤م»[٦].

لم تنفع نصائح القضاة للولاة الطّغاة وذلك تميزت علاقة الحجاج بن يوسف وقاضي الكوفة بن جامع المحاربي على أنّها علاقة سيئة[٧] إذ شكا الحجاج سوء طاعة أهل الكوفة فقال جامع أنّهم حابوك لأطاعوك على أنّهم ما شنؤك لنسبك ولا لبلدك ولا لذات نفسك فدع ما يبعدهم منك تعطيها ممن فوقك وليكن إيقاعك بعد وعيدك ووعيدك بعد عدلك، فقال الحجاج: إنّي والله ما أرى أن أرد اللكيعة إلى طاعتي إلا بالسّيف فقال: أيّها الأمير إنّ السّيف إذا لاقى ذهب الخيار، فقال الحجاج: الخيار يومئذ، فقال جامع ولكن لا تدري لمن يجعله الله فغضب الحجاج فقال: يا هذا إنّك من محارب فقال جامع:

وللحرب سُمّينا وكنا محارباً

إذا ما لقينا أمسّ من الطّعن[٨]

فقال الحجاج: والله هممت أن أخلع لسانك فاضرب به وجهك قال: جامع إن صدقناك أغضبناك وإن غشيناك أغضبنا الله فغضب الأمير أهون علينا من غضب الله قال أجل وسكت الحجاج[٩].

ويحدثنا ابن عبد البر عن قول عامر الشّعبي: «دخلت على عمر بن هبيرة «١٠٣- ١٠٥هـ»، وبين يديه رجل يريد قتله فقلت: أصلح الله الأمير أنت على فعل ما لم تفعل أقدر منك على ما فعلت لأنْ تندم على العفو خير من أن تقدم على العقوبة قال: صدقت يا شعبي وأمر بالرّجل إلى السّجن ولم يكن ابن هبيرة يقدر الشّعبي ويحترمه وحده بل إنّ علاقته كانت وثيقة مع الفقهاء بصورة عامة ضمنهم القضاة»[١٠].

قال البلاذري[١١]: «كان ابن هبيرة والي حسن السّيرة ويسمع القضاة وأكثر من هذا يستشيرهم ويستأنس بآرائهم في قضايا كانت تقع بينه وبين الخليفة فقد بعث ذات مرة إلى القاضي الحسن البصري القاضي عامر الشّعبي فقدما عليه وهو بمدينة واسط فأزاد رأيهم في موقفه الرّافض لتنفيذ ما جاء في كتب أرسلها إليه الخليفة يزيد بن عبد الملك لأنّه يجد في تنفيذها إضراراً بالنّاس فقال لهم فماذا تأمرون؟ وكان جوابهم على لسان عامر الشّعبي على النّحو الآتي، أمّا إذ سألتني فإنّه يحق على أن أجيبك أنّ الله جل وعز مانعك من يزيد ولن

(١) يزيد بن أبي مسلم بن دينار الثّقفي أبو العلاء من الدّهاة في العصر الأموي كان من موالي ثقيف وجعله الحجاج كاتباً له فظهر مزايا فلما احتصر الحجاج استخلفه على خراج العراق توفي «١٠٢هـ/٧٢٠م»، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٧٦/٢، الزّركلي الأعلام، ١٨/٨.

(٢) ينظر: الدّينوري، الإمامة والسّياسة، ٥٧/٢، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١٢/٥.

(٣) ينظر: ابن الجوزي، صفوة الصّفوة، ٣/٣.

(٤) ينظر: وكيع، أخبار القضاة، ٤١١/٢.

(٥) ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣٦٥/٧، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٥٥/٥، المسعودي، مروج الذّهب، ١٧٣/٣، ابن كثير، البداية والنّهاية، ١٠٢/٩.

(٦) ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص٨٢.

(٧) ينظر: البخاري، التّاريخ الكبير، ١٣/٤.

(٨) الجاحظ، البيان والتّبيين، ١٣٦/٢.

(٩) ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١٥٠/٢.

(١٠) ينظر: بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذّهن والهاجس، مطبعة دار الجيل، «القاهرة، ١٩٦٧»، ٣٤٧/١، بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ١٥٧/٧، ابن كثير، البداية والنّهايةن ٣١٢/٣.

(١١) ينظر: أنساب الأشراف، ٣٧٥/٨، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٥٨/١، المسعودي، مروج الذّهب، ٢١٢/٣، البيهقي، المحاسن والمساوئ، باعتناء فلدريك شواي، مطبعة غليوم دروغولين، «ليبسك، ١٣١٨هـ»، ص٣٧٠، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٧١/٢.

يمنعك يزيد من الله وأنّه يوشك أن ينزل بك ملك من السّماء فيزيلك من سريرك وسعة قصورك إلى باحة الدّار ثمّ يخرجك من باحة دارك إلى ضيق قبرك ثمّ لا يوسع إلا عملك يا بن هبيرة إنّي أنهاك عن الله عز وجل فإنما جعل الله جل وعز السّلطان ناصراً لعباده ودينه فلا تركبوا عباد الله فتذلوهم فإنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[١].

كان الوالي يسأل الخليفة عن القضايا الّتي لا يجد حلاً لها وهذا هو حال القاضي في مثل هذه المواقف فقد كتب الحجاج بن يوسف الثّقفي يسأل الخليفة عبد الملك بن مروان في قضية ميراث وأجابه وفق ما يقتضي لها[٢].

وكان الوالي أيضاً يسأل الفقهاء القريبين منه يقول عبد الله بن أبي شبرمة قاضي الكوفة دعانا صاحب الكوفة أنا وحماد[٣] فسألنا عن رجل يتزوج المرأة ولا يقدر أن ينفق عليها[٤].

وكانت الخصومات الّتي يكون القاضي طرفاً أو شاهداً فيها تحال إلى الوالي فينظرها، جاء رجل إلى القاضي شريح وعند شريح له شهادة فقال شريح للرجل: خاصمه عند الأمير وأشهد لك هناك[٥] وكان القاضي عامر الشّعبي يقول: «لأكون شاهداً وقاضياً»[٦] وكان قضاء الوالي -ولا شك- ينفذ كما ينفذ قضاء القاضي لأنّ القاضي استفاد ولاية القضاء من الأمير فإذا استفاد هذه الولاية من الأمير وقد نفذ فقضاؤه فلأن ينفذ قضاء الأمير كان أولى[٧] وعلى الصّعيد الشّخصي كانت العلاقة قوية ووثيقة بين الوالي والقاضي، ويبدو أنّ والي الكوفة بشير بن مروان كان سعيداً وفخوراً بعلاقته مع القاضي عامر الشّعبي حين يفهم ذلك من قوله: «من يلومني على الشّعبي»[٨] وفي الأوقات الّتي لا يأذن لأحد بالدّخول عليه يستثني الشّعبي منها إذ دخل عليه ذات مرة فقال له الوالي: «يا أبا عمر لو كان غيرك لم نأذن له»[٩]، وهذا يؤكد أنّه أصبح من قضاة السّلطة فأصبح جليس الولاة ثمّ جالس مروان بن عبد الملك.

(١) أنساب الأشراف، ٣٧٥/٨، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٥٨/١، المسعودي، مروج الذّهب، ٢١٢/٣.
(٢) ينظر: وكيع، أخبار القضاة، ٣٠٥/١.
(٣) حماد بن أبي سليمان، مولى إبراهيم بن أبي موسى الأشعري تابعي من فقهاء الكوفة، «ت ١٢٠هـ/٧٣٩م»، الشّيرازي، طبقات الفقهاء، ص٨٣.
(٤) ينظر: وكيع، أخبار القضاة، ٧٦/٣- ٧٧.
(٥) ينظر: وكيع، أخبار القضاة، ٣٥٩/٢، الصّنعاني المصنف، ٣٤١/٨، البيهقي، السّنن الكبرى، ١٤٤/١٠.
(٦) ابن الجوزي، الطّرق الحكيمة، ص٢٨٧.
(٧) ينظر: الخصاف، أدب القاضي، ٩٥/٣.
(٨) البلاذري، أنساب الأشراف، ١٧٣/٥.
(٩) المصدر نفسه، الأصفهاني، الأغاني، ٣٤٩/٢.

المبحث الثّالث
علاقة قضاة الكوفة بناظر المظالم

المظالم لغة: جمع مظلمة بكسر اللام والمظلمة بفتح اللام ما تطلبه عند الظّالم والمتظلم[١٠] الّذي يشكو رجلاً ظلمه يقال تظلم فلان إلى الحاكم من فلان مظلمة تظليماً أي أنصفه من ظالميه وأعانه عليه[١١].

المظالم اصطلاحاً: «وضع الشّيء في غير موضعه ويروى هو التّعدي عن الحق إلى الباطل وهو الجور والتّصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد»[١٢]، ويرى ابن خلدون أنّها: «وظيفة ممتزجة من سطوة السّلطنة ونصفة القضاء وتحتاج إلى علو يد وعظيم رهبةٍ تقمع الظّالم من الخصمين وتزجر المتعدي وكأنّه يمضي ما عجز القضاة أو غيرهم عن إمضائه»[١٣].

وكانت محكمة المظالم تنعقد في المسجد[١٤] كغيرها من المحاكم الّتي يعقدها القضاة ويحاط صاحب المظالم بخمس جماعات مختلفة ولا ينتظم عقد جلساته إلا بحضورهم كما يروي أبو يعلي هم كما يأتي[١٥]:

١- الحماة والأعوان، وقد اختيروا بحيث يستطيعون التّغلب على من يلجأ إلى القوة والعنف والفرار من وجه القضاء.

٢- القضاة والحكام ومهنتهم الإشارة إلى صاحب المظالم بأقوى الطّرق برد الحقوق إلى أصحابها.

٣- الفقهاء يرجع إليهم فيما أشكل ويسألهم عما اشتبه من المسائل.

٤- الكتاب ويقومون ليثبتوا ما يجري بين الخصوم وإثبات ما لهم وما عليهم من الحقوق.

٥- الشّهود ومهمتهم الشّهادة على أنّ ما أصدر القاضي من الأحكام مما لا ينافي الحق والعدل.

ويجب على المسلمين أن يبتعدوا عن الظّلم، لأنّه يخرب الدّيار ويولد الكراهية بين العباد[١٦]، قال تعالى: ﴿**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ**

(١٠) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٣٤٠/٧.
(١١) المصدر نفسه، ٣٤٠/٧.
(١٢) الجوهري، محمّد بن أكبر بن عبد القادر، «٦٦٦هـ/١٢٦٧م»، مختار الصّحاح، «بيروت، د. ت»، ص٤٠٥، ابن منظور، لسان العرب، ٣٤٠/٧.
(١٣) المقدمة، ص٣٩٢.
(١٤) ينظر: عالية، القضاء والعرف، ص١٠٥.
(١٥) الأحكام السّلطانية، ص٧٦، حسن، تاريخ الإسلام، ٤٩١/١.
(١٦) ينظر: ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٧٦/١، النّفوسي، طاهر بن موسى الحبطالي من علماء النّصف الأوّل من القرن الثّامن، قناطر الخيرات، تحقيق: كروس حسن، محمّد بن المسيح، دار الكتب العلمية، «بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م»، ٦٢٥/٢.

خاوِيَةً بِما ظَلَمُوا﴾[1]، وقال رسول الله: «بئس القوم لا يأمرون بالقسط وبئس القوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر»[2].

وينظر ناظر المظالم في ظلامات الأمراء والجماعات من الولاة والجباة والحكام وأبناء الخلفاء والأمراء والقضاة وكان بعض ما يختص بناظر قاضي المظالم ما لا يحتاج إلى ظلامة متظلم، وإنّما ينظره من تلقاء نفسه مثل تعدي الولاة على أفراد أو جماعات من الرّعية اغتصبه ولاة الجور وأصحاب النّفوذ والبطش[3].

ظهرت الأصول الأولى لهذه المؤسسة عند العرب قبل الإسلام، ثمّ ما لبثت أن تكاملت بعد الإسلام على شكل مؤسسة إدارية واضحة المعالم متكاملة الجوانب فلا أثر لأي مؤثرات أجنبية في ظهور «ديوان المظالم» فالدّيوان وليد تطور حاجة المجتمع إلى هيئات قضائية عليا ترد عن النّاس فتضمن حقوقهم وترسي حياة مستقرة للجميع[4].

وعندما انتشر الإسلام كان هدفه هو تحقيق العدالة وضمان حقوق المسلمين لذلك تعددت التّنظيمات القضائية وفيها المظالم، فهي ولاية المظالم إذ قال تعالى: ﴿**أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾[5]، وقال تعالى: ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ غافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ**﴾[6]، وقال تعالى: ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**﴾[7].

وقال رسول الله: «اتقوا الظّلم فإنّه ظلمات يوم القيامة»[8]، وروي عن الإمام علي(عليه السلام): «من خاف القصاص كف عن ظلم النّاس»[9].

وإنّ من يتقلد هذا المنصب يتقلده رجل له دين وأمانة[10]، وكان هناك ما يسمى بـ «ديوان المظالم»، وهو أشبه بمحكمة تمييز يراد بها إصلاح القضاء وإقرار العدل في دوائر الإدارة السّياسية فكانت مهمة هذا الدّيوان جمع الرّقاع للمتظلمين وتقديمها للخليفة ينظر فيها وينصف المشتكين[11].

ونظراً للأهمية الكبيرة للمظالم وتأكيد الله جلّ شأنه ورسوله [انتهج الخلفاء الرّاشدون سياسة الرّسول] في حكمهم، لإيمانهم العميق بالإسلام ولقرب العهد منه وشدة تمسكهم بتعاليم أحكام الشّريعة الإسلامية، وقد برز هذا واضحاً في أوّل خطبة للخليفة أبي بكر إذ أوضح السّياسة العامة تجاه الرّعية من حيث الحقوق والواجبات والدّفاع عن المظلوم، قال: «الضّعيف فيكم قوي عندي حتّى أرجع عليه حقه إن شاء الله والقوي فيكم عندي ضعيف حتّى آخذ الحق منه إن شاء الله»[12].

وكان الخليفة عمر بن الخطاب شديد الحرص على تحقيق العدالة عن طريق متابعة الشّؤون الإدارية للمسلمين عندما كان يدعوهم في كلّ موسم للحج فيستمع الشّكاوى إذ قال والّذي بعث محمّداً بالحق لو أنّ جملاً هلك ضياعاً بشط الفرات لخشيت أن يسألني الله عنه[13]، استناداً لقول الرّسول: «لا يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفها من شديدها»[14].

ولهذا الاهتمام الكبير من الخليفة في تحقيق العدالة بين المسلمين استعمل مولى له يدعى هيناً على الحمى وقال له: «اضمم جناحك على النّاس واتق دعوة المظلوم فإنّ دعوة المظلوم مجابة وادخل الصّريمة ورب الخيمة»[15].

ولما تولى الخليفة عثمان بن عفان حدثت مظلمة في الكوفة من قبل والي عثمان الوليد بن المعيط إذ شرب الخمر وصلى بالنّاس وهو سكران فزاد في الصّلاة وشهد عليه أهل الكوفة عند عثمان بن عفان فجلده[16].

وعند تولي الإمام علي(عليه السلام) خلافة المسلمين كان حريصاً أشد الحرص على أموال المسلمين إذ قال: «أعظم الخطايا اقتطاع مال امرئ مسلم بغير حق»[17]، وأسس الإمام علي(عليه السلام) بيت القصص وجلس للمظالم ينظر في شكاوي الرّعية حرصاً منه على أموال المسلمين.

(١) سورة النّمل، الآية/٥٢.
(٢) الرّاوندي، ضياء الدّين أبي الرّضا بن علي الحسين، «٥٧١هـ/١١٧٥م»، النّوادر، تحقيق: رضا علي، مطبعة دار الحديث، «طهران، ١٤٠٧هـ»، ١٥٤.
(٣) ينظر: عالية، القضاء والعرف، ص١٠٥، حسن، النّظم الإسلامية، ٤٩٢/١.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) سورة هود، الآية/١٨.
(٦) سورة إبراهيم، الآية/٤٢.
(٧) سورة الشّعراء، الآية/٢٢٧.
(٨) الحر العاملي، وسائل الشّيعة، ٤٦/١٦.
(٩) الكليني، الكافي، ٢٤٩/٢، الحر العاملي، وسائل الشّيعة، ٤٧/١٦.
(١٠) ينظر: قدامة بن جعفر، «ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م»، الخراج وصنعة الكتاب، شرح وتعليق: د. محمّد حسين الزّبيدي، وزارة الثّقافة والإعلام، «بغداد، ١٩٨١م»، ص٦٣.
(١١) ينظر: الدّوري، عبد العزيز، النّظم الإسلامية، «بغداد، ١٩٥٠م»، ٣٩٨، الأنباري، منصب قاضي القضاة في الدّولة العبّاسية، ص٨٧.
(١٢) الطّبري، تاريخ، ٤٥٠/٢، السّيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٦٩.
(١٣) ينظر: ابن الأثير، الكامل، ٣٠/٣.
(١٤) الهيثمي، مجمع الزّوائد و منبع الفوائد، ٣٥٥/٤.
(١٥) أنس، ابن مالك، «١٧٩هـ/٧٩٦م»، الموطأ، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، «بيروت، د. ت»، ٦٢٩/٢.
(١٦) ينظر: الأصفهاني، الأغاني، ٢٥/١.
(١٧) الحر العاملي، وسائل الشّيعة، ٥٠/١٦.

وإذا تأملنا صفحات نهج البلاغة من هذا أو أمثاله الكثير ومنه لوم العمال وتأنيب هذا وذاك من ذوي النّفوذ أو القادة العسكريين ومن ذلك نذكر ما جاء في كتابه إلى بعض عماله قائلاً: «أمّا بعد فإنّ دهاقين[١] أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتقاراً وجفوة»[٢].

ورفعت إلى الإمام علي(عليه السلام) قضايا تتصل بعقارات أخذت من أصحابها وأعطيت إلى بعض بني أمية في أواخر خلافة عثمان بن عفان من دون مسوغ شرعي فردها الإمام علي(عليه السلام) إلى مالكيها الشّرعيين وقال: «والله لو وجدته قد تزوج به النّساء وملك به الإماء لرددته فإنّ في العدل سعة فالجور عليه أضيق»[٣].

لم يجلس للمظالم أحد من الخلفاء لأنّ النّاس في الصّدر الأوّل كانوا بين من يقوده التّناصف إلى الحق أو يزجره الوعظ عن الظّلم إلا علياً(عليه السلام) فإنّه احتاج إلى النّظر في المظالم، وصارت إليه بعدئذ وقد خصص يوماً لسماع الظّلامات وللنظر في أقوال المتظلمين وتصفح قصصهم[٤].

وفي الخلافة الأموية توسعت الدّولة العربية الإسلامية، الّتي أصبحت في هذه المرحلة تضم بين دفتيها شعوباً ومجتمعات متباينة في عاداتها وتقاليدها، ولذلك صار النّظر في المظالم مطلباً ملحاً من قبل الرّعية[٥].

وفي خلافة معاوية بن أبي سفيان نرى اهتماماً في شؤون رعيته فكان يعزل الوالي الّذي لا ترضاه الرّعية فعزل عبيد الله بن زياد، وسبب ذلك أنّ عبيد الله لما دخلوا رحب معاوية بالأحنف[٦] وأجلسه معه على سريره فأحسن القوم الثّناء على عبيد الله بن زياد والأحنف ساكت فقال معاوية: مالك يا أحنف لا تتكلم؟ فقال: إن تكلمت خالفت القوم، فقال معاوية: انهضوا فقد عزلته[٧].

(١) الدهقان أو الدَّهقان، التّاجر الفارسي، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة «دهق»، ٧٥١/٥.

(٢) محمّد عبدة، شرح نهج البلاغة، ٩٥/٢.

(٣) محمد عبدة، شرح نهج البلاغة، ص٣٨، النّجكاني، النّظرية العامة، ص٨٢، مدكور، القضاء في الإسلام، ص٢٠٦.

(٤) ينظر: بحر العلوم، القضاء الشّرعي، ص١٠٦- ١٠٧.

(٥) ينظر: المسعودي، مروج الذّهب، ٢٩/٣- ٣٠.

(٦) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين بن حفص بن عباد بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زياد بن تميم وأمّه من بني قراض، ويكنى أبو بحر، وكان ثقة مأموناً قليل الحديث توفي في ولاية مصعب بن الزّبير، ينظر: ابن سعد، طبقات، ٦٤/٧، الذّهبي، تاريخ الإسلام، ٣٤٥/٥.

(٧) ينظر: ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٢٧٦/١، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤٦/١، ابن الأثير، الكامل، ٢٥٧/٣.

ويبدو أنّ علاقة صاحب المظالم بالقضاء كانت -بحسب ما نرجح- هو المسؤول عن تقديم المجرمين حين وقوع الجرائم أو الظلم وليس قبل وقوع الجرم ولما كان الجرم واقعاً يكون من مسؤوليته الشّهادة إذ وقع الجرم أمامه وإحضار الشّهود والقبض على المجرم ومطاردة الفار من العدالة إلى غير ذلك أيضاً علاقته بالقضاء بحسب ما أعتقد أنّه أشبه بجهاز الأمن لهم سلطان وصلاحيات واسعة.

المبحث الرّابع
علاقة قضاة الكوفة بصاحب الشّرطة

تعد الشّرطة[٨] من التّنظيمات القضائية الّتي ارتبطت بالقضاء ويذكر ابن خلدون، إنّ الشّرطة وظيفة دينية من الوظائف الرّعية ولصاحب الشّرطة حقوق ترتبط بالجرائم، كان يستعمل لبعض الحقوق الّتي من شأنها أن تساعد في التّعرف على المجرم ويفرض العقوبات الزّاجرة قبل وقوع الجرائم[٩].

لم يكن اختيار صاحب الشّرطة يتم بصورة عشوائية، إنما يتصف صاحبها بمجموعة شروط:

١- أن يكون حليماً.
٢- دائم الصّمت طويل الفكر.
٣- بعيد الفور غليظاً على أهل الرّيب.
٤- ويتميز بكفاية ومقدرة والحزم والأمانة.
٥- يتميز بالمكانة بين قومه ومن أهل العصبية[١٠].

إنّ الشّرطة من المؤسسات الّتي تحتاج إليها المجتمعات من أجل أن تكون أداة لتنفيذ أوامر الوالي والقاضي لمطاردة المجرمين والمفسدين وإيقاع الخوف في قلوبهم وتأديبهم أو القبض عليهم وإقامة الحدود[١١].

وتعود نشأتها إلى الخلافة الرّاشدة فكان نظام العسس[١٢] نواة هذا النّظام إذ ولى الخليفة أبو بكر «١١- ١٣هـ» عبد الله بن

(٨) الشّرطة: وهو جمع شرط، سموا بذلك لأنّهم أعدوا لذلك وعلموا أنفسهم العلامات الخاصة تميزهم عن غيرهم وهم الجند الّذي يعتمد عليهم الخليفة أو الوالي لحفظ الأمن، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٢٩٧/٢.

(٩) ينظر: المقدمة، ص٤٤٦.

(١٠) ابن عابدين رد المختار على الدّر المختار، ص٣١، زيدان، تاريخ التّمدن، ٢٢٥/١، حسن، النّظم الإسلامية، ص٢٣٣.

(١١) ينظر: الطّبري، تاريخ، ١٦٧/٤، وجدي، محمّد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، مطبعة دار المعارف، «بيروت، ١٩٧١م»، ٣٧٨/٥، المودودي، أبو الأعلى، القانون الإسلامي، مطبعة دار النّذير للطباعة والنّشر والتّوزيع، «بغداد، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م»، ص٤٢.

(١٢) العسس: عسس يعسّ عسساً وعسّا أي طاف بالليل ومنه حديث عمر بن الخطاب أنّه كان يعس في المدينة أي يطوف في الليل يحرس النّاس ويكشف أهل الرّيبة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٢٤٣/٤.

مسعود أمير العسس[1] وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب «١٣- ٢٣هـ»، كان عبد الله بن عبّاس على الشّرطة وكان صاحب الشّرطة يختار من علية القوم[2].

أمّا الخليفة عثمان «٢٤- ٣٥هـ»، فقد اتخذ صاحب الشّرطة[3] وفي خلافة الإمام علي(عليه السلام) «٣٥- ٤٠هـ» ولى قيس بن سعد الأنصاري[4][5] ومنذ عهد الأمويين نلاحظ ظهور صاحب الشّرطة الّذي كان في الوقت نفسه منفذاً لقرارات القاضي فيما يتصل بالقانون الجنائي القرآني، كما كان حاكماً لعدد من الجنح البسيطة، غير محدود كان يعاقب عليها آنياً وقد راقب المجرمين وطاردهم ليجلبهم بالقوة إلى حضرة القاضي إن أمكن[6].

حظيت الشّرطة بالاهتمام في الدّولة العربية الإسلامية ولقيت في عهد الوالي زياد بن أبيه، «٥٠هـ/٦٧٠م»، اهتماماً كبيراً فقد عهد إليهم تنفيذ الأوامر ومطاردة السّراق وقد بلغ عدد الشّرطة في الكوفة أربعة آلاف[7]، وكذلك استعمل زياد بن أبيه على شرطته عبد الله بن حصن على شرطة الكوفة[8].

اتصفت العلاقة بين القاضي وصاحب الشّرطة بأنّها علاقة تنفيذ قائمة على تطبيق بعض الأحكام الّتي تصدر عن القاضي ولو لم يلتزم بعض المتخاصمين بتنفيذها، كان القاضي وصاحب الشّرطة يعملان جنباً إلى جنب من أجل تحقيق العدالة في المجتمع.

كان أبناء المجتمع في الكوفة يحرصون على تنفيذ الأحكام الّتي تصدر عن القاضي لأنّ تلك الأحكام نابعة من الشّريعة الّتي يستند إليها القاضي في حكمه وعندما لم يلتزم المتخاصمون بأحكام القاضي يكتب صاحب الشّرطة بضرورة إلزام الخصوم تنفيذ الأحكام الّتي تصدر.

أشار ابن عبد ربه إلى والي الشّرطة بقوله: «أنصف الله بك المظلوم وأغاث بك الملهوف وأيدك بالتّثبت ووفقك للصواب وأرشدك الله بالتّوفيق وأنطقك بالصّواب وجعلك عصمة الدّين وحصناً للمسلمين»[9].

وربما في بعض الأوقات يكون صاحب الشّرطة مندوب القاضي أو نائباً عنه في أمور فرعية كالّذي ساقه وكيع في خبر شريح الكندي قاضي الكوفة أنّه يكلفه بالذّهاب إلى السّجون وتحليف المسجونين على أمر معين[10].

رفض عبد الله بن شبرمة والي الكوفة تولي الشّرطة وذلك في قوه ليزيد بن عمر بن هبيرة والي العراق، «١٢٩هـ/٧٤٦م»، «أمّا والله لو انتدبت ظهري وتطيل حبسي فلا»[11].

ويبدو من هذا النّص أنّ عمل صاحب الشّرطة من الصّعوبة بمكان إلى الحد الّذي لا يستطيع القاضي القيام به، لأنّه يحتاج إلى جهد وسهر ومتابعة، لذلك رفض قاضي الكوفة هذا المنصب.

وذكر وجدي[12] أنّ الشّرطة أوّل كتيبة تشهد الحرب إضافة إلى ما تقوم به من حفظ النّظام ورعاية الأمن العام.

ويتبين أنّ العلاقة بين القاضي وصاحب الشّرطة علاقة تنفيذية قائمة على تنفيذ بعض الأحكام الّتي تصدر من القاضي، ورفض البعض الانصياع لها.

المبحث الخامس
علاقة القضاة بالمحتسب

إنّ الحسبة واسطة بين أحكام القضاء وحكام المظالم وهي موافقة لأحكام القضاء فأحدهما جواز الاستعداد إليه وسماع دعوى المتعدي على المتعدى عليه في حقوق الآدميين وهي من قواعد الأمور الدّينية[13].

وهي الأمر بالمعروف ونهي عن المنكر إذا أظهرت فعله[14] وقد جرى العرف بأفراد هذا النّوع بولاية ومنحه سلطات واسعة ليكون سريع الحركة حاسم التّنفيذ فهو قوة ضاربة على يد المنكر أينما وجد وحيثما كان[15] قال تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾[16]، وقال

(١) ينظر: الطّبري، تاريخ، ١٦٧/٤، اليوزبكي، النّظم الإسلامية، ص١٧١.
(٢) ينظر: اليعقوبي، تاريخ، ١١٠/٢، ابن الأثير، الكامل، ٤١/٣.
(٣) ينظر: السّيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٦٥، حسن، النّظم الإسلامية، ص٢٦٠.
(٤) قيس بن سعد بن عبادة بن دلم الأنصاري الخزرجي المدني موالي، صحابي من دهاة العرب ذوي الرّأي والمكيدة في الحرب والنّجدة كان يحمل راية الأنصار مع الرّسول(صلى الله عليه وآله) وكان مسؤولاً عن أموره رافق علياً في خلافته توفي سنة «٥٨هـ/٦٧٧م»، الرّازي، الجرح والتّعديل، ١٣١/٧، الزّركلي، الأعلام، ٢٠٦/٥.
(٥) ينظر: اليعقوبي، تاريخ، ١٠٦/٢، حسن، النّظم الإسلامية، ص٦٠.
(٦) ينظر: ديمومبين، النّظم الإسلامية، ص٢١٠.
(٧) ينظر: الطّبري، تاريخ، ٢٤٣/٤.
(٨) ينظر: ابن الأثير، الكامل، ٣، ٢٤٣.
(٩) العقد الفريد، ٣١/٤.
(١٠) ينظر: أخبار القضاة، ٢١٥/٢.
(١١) ابن سعد، الطّبقات، ٣٣٧/٦، وكيع، أخبار القضاة، ١١٨/٣، دائرة المعارف، ٣٧٨/٥.
(١٢) دائرة المعارف، ٣٧٨/٥.
(١٣) ينظر: الماوردي، الأحكام السّلطانية، ص٢٤١، ابن الأخوة، معالم القربة في أحكام الحسبة، ١٠/١.
(١٤) ينظر: الماوردي، الأحكام السّلطانية، ص٢٤٠.
(١٥) ينظر: ابن قيم الجوزية، الطّرق الحكيمة، ص٥٠.
(١٦) سورة آل عمران، الآية/١٠٤.

تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[١]، وقال رسول الله: «والّذي نفسي بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عقاباً منه فتدعونه فلا يستجيب لكم»[٢].

ومن المحظورات على المحتسب التّجسس على النّاس، وانتهاك الأستار حذراً من الاستتار بها، اعتماداً على قول الرّسول: «من أتى من هذه القاذورات شيئاً فليستتر بستر الله فإنّه من يبدي لنا صفحته نقيم حد الله تعالى عليه»[٣].

ويجب على المحتسب أن يقصد بقوله وفعله وجهه الله تعالى وطلب مرضاته خالص النّية لا يشوبه في طويته رئاء الأمراء ويتجنب في رئاسته منافسة الخلق ومفاجرة أبناء البشر لينشر الله تعالى رداء القبول وكان القضاء والحسبة يسندان في بعض الأحيان إلى رجل واحد لما بين العملين من التّباين فعمل القاضي مبني على التّحقق والأناة في الحكم، أمّا عمل المحتسب فمبني على الشّدة والسّرعة والفصل[٤].

نشأت الحسبة منذ عهد الرّسول وقد مارسها بنفسه وفوضها أحياناً لغيره وتبعه من بعده الخلفاء الرّاشدون وذلك لعلم الرّسول بأنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدّين وهو المهمة الّتي بعث الله بها النّبيين أجمعين وما رواه الإمام الحسن(عليه السلام) عن رسول الله قوله: «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسول الله»[٥].

ومن كل ما تقدم جاءت مشروعية الحسبة، ويتخذ المحتسب سوطاً وطرطور[٦] وعلمان، فإنّ ذلك أهيب لقلوب العامة وأشد خوفاً ويلازم الأسواق والدّروب في أوقات الغفلة عنه ويتخذ له عيوناً يوصلون إليه الأخبار وأحوال السّوق[٧].

ويبدو واضحاً من اهتمام قاضي المسلمين عبد الله بن مسعود أنّه كان يتابع شؤون السّوق ويأمر بالمعروف وكان يقول قال النّبي: «إذا اختلف البيعان فالقول ما قال البائع بالخيار»[٨] خلال تتبعه إلى الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر جاء برجل من قريش وجده مع أمرة في ملحفها ولم تقم البيئة على غير ذلك، فضربة وأقامه للناس، فانطلق قوم إلى عمر بن الخطاب، فقالوا فضح منا رجلاً، فقال عمر بن الخطاب لعبد الله، بلغني أنّك ضربت رجلاً من قريش، فقال: أجل أتيت به قد وجد مع امرأة في ملحفها، ولم تقم البينة على غير ذلك فضربته وعرفته للناس قال: أرأيت ذلك قال: نَعَمْ، قال: نِعْمَ، ما رأيت[٩].

وهذا يؤكد أنّ عبد الله بن مسعود كان عارفاً بأحكام الشّريعة، يعلم ما يأمر به وينهي عنه، لأنّ الحسن ما حسنة الشّرع، والقبيح ما قبحه الشّرع، لقول رسول الله: «ما استحسنه المسلمون فهو حسن ولا مدخل للعقول في معرفة المعروف والمنكر ولا بكتاب الله تعالى وسنة نبيه محمّد ورب جاهل يستحسن بعقله ما قبحه الشّرع، ويرتكب المحذور غير الملم بالعلم»[١٠].

وفي هذه الحادثة قال رسول الله: «إنّ الله رفيق يحب كل رفيق يعطي على الرّفق ما لا يعطي على التّعنيف، وليكن متأنياً غير مبادر إلى العقوبة ولا يؤاخذ أحداً بأول ذنب يصدر منه ولا يعاقب بأول زلة تبدو، لأنّ العصمة في الخلق مفقودة فيما سوى الأنبياء»[١١].

وقال الجاحظ «ليس كل صامت عن حجته مبطلاً في اعتقاده، ولا كل ناطق بها لا برهان له محقاً في انتحاله، والحكم العادل من لم يعجل بفصل القضاء دون استقصاء لذلك استعمل أهل الحزم والرّوية من القضاة طول الصّمت وأنعام»[١٢].

والحسبة على أهل الذّمة لما ولي أبو موسى الأشعري قدم على عمر بن الخطاب فاستأذن عليه فأذن له واستأذن لكاتبه وكان نصرانياً فلما دخل على الخليفة عمر بن الخطاب ورآه فقال قاتلك الله يا أبا موسى وليت نصرانياً على المال[١٣] أما سمعت قول الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[١٤] فقال يا

(١) سورة النّساء، الآية/١١٤.
(٢) أحمد، مسند، ٣٨٨/٥.
(٣) الماوردي، الأحكام السّلطانية، ص٢٥٢، مشرف، القضاء في الإسلام، ص٩٠.
(٤) ينظر: ابن بسام، المحتسب نهاية الرّتبة في طلب الحسبة، تحقيق: حسام الدّين السّامرائي، مطبعة المعارف، «بغداد، ١٩٦٨»، ص١٢.
(٥) أبو المناقب محمود بن أحمد الزنجاني «ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م»، تخريج الفروع على الأصول، تحقيق: محمّد أديب صالح، مؤسسة الرّسالة، «بيروت ١٣٩٨هـ»، ٣٣/١، ابن الأخوة، معالم القربة في أحكام الحسبة أحكام الحسبة، ١٥/١.
(٦) طرطور غطاء للرأس وهو طويل من أعلى وكان يصنع في عصر المؤلف من اللبد وينقش بالخزف الملونة ويكل بالخرز والودع وأحراس وأذناب الثّعالب والسّنانير، ينظر: الشيزري، عبد الرّحمن بن نصر، «ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م» نهاية الرّتبة في طلب الحسبة، مطبعة، لجنة التّأليف والنّشر والتّرجمة، «القاهرة، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م»، ص١٠، ابن منظور، لسان العرب، مادة طرر، ٤٦٨/٣.
(٧) ينظر: الشّيزري، نهاية الرّتبة في طلب الحسبة، ص١٠.
(٨) أحمد، مسند، ٣٦٦/١، وكيع، أخبار القضاة، ٢٠٢/٢.
(٩) وكيع، أخبار القضاة، ١٨٨/٢.
(١٠) الهيثمي، مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد، ١١٥/٧.
(١١) الشّيزري، نهاية الرّتبة في طلب الحسبة، ص٩.
(١٢) ثلاث رسائل، المطبعة السّلفية، «القاهرة، ١٣٤٤هـ»، ص٥٤.
(١٣) ينظر: ابن الأخوة، معالم الحسبة في أحكام الحسبة، ٣٨/١، ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٤٣/١.
(١٤) سورة المائدة، الآية/٥١.

أمير المؤمنين لي كتابته وله دينه[١].

ويبدو أنّ الخليفة عمر بن الخطاب حذر من تكليف أهل الذّمة وخصوصاً في الكتابة استناداً على ما جاء في تحذير الآية الكريمة وخوفاً من أن يدخلوا أموراً لم يأت بها الإسلام محاولة منهم لتشويه الحقائق، أما في باقي المجالات فإنّ الإسلام ضمن حقوقهم كما أشرنا سابقاً.

نهج الإمام علي(عليه السلام) نهج الرّسول فكان يخرج إلى الأسواق ويطوف بالطّرق ويأمر النّاس بحسن الحديث ونزاهة البيع وتجنب الاحتيال والوفاء بالكيل والميزان ويسأل عن الأمصار[٢]، وكانت حياته(عليه السلام) نزع بين الفضيلة العربية وبين الخارجين عليها من عرب العراق[٣].

وعن شريح الكندي قاضي الكوفة قال: مررت مع علي بن أبي طالب(عليه السلام) في سوق الكوفة وفي يده الدّرة[٤] المعروفة «بالسّبيتة»، وكان لها طرفان وهو ينصح: يا معشر التّجار خذوا الحق وأعطوا الحق لا تمنعوا قليل الرّبح فتحرموا كثيراً، حتّى انتهى إلى قاص يقص فقال: «إنّي أسألك عن مسألة إن خرجت منها وإلا أوجعتك ضرباً»، قال: فاسأل يا أمير المؤمنين، قال: ما ثبات الأمان وزواله، قال: ثبات الإيمان الورع وزواله الطّمع، فقال الإمام علي(عليه السلام): اقصص فمثلك يقص[٥]، ويحدث الماوردي إنّ علياً(عليه السلام) مرّ بالحسن البصري وهو يتكلم على النّاس، فاختبره فقال له ما عماد الدّين؟ قال: الورع، قال: فما آفته؟ قال: الطّمع، قال: تكلم الآن إن شئت[٦]، وقام الإمام علي(عليه السلام) بإحراق طعام محتكر بالنّار[٧]، وأيضاً أحرق قرية يباع فيها الخمر[٨].

روى وكيع جاء الأشعث بن قيس إلى شريح في مجلس القضاء فقال: «مرحبا بشيخنا وسيدنا ها هنا ها هنا فأجلسه معه فإذا رجل جالس بين يدي شريح، فقال: ما لك يا عبد الله؟ قال: جئت أخاصم الأشعث بن قيس، قال: قم مع خصمك قال وما عليك أن تقضي وأنا ها هنا، قال: قم قبل أن تقام فقال وهو مغضب، فقال عهد بك يا بن أم شريح وإنّ بثيابك السّوس قال أنت رجل تصرف نعمة الله على غيرك وتنساها من نفسك»[٩].

وكان سعيد بن أشوع قاضي الكوفة[١٠] يتدخل في أدق التّفاصيل بين الباعة لرفع المظلومية عن النّاس، قال رجل بعت أعدلاً لي وبقي عندي منها عدل واحد فلقيني رجل فقال: أنا آخذه كما بعت، قال: فلبثت أيّاماً ثمّ لقيته، قال: «لا حاجة لي فيه فخاصمته إلى سعيد بن أشوع قاضي الكوفة، فقالك ليس هذا ببيع فخذ عدلك»[١١].

ولم تكن الصّورة واضحة عن المحتسب في العصر الأموي بعدما كان تأثيرها واضحاً في عند الرّسول الأعظم والخلفاء الرّاشدين في العصر الأوّل للإسلام، ولم تتصل حلقة هذا النّظام بعضاً في بعض آخر طول هذا العصر غير أنّ هناك بعض النّصوص تشعر بمثل ما يقوم به المحتسب، فقد ذكر الطّبري أنّ زياد بن أبيه ولي الجعد بن قيس التّمري[١٢] أمر الفُسّاق وكان يتبعهم بعدما كان على الشّرطة[١٣]، لأنّ الحسبة أضيف عملها إلى عمل الشّرطة في بعض الأحيان[١٤]، والظّاهر من هذا الوصف أنّ عامل السّوق له صفة رسمية ذات صلاحيات واسعة في عمله إذ كان النّاس ينشدونه حاجاتهم وأعمالهم تشير بعض النّصوص إلى وجود عريف[١٥] على السّوق، روى وكيع قائلاً: «سُئِل بيع السّناسير فقال: كانت قضية في سوق السّناسير وقضية في سوق الدّجاج فقضى فيهما عريف سوق الدّجاج وعريف سوق السّناسير فأصاب عريف سوق السّناسير فجمع له شريح قاضي السّوقين»[١٦].

نستنتج من هذا النّص أهمية السّوق في الحياة اليومية للمسلمين إذ يعين لكلّ سوق مسؤولاً عنه يشرف ويراقب الباعة ويحذرهم من الغش ورفع الأسعار واحتكار السّلع وهنا يظهر مدى التّطور في الأجهزة الرّقابية على السّوق كان قاضي الكوفة شريح الكندي يتابعهم وفي حالة عدم دقة أحد العريفين في حل قضية ما يعزل أحدهم ويكلف من هو أصلح لهذا العمل.

(١) ينظر: ابن الأخوة معالم القربة في أحكام الحسبة، ٣٨/١.

(٢) ينظر: محب الدّين الطّبري، الحافظ، أحمد بن عبد ربه، «ت ٦٩٤هـ/١٢٩٤م»، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، مراجعة جميل إبراهيم، دار القادسية، «بغداد، ١٩٨٤م»، ص١١٨- ١١٩.

(٣) ينظر: الطّبري، تاريخ ٢٢٣/٥، الخصاف، الحسبة رسالة تبحث في الهيئة الاجتماعية عند العرب، مطبعة النّفيض، «بغداد، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦»، ص٢١.

(٤) الدّرة: الدّر السّيف تلألؤه وإشراقه أما أن يكون منسوباً إلى الدّر بصفاته ونقائه أو منسوب إلى أمر آخر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة درر، ٢٦٤/٣.

(٥) وكيع، أخبار القضاة، ١٩٦/٢، نصار، موسى راضي، نظام الحسبة في الإسلام بين النّظرية والتّطبيق، دار الهدى للطباعة والنّشر، «بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م»، ٢٧٣/١.

(٦) ينظر: الأحكام السّلطانية، ص٤٩.

(٧) ينظر: ابن الأخوة، معالم القربة في أحكام الحسبة، ٩٨/١.

(٨) ينظر: ابن تيمية، الحسبة، ص٦.

(٩) وكيع، أخبار القضاة، ٢١٦/٢.

(١٠) ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ٣٢١/٦.

(١١) وكيع، أخبار القضاة، ٢٠/٣.

(١٢) الجعد بن قيس بن معد بن كرب الكندي أحد بني الحارث بن معاوية، ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ٩٩/٦.

(١٣) ينظر: الطّبري، تاريخ، ٢٢٣/٥.

(١٤) ينظر: القلقشندي، أبو العبّاس أحمد بن علي، «٨٢١هـ/١٤١٨م»، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، «القاهرة، ١٩٢٠م»، ٤٥٢/٥.

(١٥) العريف: النّقيب وهو دون الرّئيس والجمع عرفاء، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، «مادة عرف»، ٦٣٨/٥.

(١٦) أخبار القضاة، ٣٤٧/٢.

وفي عهد زياد بن أبيه تولى الحسبة في العراق «سمرة بن جندب»[١][٢]، ولكن يمكننا أن نعد هذه الوظيفة المحتسب أصبحت أكثر وضوحاً كما ذكرت المصادر العربية أوّل مرة في عهد ابن هبيرة، «ت ١٠٣هـ/٧٢١م»[٣].

وفي حسبة أهل الذّمة كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله، وقد اتصل به أنّه اتخذ كاتباً يقال له: حسان بلغني أنّك استعملت حساناً، وهو على غير دين الإسلام[٤] ويقول الله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ**﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿**لا تَتَّخِذُوا الَّذينَ اتَّخَذُوا دينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِياءَ وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ**﴾[٦]، فكتب الخليفة عمر بن عبد العزيز، إذا أتاك كتابي هذا فادع حساناً إلى الإسلام، فإن أسلم فهو منا ونحن منه وإن أبى فلا نستعين به فلما جاءه الكتاب قرأه على حسان فأسلم وعلمه تعاليم الإسلام والصّلاة[٧].

وكان قاضي الكوفة محارب بن دثار مهتماً اهتماماً كبيراً في ما يجري في السّوق في مختلف شؤون البيع والشّراء وصلاحية المواد وقضى محارب بن دثار بين رجلين اشترى أحدهما من صاحبه زئبقاً، فقال المشتري لم أقبض الزّئبق، ولم أنقده المال، وقال البائع: بعته وأشهدت عليه وصار به عن رضا، فقال المشتري: إنّي لم أرَ زئبقه، فقال البائع: الزّئبق حديثه وعتيقه ورديئه كلّه سواء لا يفصل بعضه بعضاً وإنما يشتري التّجار في جربة، ولا يفتح، فقال المشتري: إنّه مغشوش، فقال: محارب قاضي الكوفة إن كان مغشوشاً فليس لك، وإلا فقد جاز عليك البيع[٨].

وكان يسأل القاضي عبد الله بن شبرمة[٩] في مختلف شؤون السّوق في داخل السّوق وكان يوجه النّاس ويقول: «حرمت الخمرة قليلها وكثيرها والسّكر من كلّ شراب»[١٠].

(١) سمرة بن جندب بن صلال بن حريج بن مرة بن خزان بن عمرو بن جابر بن خشين بن عصين بن شمخ بن فزارة وكان له حلف في الأنصار وصحب النّبي(ﷺ) وكان زياد بن أبيه استعمله على البصرة إذ قدم الكوفة، ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ١٠٨/٦، الذّهبي، تاريخ الإسلام، ٢٣٠/٤.

(٢) زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ٦٧/١، عمر، النّظم الإسلامية، ٢١٢.

(٣) ينظر: ابن الأثير، الكامل، ١٠٥/٥.

(٤) ينظر: الخصاف، أدب القاضي، ٢٩٩/١، ابن الأخوة، معالم القربة في أحكام الحسبة، ٣٩/١.

(٥) سورة الممتحنة، الآية/١.

(٦) سورة المائدة، الآية/٥٧.

(٧) ينظر: ابن الأخوة، معالم القربة في أحكام الحسبة، ٣٩/١.

(٨) ينظر: وكيع، أخبار القضاة، ٣١/٣.

(٩) ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ٣٣٧/٦، الرّازي، الجرح والتّعديل، ٩٨/٥.

(١٠) وكيع، أخبار القضاة، ٤٤/٣.

كما حدّث عبد الله بن شبرمة يحدث عبد الله بن عبّاس: «من فرض اثنتين فقد فرّ ومن لم فلم يعرّ»، قال: «أما أنا فأرى الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر مثل هذا لا يعجز الرّجل عن اثنتين يأمرهما وينهاهما»[١١].

ومن المحرمات على المحتسب تسعير البضائع على أربابها ولا يلزمهم بيعها بسعر معلوم، لأنّ السّعر غلا على عهد الرّسول(ﷺ) فقالوا يا رسول الله سعر لنا، فقال: «إنّ الله هو المسعر وإنّي لأرجو أن ألقى الله وليس يطالبني بمظلمة في نفس ولا مال»، وقال رسول الله(ﷺ): «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون»[١٢].

ومن الأمور الّتي ينظر فيها المحتسب مراعاة أحكام الشّرع وإقامة الشّعائر الدّينية والمحافظة عليها والنّظر في أرباب البهائم ومراقبة من يتصدى لتفسير القرآن والنّظر في الآداب العامة وفي البيوع الفاسدة والموازين والمكاييل ومراقبة النّقود الّتي يتعامل بها النّاس[١٣].

أضاف ابن خلدون، إلى ما ذكر من الواجبات، أنّه يحول دون مضايقة النّاس في الطّرقات ويمنع الحمالين وأهل السّفن من المبالغة في الحمل أو شحن السّفن ويحكم بهدم المباني المتداعية للسقوط حتّى لا يقع على المارة ويمنع معلمي الكتاتيب من ضرب الصّبيان وتحكم في الدّعاوى المتعلقة بالغش ويحمل على المطالبين على أداء ما عليهم من الدّيون[١٤].

ويتبين مما تقدّم بشأن الحسبة ما يأتي:

أوّلاً: كان الرّسول(ﷺ) يمارس الحسبة بنفسه ويوجه النّاس روحياً.

ثانياً: ومارس الخلفاء الرّاشدون الحسبة بأنفسهم تأسياً بالرّسول(ﷺ) في بناء المجتمع الإسلامي بناءً سليماً.

ثالثاً: أمّا في العهد الأموي فقد تطورت مؤسسة الحسبة فجعل لها أشخاص متخصصون يقضون بين النّاس يراقبون الأسواق، ولم يعد القاضي مسؤولاً عنها وهذا أمر يوضح سُنة التّطور في أجهزة الدّولة العربية الإسلامية.

يتبين كذلك أنّ القضاة في الكوفة لم يكونوا بعيدين عن وظيفة المحتسب، وإنما كانوا قريبين منها، طالما أنّ الهدف مشترك بينهما، وصاحب الحسبة مسؤول عن تجنب وقوع الظّلم قبل وقوعه عن طريق نشر الوعي الإسلامي ومراقبة السّوق والأسعار وتذكير النّاس بالحقوق والواجبات الّتي يرضاها الله تعالى وتشريعات السّنة النّبوية.

(١١) المصدر نفسه، ١٢٣/٣.

(١٢) الشّيزري، نهاية الرّتبة في طلب الحسبة، ص١٢.

(١٣) ينظر: الخصاف، الحسبة، ص٢٦، اليوزبكي، النّظم الإسلامية، ص١٨٩.

(١٤) ينظر: المقدمة، ص٣٨٩- ٣٩٩، اليوزبكي، النّظم الإسلامية، ص١٨٨.

الفصل الثّالث
أثر القضاة في الحركة الفكرية

المبحث الأوّل
مراكز الحركة الفكرية

تميزت الحركة الفكرية في الكوفة بعدد من المميزات جعلتها تنفرد عن مثيلاتها من الأمصار العربية الأخرى لأنّ موضع الكوفة كان في منطقة منيعة مأمونة بعيدة عن أخطار الفيضانات ومجرى الرّياح تحدها الصّحراء من الغرب والفرات من الشّرق[1] وهواؤها أصح وماؤها أعذب[2]، أصبحت الكوفة أرضاً خصبة للإبداعات الفكرية في ميادين المعرفة الإنسانية، فقد تركت التّطورات الاقتصادية آثارها على مدينة الكوفة منذ نشأتها لأنّها ملتقى عدة طرق لوقوعها على الفرات من جهة وتوسطها العراق من جهة أخرى وقد ساعدت على الاتصال بمدن الإقليم وسكانه كما ساعدت أيضاً في تنشيط الحركة التّجارية واستقرار النّاس وتسهيل حاجات النّقل والتّوزيع[3].

أصبح هذا الموقع نقطة جذب سكاني ساعد الكوفة في ما بعد أن تحتل مكانة سياسية وعلمية ولم يكن موقع الكوفة بعيداً عن مدينة الحيرة عاصمة المناذرة تلك المدينة الّتي تربعت على سواحل بحر النّجف وارتبطت بريف العراق وسواده بروابط وثيقة، وكانت مسالكها تصل إلى شبه الجزيرة العربية، وقد أعطى البعد التّاريخي لهذه المنطقة أهمية امتدت إلى الكوفة فأصبحت الوريث التّاريخي لمدينة الحيرة[4]، وقد أدى وفود عدد من الصّحابة والتّابعين إلى حدوث تغيرات مهمة، فجعلوا الكوفة مقراً لهم، ومنهم عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر ومسروق بن الأجدع، ومنصور بن المعتمر[5]، وكانت لهم إسهامات في تعليم القرآن الكريم وتفسيره، ومنهم من روى أحاديث النّبي(صلى الله عليه وآله) وازدادت أهمية الكوفة من جميع النّواحي عندما أصبحت عاصمة[6] الدّولة العربية الإسلامية في خلافة الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) الّذي سوف أتناول إسهامات قضاة الكوفة في هذه الميادين بعد أن عرفنا إسهاماتهم في ميدان القضاء في الإسلام ومن هذه المراكز:

أ- المسجد الجامع:

يعدّ المسجد الجامع من أهم الأماكن الّتي يجلس فيها العلماء والفقهاء والزّهاد إذ تناقش فيه الأمور الدّينية ومن بينها المواضيع الفكرية والثّقافية فضلاً عن عقد مجالس القضاء[7] كما بينت في الفصل السّابق، ونظراً لأهمية المسجد الجامع في الإسلام نجد أنّ أوّل عمل بدأ به الرّسول محمّد(صلى الله عليه وآله) في المدينة المنورة بعد الهجرة إليها هو بناء المسجد[8]، فهو بمثابة المكان المخصص لمناقشة الأمور المختلفة ومن بينها قيام الرّسول بالقضاء فيه بين الخصوم وحل المنازعات والخصومات الّتي تحدث عادة بين سكان المدينة من المسلمين وغيرهم[9].

ويعد المسجد الجامع في الكوفة أقدم من كلّ المساجد عدا بيت الله الحرام، كما ورد في الأخبار المأثورة في كتب السّير والتّواريخ[10] أمّا الطّبري فقال: «أوّل شيء أنشئ بالكوفة وبني حين عزموا على البناء المسجد..»[11].

كان لمسجد الكوفة فضل عظيم في الإسلام بحسب ما جاء في قول الإمام علي(عليه السلام) في فضل مسجد الكوفة: «وفيه نَجَرَ نوح سفينته وفيه فار التّنور وبه كان بيته ومسجده، وفيه يظهر عدل الله وهو منازل النّبيين والأوصياء والصّالحين»[12].

وجاء في فضل المسجد الجامع وجاء رجل فقال السّلام عليك يا أمير المؤمنين فرد عليه السّلام، فقال: جعلت فداك إنّي أردت المسجد الأقصى فأردت أن أسلم عليك، قال له: وأي شيء أردت بذلك؟ فقال: الفضل جعلت فداك، قال: «فبع راحلتك وكلّ زادك وصل في هذا المسجد فالصلاة فيه حجة مبرورة والنّافلة عمرة مبرورة والبركة فيه»[13].

من هذا يتبين أنّ مسجد الكوفة كان مركزاً ثقافياً إسلامياً لدراسة القرآن الكريم والحديث الشّريف والفقه واللغة ومركز القرارات السّياسية المهمة، والمهم من هذا أن مسجد الكوفة لم

(١) ينظر: الطّبري، تاريخ، ١٤٦/٣، الجنابي، كاظم، تخطيط الكوفة في المصادر التّاريخية والأثرية، مطابع الجمهورية «بغداد، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م»، ص٣٤.
(٢) ينظر: ابن جوقل، صورة الأرض، ص٢١٥.
(٣) ينظر: الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد الفارسي، المتوفى في النّصف الأوّل من القرن الرّابع الهجري، المسالك والممالك، تحقيق: محمّد جابر عبد العال الحسيني، «وزارة الإرشاد، الجمهورية العربية المتحدة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م»، ص٥٨.
(٤) ينظر: الطّبري، تاريخ، ١٤٧/٣، الحكيم، حسن عيسى، تمصير الكوفة بين الأرض والإنسان، مجلة الكوفة، المجلد الخامس العدد الأوّل سنة «٢٠٠١م»، ص٤٧.
(٥) ينظر: العسكري، الأوائل، ص٢٩٥.
(٦) ينظر: الطّبري، تاريخ، ٥٦٠/٣.
(٧) ينظر: الأنباري، النّظام القضائي في العصر العبّاسي، ص٢٧٧، اليوزبكي، النّظم الإسلامية، ص١٨٥.
(٨) ينظر: اليعقوبي، تاريخ، ٢٧/٢، المسعودي، مروج الذّهب، ٢٨٦/٣، ابن الأثير، الكامل، ٧٢/٢.
(٩) ينظر: ابن هشام، السّيرة النّبوية، ١٠٤/٢، السّمناني، روضة القضاة وطرق النّجاة، ١٦٨/١.
(١٠) ينظر: البراقي، تاريخ، ص٢٣.
(١١) الطّبري، تاريخ، ١٤٨/٣.
(١٢) المجلسي، بحار الأنوار، ١٤٨/٣، الحائري، محمّد بن جعفر المشهدي، فضل الكوفة ومسجدها، مطبعة دار المرتضى، «بيروت، د. ت»، ص١١.
(١٣) الكليني، الكافي، ٤٩١/٣.

يكن مكاناً للعبادة فحسب، كما هي الحال عليه الآن، وإنما كان مدرسة شغل بالفقه ووضع أصوله ومقاييسه وفتاواه وبالقراءات وروايتها رواية دقيقة جعلها تحظى بمذهب فقهي هو مذهب أبي حنيفة وثلاثة من القراء السّبعة الّذين شاعت قراءاتهم في العالم العربي: وهم عاصم وحمزة والكسائي، وعنيت إلى جانب ذلك عناية واسعة برواية الأشعار القديمة[١].

ب- السّوق «الكناسة»[٢]:

الكناسة صارت محلة أو سوقاً أو محطة تجارية كبرى يرتادها حملة العلم من القراء والفقهاء والشّعراء لعرض ما لديهم من نتاج ثقافي وفكري وهي مثل المربد[٣] في البصرة[٤] والسّؤال الّذي تبادر لي لماذا تحولت من مكان يطرحون فيها الأزبال إلى مكان ثقافي؟ يبدو أنّ السّبب في رأينا أنّها أصبحت بعد توسع المدينة مكاناً تجارياً وبهذا استقطبت النّاس وتجمعاتهم لأغراض التّجارة الّتي ترافقها قراءة الشّعر والتّبادل الثّقافي كما هو الحال في أسواق[٥] العرب الثّقافية.

ومن ذلك نستنتج أنّ الأماكن الّتي تزدهر فيها الحركة الفكرية والثّقافية هي الّتي تشبع حاجات الفرد الرّوحية، «تتمثل في المسجد»، والّتي تشبع الحاجات المادية، وتتمثل بالكناسة بوصفها مركزاً تجارياً واقتصادياً لبيع الغلات والصّناعات المحلية وعقد الصّفقات التّجارية، وهي بهذا تكون مكاناً لاستقطاب النّاس من أهل الكوفة فيما بينهم وأهل الكوفة وغيرهم من الأمصار.

المبحث الثّاني
أثر قضاة الكوفة في الحركة الفكرية

ترك قضاة الكوفة أثراً في ميادين الفكر المختلفة الّتي كانت سائدة آنذاك ويمكن تقسيمها على النّحو الآتي:

١- أثر قضاة الكوفة في قراءة القرآن وتفسيره:

بدأ الاهتمام بتدوين القرآن الكريم في عصر الرّسول(ﷺ) فكان يقرأ الآيات القرآنية على المسلمين بعد نزولها عليه مباشرة، وكان لديه(ﷺ) الكتّاب يكتبون الآيات القرآنية وكان الرّسول(ﷺ) يؤكد قراءة القرآن قال: «مثل المؤمن الّذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الّذي لا يقرأ القرآن مثل التّمرة لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الّذي يقرأ القرآن مثل الرّيحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الّذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر»[٦].

وبعد انتقال الرّسول(ﷺ) إلى الرّفيق الأعلى، سارع الخليفة أبو بكر إلى جمع القرآن من الرّقاع[٧] والأكتاف[٨] العسب[٩]، وبدأت مرحلة الجمع متكاملة تمت في زمن الخليفة عثمان بن عفان، بسبب توسع الدّولة العربية وكثرة من دخل الإسلام من غير العرب وتفرق الصّحابة في الأمصار وما نجم عن ذلك من اختلافات في القراءة للقرآن والنّطق، لذلك عمل الخليفة عثمان بن عفان على جمع القرآن، جمع السّور الطّوال مع السّور الطّوال والسّور القصار مع القصار وكتب في جميع المصاحف من الآفاق حتّى جمعت وأحرقها فلم يبق مصحف إلا فعل به ذلك خلا مصحف عبد الله بن مسعود الّذي كان قاضي الكوفة[١٠].

ويبدو مما تقدم أنّ عثمان بن عفان كان حريصاً أشد الحرص إلى جمع القرآن وتوحيده وإرساله إلى جميع البلاد المحررة والمفتوحة لكي لا تختلف القراءات وتتوحد ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ**﴾[١١].

وكان عبد الله بن مسعود من حفظة القرآن قال الرّسول(ﷺ) فيه: «من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبدة»[١٢]، وقد بعثه الخليفة عمر بن الخطاب إلى أهل الكوفة ليقرئهم القرآن ويعلمهم الشّرائع والأحكام[١٣].

وعبد الله بن مسعود أوّل من جهر بالقرآن بعد رسول الله(ﷺ) قال اجتمع يوماً أصحاب رسول الله(ﷺ) فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط من رجل يسمعوه فقال: عبد الله بن مسعود أنا قالوا: إنا نخشاهم عليك إنما نريد

(١) ينظر: شوقي ضيف، المدرسة النّحوية، دار المعارف، «القاهرة، ١٩٦٨م»، ص١٥٣.

(٢) الكناسة، بضم أوّله معروفة بالكوفة كان بنو أسد وبنو تميم يطرحون فيها كناستهم وكتب خالد بن عبد الله إلى هشام بن عبد الملك يسأله أن يقطعها إيّاه فسأل ابن سعيد عنها فقال ما بالكوفة مثلها فلم يعطه إيّاها واتخذها لنفسه، ينظر: البكري، معجم ما استعجم، ٢٥/٤.

(٣) المربد، معنى المربد محبس الإبل والمربطة ومربد البصرة هذا متسع للإبل والمربد أيضاً بيدر التّمر والرّبدة اللون إلى الغبرة، ينظر: الأفغاني سعيد، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، المطبعة الهاشمية، ط١، «دمشق، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م»، ص٤٠٨.

(٤) ينظر: البراقي، تاريخ الكوفة، ص١٤٨، الجنابي، تخطيط الكوفة، ص٦٨.

(٥) ينظر: الأفغاني، أسواق العرب، ص٤٠٩.

(٦) النّووي، شرح صحيح مسلم، ٣٣١/٦.

(٧) الرّقاع: قطعة يكتب فيها، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ١٢/٥.

(٨) الأكتاف: الكتف العظم الكبير العريض يكون أصل كتف الحيوان لقلة القراطيس عندهم، ابن منظور، لسان العرب، ٦٨٩/٥.

(٩) العسب: جريدة من النّخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها، ابن منظور، لسان العرب، ٥٤٩/١.

(١٠) ينظر: اليعقوبي، تاريخ، ١١٨/٢، الذّهبي، تذكرة الحافظ، ٨/١.

(١١) سورة الحجر، الآية/٩.

(١٢) ابن حنبل، مسند، ٤٨/١، الخطيب البغدادي، تاريخ، ١٤٧/١.

(١٣) ينظر: العجلي، الثّقات، ص٢٦٨.

رجل له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال: «دعوني فإنّ الله سيمنعني»[1].

قال عبد الله: «حفظت من الرّسول(ﷺ) بضعاً وسبعين سورة وكان موصوفاً بالذّكاء والفطنة وكان مع ذلك هو الإمام في تجويد القرآن وترتيله مع حسن الصّوت، وقال عبد الله والّذي لا إله إلا غيره لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني لتبلغنّه الإبل لرحلت إليه»[2].

عندما قدم الإمام علي(عليه السلام) أتاه أصحاب عبد الله بن مسعود الّذين أصبحوا قضاة بعده فسألهم حتّى رأوا أنّه يمتحنهم قال: «أنا أقول فهي مثل الّذي قالوا أو أفضل قرأ القرآن فأحل حلاله وحرم حرامه فقيه في الدّين عليم في السّنة»[3]، وهذه شهادة عظيمة بحقه وقيل عبد الله بن مسعود القارئ الملقن والغلام المُعلم والفقيه المعلم صاحب السّواد والأسرار والسّابق والبدر أقربهم وسيلة وأرجحهم فضيلة[4].

عن عبد الله بن مسعود قال: «ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذ النّاس نائمون وبحزنه إذ النّاس فرحون وببكائه إذ النّاس يضحكون وينبغي لحامل القرآن أن يكون عليماً حكيماً ليناً مستكيناً»[5]، وأسس عبد الله بن مسعود حلقة بالكوفة ولزمه تلاميذ له يتعلمون عنه العلم ويتأدبون بآدابه حتّى أصبحوا بعده كبار القراء في الكوفة منهم[6]:

١- علقمة بن قيس.
٢- الأسود بن قيس النّخعي.
٣- عبيد السّلماني.
٤- مسروق بن الأجدع.
٥- عمرو بن شرحبيل الهمداني.
٦- الحارث بن قيس الجعفي.

وكان من تلاميذه شريح الكندي قاضي الكوفة، وعامر الشّعبي قاضي الكوفة، وسعيد بن جبير قاضي الكوفة، وانضمّ إليهم أخيراً أبو حنيفة وكان أهل الكوفة يقرؤون القرآن على قراءة عبد الله بن مسعود[7] حتّى إنّ الإمام علياً(عليه السلام) لما انتقل إلى الكوفة سرّه كثرة فقهائها، وقال: «رحم الله ابن أم عبد يعني عبد الله بن مسعود فقد ملأ هذه القرية يعني الكوفة»[8]، ولم يكن علي بن أبي طالب(عليه السلام) أقل عناية من ابن مسعود في تفقيههم، وهو القائل: «سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أو بنهار أم في سهل أم في جبل، وقال: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت إنّ ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً»[9]، وروي عن عبد الله بن مسعود أنّه قال: «إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف ما فيها إلا وله ظهر وبطن وإنّ علي بن أبي طالب(عليه السلام) عنده الظّاهر والباطن»[10]، «وكان بحراً من العلم وكان قوي الحجة سليم الاستنباط أوتي الحظ الأوفر من الفصاحة والخطابة والشّعر وكان ذا عقل ناضج وبصيرة نافذة»[11].

قال الإمام علي(عليه السلام) عن رسول الله(ﷺ): «كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل هو الّذي لا تزيغ به الأهواء ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على الكثرة الرّد ولا تنقضي عجائبه، هو الّذي من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله، هو حبل الله المتين والذّكر العظيم الصّراط المستقيم»[12].

وكان أبو موسى الأشعري، «ت ٥٢هـ/٦٧٢م»، من أطيب النّاس صوتاً بالقرآن، سمع النّبي(ﷺ) صوت قراءته فقال: «لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود»[13].

وأكد أبو موسى الأشعري أهمية القراءة القرآنية قائلاً: «إنّ هذا القرآن كان لكم أجراً وكان عليكم وزراً فتبعوا القرآن ولا يتبعنكم القرآن فإنّه من اتبع القرآن هبط به على رياض الجنة ومن تبعه القرآن زج في قفاه فقذفه في النّار»[14].

وكان عبيد بن قيس بن عمرو السّلماني[15] قاضي الكوفة في خلافة الإمام علي(عليه السلام) «٣٥- ٤١هـ»[16]، أحد أصحاب عبد الله بن مسعود يقرأ ويفتي في الكوفة وهو من الفقهاء[17].

(١) ابن هشام، السّيرة النّبوية، ١٩٢/١- ١٩٣.
(٢) ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصّحابة، ٣٩٤/٣.
(٣) ابن سعد، الطّبقات، ١١/٢.
(٤) الأصفهاني، حلية الأولياء، ١٧١/١.
(٥) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ١٣٣/٢.
(٦) ينظر: المشهداني، عبد الله بن مسعود مدرسة في تفسير القرآن، ص١٤٣.
(٧) ينظر: النّووي، شرح صحيح مسلم، ٣٥٨/٦، أحمد، فجر الإسلام، ص١٨٤.
(٨) ابن سعد، الطّبقات، ٩٦/٦.
(٩) ينظر: الزّيعلي، نصب الرّاية، ١٠٨/١.
(١٠) الأصفهاني، حلية الأولياء، ١٠٨/١، طاش كبرى زادة، أحمد بن مصطفى، «ت ٩٦٧هـ/١٥٥٩م»، مفتاح السّعادة ومصباح السّيادة ي موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية، ط٣، «١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م»، ٥٥/٢، ٥٦.
(١١) معرفة، محمّد هادي، التّفسير والمفسرون في ثوبة القشيب، منشورات الجامعة الرّضوية للعلوم الإسلامية، «مشهد، ١٤١٨هـ»، ص١١٢.
(١٢) الكليني، الكافي، ٦١/١، ابن عبد ربه العقد الفريد، ٢١٦/٢.
(١٣) ابن سعد، الطّبقات، ٨٠/٤، الذّهبي، معرفة القراء الكبار على طبقات الأعصار، تحقيق: محمّد سعد جاد الحق، «بيروت، د. ت»، ص٣٧، طاش كبرى زادة، مفتاح السّعادة، ١٢/٢.
(١٤) ابن الجوزي، صفوة الصّفوة، ٢٢٦/١.
(١٥) ينظر: ابن خياط، الطّبقات، ص١٤٦، وكيع، أخبار القضاة، ٤٠٠/٢، ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص٩٩، ابن الجوزي، المنتظم، ٢٧٤/٤.
(١٦) ينظر: زمباور، الأنساب والأسرات الحاكمة، ٦٦/١.
(١٧) ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ، ١١٧/١١، الذّهبي، تذكرة الحفاظ، ٥٠/١، معرفة، التّفسير والمفسرون، ص٤١٠.

وكان مسروق بن الأجدع قاضي الكوفة[١] في خلافة معاوية بن أبي سفيان «٤١- ٦٠هـ/٦٥٢- ٦٧٩م»[٢]، من أصحاب عبد الله بن مسعود الّذين يعلمون النّاس السّنة، وكان مقرئاً مفتياً وكان على غزارة من العلم حريصاً على الأخذ من كبار العلماء[٣]، كان من عباد أهل الكوفة وقرائهم[٤]، وعن عامر الشّعبي: «ما علمت أحداً كان أطلب للعلم منه»[٥].

وأسهم سعيد بن جبير[٦] وهو من كبار التّابعين ومتقدميهم في الفقه والتّفسير، أخذ القراءة من عبد الله بن عبّاس وسمع التّفسير وأكثر رواياته عنه كان قد تفرغ للعلم والقرآن حتّى صار عالماً وإماماً للناس في الكوفة[٧]، وعن عبد الله بن شبرمة عن سعيد بن جبير أنّه دخل الكعبة فقرأ القرآن في ركعة[٨] يبدو أنّ العابد الصّالح سعيد بن جبير قاضي الكوفة كان يتمتع بإمكانية كبيرة في حفظ القرآن وتلاوته كما استشهد به في جميع شؤون الحياة الدّينية والسّياسية والاجتماعية لأنّ القرآن الكريم لم يكن كتاباً دينياً حسب بل نظم جميع شؤون الحياة مواكباً لكلّ عصر من العصور حتّى قيام السّاعة.

وكان عامر الشّعبي قاضي الكوفة[٩]، زمن الخليفة عبد الملك بن مروان، «٦٥- ٨٦هـ/٦٨٤- ٧٠٥م»، ومن القراء أخذ عنه القاضي محمّد بن أبي ليلى وعلمه وحفظه أشهراً[١٠]، ويرى وكيع أنّه كان من المفسرين للقرآن، عن الشّعبي: «آيتان في أهل الكتاب وآية فينا»[١١]، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ**﴾[١٢].

(١) ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ١٣٨/٦، ابن حبان، مشاهير الأمصار، ٣٩٨/٢، الخطيب البغدادي، تاريخ، ٢١٣/١٣.
(٢) اليعقوبي، تاريخ، ١٥٠/٢، المسعودي، مروج الذّهب، ١٥/٣، ابن الأثير، الكامل، ٢٠٣/٣، زمباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ٦٦/١.
(٣) ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ٣٩٨/٢، الخطيب البغدادي، تاريخ، ٢٣٤/١٣.
(٤) ينظر: الخصاف، أدب القاضي، ص١٨٦.
(٥) الذّهبي، تذكرة الحفاظ، ٤٩/١.
(٦) ينظر: ابن سعدن الطّبقات، ص٢٧٦، ابن خياط، الطّبقات، ص٢٨٠، ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص٨٢، الطّوسي، رجال الكشي، ص١٠٣، ابن حبيب، المحبر، ص٣٧٨.
(٧) ينظر: طاش كبرى زادة، مفتاح السّعادة ومصباح السّيادة، ٢٠/٢، معرفة، التّفسير والمفسرون، ص٣٢٣.
(٨) ينظر: العجلي، الثّقات، ٥٤/٣.
(٩) ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص١٠٢، ابن الجوزي، صفوة الصّفوة، ٤١/٣، المزي، تهذيب الكمال، ٣٤/١٤.
(١٠) ينظر: طاش كبرى زادة، مفتاح السّعادة، ٢٠/٢.
(١١) أخبار القضاة، ٦٠/٣.
(١٢) سورة المائدة، الآية/٤٤.

وكان لمحمّد بن عبد الرّحمن بن أبي ليلى الأنصاري[١٣] قاضي الكوفة في خلافة الوليد بن يزيد[١٤] «١٢٥- ١٢٦هـ/٧٤٢- ٧٤٣م» إسهامات كبيرة في قراءة الكوفة وكان فقيهاً صاحب سنة صدوقاً وكان عالماً بالقرآن وكان من أحسن النّاس وأفقه أهل الكوفة[١٥].

٢- أثر قضاة الكوفة في رواية الحديث وتفسيره:

الحديث لغة: الجديد من الأشياء والحديث الخبر يأتي على القليل والكثير والجمع، أحاديث كقطيع وأقاطيع[١٦]، وقوله تعالى: ﴿**إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً**﴾[١٧].

والحديث في اصطلاح الفقهاء، ما صدر عن النّبي(ﷺ) غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير وهو وحي إلهي[١٨]، استناداً إلى قوله: ﴿**وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى**﴾[١٩]، فالأحاديث هي وحي كالقرآن الكريم ولكن القرآن وحي إلهي باللفظ والمعنى في حين تكون السّنة وحي بالمعنى حسب[٢٠].

وكان العرب قبل الإسلام يعتمدون على الذّاكرة في حفظ أشعارهم وخطبهم ومآثرهم وأنسابهم وعندما جاء الإسلام حث على التّعلم وقد اهتم الرّسول(ﷺ) بتعليم الكتابة للمسلمين فسمح لأسرى بدر أفداء أنفسهم مقابل تعليم عشرة من المسلمين[٢١].

والسّنة مفسرة للقرآن دالة على أحكامه وعلى هذا دل القرآن وانعقد الإجماع ففي القرآن نصوص كثيرة تبين هذا المعنى، وتلزم النّاس إتباع السّنة والمسلم لا خيار له فيما يقضي به القرآن أو تقضي به السّنة[٢٢] استناداً لقوله تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[٢٣]، وقال جل شأنه:

(١٣) ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ص٣٤١، الرّازي، الجرح والتّعديل، ٤٣١/٧، ٤٣٠، ابن حجر، تقريب التّهذيب، ٥٣٥/٢.
(١٤) ينظر: وكيع، أخبار القضاة، ١٣٤/٣.
(١٥) ينظر: المصدر نفسه، ١٣١/٣، معرفة، تفسير والمفسرون، ص٢١٠.
(١٦) ينظر: الخطيب، محمّد عجاج، السّنة قبل التّدوين، مطبعة أحمد مخيمر، «القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م»، ص٢٠.
(١٧) سورة الكهف، الآية/٦.
(١٨) ينظر: الخطيب، السّنة قبل التّدوين، ٢٠.
(١٩) سورة النّجم، الآية/٣- ٤.
(٢٠) ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٠/٢.
(٢١) ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ١٣٠/٣، عبد المنعم، شاكر محمود، توضح جمع القرآن الكريم، المؤرخ العربي العدد التّاسع عشر، «بغداد، ١٩٨١م»، ص١٥٨.
(٢٢) ينظر: العمري، أكرم ضياء، بحوث في تاريخ السّنة المشرفة، مطبعة الإرشاد، «بغداد، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م»، ص٥.
(٢٣) سورة آل عمران، الآية/١٣٢.

﴿وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ﴾[2].

وقد أجمع المحدثون على أنّه لا ينبغي أن يطلب المرء الحديث إلا بعد قراءة القرآن وحفظه كلّه أو أكثره[3]، وعلى الرّغم من وجود عدد من الكتاب أيّام الرّسول(ﷺ) وقيامهم بتدوين القرآن الكريم إلا أنّ الرّسول(ﷺ) لم يأمر بجمع الحديث وإنما أراد أن يكون اعتمادهم على الذّاكرة في أغلبه من أجل أن تنمو عندهم ملكة الحفظ وإنّ الحديث يجوز روايته من خلال المعنى[4]، وهو بذلك يختلف عن القرآن الكريم الّذي هو معجز بلفظه ومعناه وذلك روايته بالإضافة إلى ذلك خوف من حدوث التباس واختلاط القرآن بالحديث الّذي نهى الرّسول(ﷺ) عن كتابة الحديث ثمّ أباح لمن يشاء أن يكتب ما يريد من هؤلاء الّذين كتبوا شيئاً من السّنة[5].

عن عبد الله بن عمر بن العاص[6] قال: كنت أريد أن أكتب شيئاً أسمعه من الرّسول(ﷺ) أريد حفظه فنهتني قريش فقالوا: إنّك تسمعه من رسول الله وهو بشر يتكلم في الغضب والرّضا وأمسكت عن الكتابة[7] وفي هذا الكلام اتهام للرسول(ﷺ) بأنّه يتكلم بتأثير العاطفة وهو مخالف لعصمة الرّسول(ﷺ) ومردوده بدليل الآية الكريمة: ﴿وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى﴾[8]، وكذلك الرّسول برّأ نفسه من هذه التّهمة حين راجعه عبد الله بن عمرو بن العاص قائلاً: ذكرت ذلك للرسول(ﷺ) فقال: «اكتب فوالّذي نفسي بيديه ما خرج مني إلا الحق»[9].

وكان عدد المسلمين الّذين يعرفون القراءة والكتابة قليلاً في صدر الإسلام فقد استعملهم الرّسول(ﷺ) وجعلهم للكتابة بين يديه ومن ثمّ اضطلع الذّميون بمهمة القراءة والكتابة للراغبين في تعلمها[10]، لأنّ المسلمين بدؤوا يجمعون الحديث وفيه مناح شتى من القول فيه ما كان يفعله الرّسول(ﷺ) من عبادات وتشريع في المعاملات والجنايات وفيه أقوال للوعظ والإرشاد وفيه قسم تاريخي يتعلق بحياة النّبي في مكة وهجرته وحياته في المدينة[11].

وعلم الحديث يبحث فيه عن كيفية اتصال الأحاديث بالرّسول(ﷺ) من حيث أصول رواته ضبطاً وعدالة ومن حيث كيفية السّند اتصالاً وانقطاعاً[12] لقد نزل في الكوفة عدد كبير من أصحاب رسول الله(ﷺ) في عهد الخليفة عمر بن الخطاب فقد نزل الكوفة ثلاثمئة من أصحاب الشّجرة[13] وسبعون من أهل بدر ومنهم عبد الله بن مسعود الّذي أثر كثيراً في رفع اسم الكوفة لما بذله في سبيل تعلم أبنائها وقد تخرج من هذه المدرسة كبار التّابعين الّذين حفظوا الشّريعة على السّنة المطهرة فقد كان في الكوفة ستون شخصاً من أصحاب عبد الله بن مسعود[14].

أوّلاً: عمرو بن الجعد البارقي قاضي الكوفة روى عن النّبي(ﷺ) «ت ٣٥هـ/ ٦٥٦م»، عاش مع الرّسول(ﷺ) ودعا له بالبركة[15]، روى اثني عشر حديثاً[16].

ثانياً: عبد الله بن مسعود «ت ٣٢هـ/٦٥٢م»، وهو ثقة في الحديث تقل ثمانمئة وأربعين حديثاً عن الرّسول(ﷺ) ومن مزاياه إذا حدث عن الرّسول أرعد وأرعدت ثيابه حتّى ينحدر العرق من جبهته وكان يزن الكلام ويدقق فيه وروى ألفي حديث[17]، يقول العمري، أتى عبد الله بن مسعود بصحيفة فيها حديث فدعا بها فمحاها وقال: «بهذا أهلك الكتاب فيكم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون»[18].

اهتم عبد الله بتفقيه أهل الكوفة إلى أواخر خلافة عثمان بن عفان عناية لا مزايدة عليها إلى أن امتلأت الكوفة بالمحدثين

(١) سورة الحشر، الآية/٧.
(٢) سورة النّساء، الآية/٨٠.
(٣) ينظر: الخطيب، السّنة قبل التّدوين، ص٥٥.
(٤) ينظر: العمري، بحوث في تاريخ السّنة، ص٦، ٧.
(٥) ينظر: العمري، بحوث في تاريخ، ٦، ٧.
(٦) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم أسلم قبل أبيه وصحب النّبي(ﷺ) وكان خيراً فاضلاً قال استأذنت النّبي(ﷺ) في كتابة ما سمعت منه فأذن لي فكتبته وقال سمعت من الرّسول ليس بيني وبينه أحد كان يقرأ بالسّريانية توفي بالشّام سنة «٦٥هـ/٦٨٤م»، ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ٣٤٤/٧، البلخي، أبي القاسم عبد الله أحمد بن محمود الكعبي، «ت ٣١٩هـ/٩٣١م»، قبول الأخبار ومعرفة الرّجال، تحقيق: أبو عمرو الحسيني، دار الكتب العلمية، «بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م»، ١٩٢/١.
(٧) ينظر: العمري، بحوث في تاريخ السّنة، ٧/١، ٧.
(٨) سورة النّجم، الآية/٣- ٤.
(٩) العمري، بحوث في تاريخ السّنة، ٦/١، ٧.
(١٠) ينظر: شلبي، أحمد، تاريخ التّربية الإسلامية، مكتبة الأنجلو مصرية، «القاهرة، ١٩٦٠م»، ص٣٥.
(١١) ينظر: أحمد فجر الإسلام، ص١٥٧.
(١٢) ينظر: طاش كبرى زادة، ٥٢/٢.
(١٣) أصحاب الشّجرة، هم الّذين حضروا بيعة الرّضوان من المسلمين فدعا رسول الله(ﷺ) إلى البيعة فبايع المسلمون رسول الله(ﷺ) على الموت فكانت بيعة الرّضوان تحت الشّجرة، ابن هشام، السّيرة النّبوية، ٣٠٣/٣.
(١٤) الخطيب، السّنة قبل التّدوين، ص١٦٧، فيليب حتي وآخرون، تاريخ العرب المطول، دار الكشاف للنشر والطّباعة والتّوزيع، ط٣، «بيروت، ١٩٥٨م»، ٣١١/٢.
(١٥) ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ١٨٠/٦، ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص٤٨.
(١٦) ينظر: ابن حزم، جوامع السّيرة، ص٢٧٤.
(١٧) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٨٤.
(١٨) بحوث في تاريخ السّنة، ص١٤٦.

بحيث بلغ بعض ثقاة أهل العلم عدد من تفقه عليه وعلى أصحابه أربعة آلاف عالم وكان هناك معه أمثال سعد بن أبي وقاص وحذيفة وعمار بن ياسر وأبي موسى الأشعري من أصفيائه في مهمته إلى أن أصبحت لا مثيل لها في كثرة فقهائها ومحدثيها بعد أن اتخذها الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) عاصمة الخلافة وبعد أن انتقل إليها خيرة الصّحابة وفقهاؤهم[١].

ثالثاً: شريح بن الحارث الكندي قاضي الكوفة «ت ٨٠هـ/٦٩٩م»[٢]، وقد فقه أهل الكوفة ودربهم على الفقه العملي[٣].

رابعاً: عبيد بن قيس بن عمرو السّلماني[٤]، من قضاة الكوفة الّذين أسهموا في نقل الحديث وكان من الثّقات[٥]، وكان شريح إذا اشتبه عليه الأمر في قضية يرسل إلى عبيد السّلماني يستشيره، كما كان معروفا في الفقه[٦].

خامساً: مسروق بن الأجدع عبد الرّحمن بن مالك قاضي الكوفة بعد شريح الكندي في خلافة معاوية بن أبي سفيان «٤١هـ/٦٦١م»[٧]، أخذ عن الخليفة عمر بن الخطاب والإمام علي(عليه السلام)[٨]، قال الشّعبي: ما علمت أحداً كان أطلب للعلم منه في أفق من الآفاق[٩]، ثقة من أهل الكوفة[١٠].

سادساً: عبيد الله بن عتبة بن مسعود قاضي الكوفة[١١]، قال ابن حزم : ممن روى الحديث في الكوفة[١٢] تابعي رفيع كثير الحديث والفتيا فقيهاً يؤم النّاس بالكوفة، «ت ٧٤هـ/٦٩٣م»[١٣].

(١) الزّيلعي، نصب الرّاية في أحاديث الهداية، ٣٠/١.
(٢) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤٦٢/٢.
(٣) ينظر: الزّيلعي، نصب الرّاية في أحاديث الهداية، ٣٢٩/١.
(٤) ينظر: ابن خياط، الطّبقات، ص١٤٦، وكيع، أخبار القضاة، ٤٠٠/٢، الذّهبي، تذكرة الحفاظ، ٤٧/١.
(٥) ينظر: ابن حزم، جوامع السّير، ص٣٢٩.
(٦) ينظر: الزّيلعي، نصب الرّاية، ٣١/١.
(٧) ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ١٣٨/٦، ابن حبان مشاهير علماء الأمصار، ٣٩٨/٢، ابن الجوزي، صفوة الصّفوة، ١٢/٣.
(٨) ينظر: الخطيب، السّنة قبل التّدوين، ص٢٢٨، الخضري، تاريخ التّشريع الإسلامي، ص١٥.
(٩) ينظر: ابن حجر، تهذيب التّهذيب، ١٣٤/٨، المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرّجال، ٤٥٤/٢٧.
(١٠) ينظر: ابن حزم، جوامع السّيرة، ص٢٢٩، الذّهبي، تاريخ الإسلام، ص٢٣٦/٥.
(١١) ينظر: ابن خياط، تاريخ، ٣٤٣/١، ابن سعد، الطّبقات، ١٧٤/٦.
(١٢) ينظر: جوامع السّيرة، ص٣٢٩.
(١٣) ينظر: ابن حجر، تهذيب التّهذيب، ٣٩٠/٤.

سابعاً: عبد الرّحمن بن أبي ليلى[١٤]: أدرك مئة وعشرين من الصّحابة «ت ٨٣هـ/٧٠٢م»[١٥]، ما من الّذين أدركهم أحد يحدث إلا ود أنّ أخاه كفاه إيّاه ولا يستفتي عن شيء إلا ود أنّ أخاه كفاه إيّاه، وفي رواية أخرى: «يسأل أحدهم المسألة فيردها هذا إلى هذه حتّى ترجع إلى الأوّل»[١٦]، وقال عبد الرّحمن بن أبي ليلى: «قلنا لزيد بن أرقم[١٧] حدثنا عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قال: كبرنا ونسينا والحديث عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) شديد»، هكذا تشدد الصّحابة في الحديث وأمسك بعضهم عنه كراهية التّحريف أو الزّيادة والنّقصان في الرّواية عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)[١٨].

ثامناً: سعيد بن جبير قاضي الكوفة زمن الحجاج بن يوسف الثّقفي «٧٥هـ/٦٩٤م»[١٩]، وكان سعيد بن جبير بأصبهان[٢٠] يسألونه عن الحديث فلا يحدث فلما رجع إلى الكوفة فقيل له: يا أبا محمّد كنت بأصبهان لا تحدث وأنت بالكوفة تحدث، فقال: «انشر بزك حيث يعرف»[٢١].

ويبدو من حديث الصّحابي الجليل سعيد المكانة العلمية الكبيرة الّتي يتمتع بها أهل الكوفة في معرفة الحديث الشّريف وذلك راجع إلى تأثير الصّحابة الّذين سكنوا الكوفة وظهر تأثيرهم على المجتمع الكوفي واضح وكان من فقهاء الكوفة التّابعين[٢٢]، وكان عبد الله بن عبّاس إذا حج أهل الكوفة وسألوه يقول: «أليس فيكم سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض من لا يحتاج إلى علمه»[٢٣].

تاسعاً: الشّعبي، قال: ما كتبت سوداء في بيضاء إلى يومي هذا ولا حدثني رجل بحديث قط إلا حفظته ولا أحببت أن

(١٤) ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ١٢٣/٦، وكيع، أخبار القضاة، ٤٠٦/٢، الرّازي، الجرح والتّعديل، ٣٠٦/٥.
(١٥) ينظر: الزّيلعي، نصب الرّاية، ٣٢/١.
(١٦) ينظر: الخطيب، السّنن قبل التّدوين، ص٩٤.
(١٧) زيد بن أرقم، يكنى أبا سعيد وقال غيره يكنى أبو أنس أوّل مشاهده مع النّبي، المربيع، نزل الكوفة وابتنى بها داراً في محلة كندة توفي بها سنة «٦٨هـ/٦٨٨م»، ابن سعد، الطّبقات، ٩٦/٦.
(١٨) ينظر: الذّهبي، تذكرة الحفاظ، ٥٥/١.
(١٩) ينظر: ابن سعدن الطّبقات، ٢٦٧/٦، ابن خياط، الطّبقات، ص٢٨٠، الطّوسي، اختيار رجال الكشي، ١٠٣/٢.
(٢٠) أصبهان، مدينة معروفة في بلاد فارس سميت بذلك لأنّ أوّل من نزلها أصبهان بن فلوج بن لمطي بن يافث ونزل أخوه همدان فسميت به وكان اسمه وقيل سميت أصبهان لأن أصبه بلسان الفرسان، البلد وهان: الفرس فمعناها بلد الفرس، ينظر: البكري، معجم ما استعجم من الأسماء، ١٥٤/١.
(٢١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣٢٧/٢.
(٢٢) ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص٨٢.
(٢٣) الزّيلعي، تصب الرّاية، ٣٣/١، ينظر: الخضري، تاريخ التّشريع الإسلامي، ٩٥.

يعيده، أدرك خمس مئة من أصحاب رسول الله(ﷺ)، قال ابن الجوزي إنما أشار بهذا إلى معاصرتهم لا إلى الأخذ عنهم[1]، لكنه روى عن أسامة بن زيد[2]، والحسن بن علي(عليه السلام)[3]، ويقول عبد الله بن عمر[4] عن الشّعبي لما رآه يحدث بالمغازي أقوال الرّسول(ﷺ) لهو أحفظ لها مني وإن كنت قد شهدتها مع رسول الله(ﷺ)[5].

وروي عن الشّعبي قوله: «كره الصّالحون الأولون الإكثار من الحديث، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت ما حدثت إلا بما أجمع عليه أهل الحديث، وقال: إنا لسنا بالفقهاء لكنا سمعنا الحديث فروياناه»[6].

عاشراً: عبد الملك بن عمير، قاضي الكوفة بعد الشّعبي ومن مشاهير التّابعين وثقاتهم ومن كبار أهل الكوفة وصفه وكيع، بقوله: «روى الحديث عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن عبد الملك بن عمير يقول: والله إنّي لأحدث بالحديث فما ادع منه حرفاً»[7].

الحادي عشر: القاسم بن عبد الرّحمن بن مسعود قاضي الكوفة[8]، روى وكيع أنّه كان أسد في إلقاء الحديث[9]، وكان له حديث كثير رفعه ابن حزم من رواة الكوفة[10].

الثّاني عشر: محمّد بن عبد الرّحمن بن أبي ليلى[11]، كان أفقه أهل الدّنيا جائز الحديث قارئاً عالماً بالقرآن[12].

(١) ينظر: صفوة الصّفوة، ٤١/٣.
(٢) أسامة بن زيد بن حارثة، من كنانة عوف أبو محمّد، صحابي جليل، ولد بمكة ونشأ على الإسلام لأنّ أباه كان من أوّل النّاس إسلاماً وكان الرّسول يحبه حباً جماً وينظر إليه نظرته إلى سبطيه الحسن والحسين وهاجر إلى المدينة وعمره عشرون سنة له في كتب الحديث ١٢٨ حديثاً «ت ٥٤هـ/٦٧٤م»، ينظر: البلخي، الثّقاة، ص٦٢، الزّركلي، الأعلام، ٢٩١/١.
(٣) ينظر: المزي، تهذيب الكمال، ٣٤/١٤.
(٤) عبد الله بن عمر، «٧ق هـ- ٦٥هـ/٦١٦- ٦٨٤م»، قرشي: صحابي من النّساك من أهل مكة كان يكتب في الجاهلية ويحسن السّريانية وأسلم قبل أبيه فاستأذن الرّسول في أن يكتب ما يسمع منه فأذن له وكان كثير العبادة حتّى قال له النّبي أنّ لجسدك عليك حقاً وأنّ لزوجك عليك حقاً وأنّ لبيتك عليك حق وكان يشهد الحروب والغزوات حمل راية أبيه يوم اليرموك شهد صفين مع معاوية وولاه معاوية الكوفة مدة قصيرة، ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ٣٤٢/٧، الزّركلي، الأعلام، ١١١/٤.
(٥) ينظر: الزّيلعي، نصب الرّاية، ٣٣/١.
(٦) الخضري، تاريخ التّشريع الإسلامي، ص١٥٣.
(٧) ينظر: وكيع، أخبار القضاة، ٧/٣.
(٨) ينظر: الرّازي، الجرح والتّعديل، ١٥١/٧.
(٩) ينظر: أخبار القضاة، ٧/٣.
(١٠) ينظر: ابن حزم، جوامع السّير، ص٣٣٠.
(١١) ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ٣٤١/٦، الرّازي، الجرح والتّعديل، ٤٣٠/٧.
(١٢) ينظر: الزّيلعي، نصب الرّاية، ٣٦/١.

الثّالث عشر: منصور بن المعتمر، السّلمي[13]، كوفي ثقة ثبت في الحديث كان أثبت أهل الكوفة، وكان حديثه العدل لا يُختلف فيه، روى أقل من ألفين[14].

هذا ما كانت عليه الكوفة منذ نشأتها، إذ تميزت عن باقي الأمصار في تلك الحقبة الزّمنية حتّى أصبحت مشرق الفقه النّاصع المتلاطم الأنوار ومركزاً لقراءة القرآن والحديث والفقه[15].

٣- إسهام قضاة الكوفة في نظم الشّعر:

كلّ أمة تعتمد في استيفاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضرب من الضّروب، وشكل من الأشكال وكانت العرب قبل الإسلام تحتاج في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشّعر الموزون والكلام المقفى وكان ذلك هو ديوانها[16]، ومن النّقاد العرب القدامى من يرى أنّ: «العرب أفضل الأمم وحكمتها أشرف الحكم، لفضل اللسان على اليد والبعد عن امتهان الجسد»[17].

وللشعر قبل الإسلام مكانة عظيمة، إذ بلغت مرتبة الشّاعر الزّعيم، فكانت تبشر بمولده القبائل، ونزل القرآن المجيد والشّعر في منزلته، ولكن بيان القرآن كان معجزة لم يستطع الشّعر مغالبته[18] ومن الدّليل على عظم قدر الشّعر عند العرب وجليل خطبه في قلوبهم أنّه لما بعث النّبي(ﷺ) بالقرآن المعجز نظمه، المحكم تأليفه وأعجب قريشاً ما سمعوا قالوا: ما هذا إلا سحر وقالوا: في النّبي(ﷺ): «شاعر نتربص به ريب المنون»[19]، قال الرّاجز:

لقد خشيت أن تكون ساحراً
وراية ممرا ومرا شاعرا[20]

لكن بقي أثر الشّعر في نفوس العرب المسلمين، وكان الرّسول(ﷺ) يتذوقه ويستمع إليه ويكافئ شاعره ولم يكن

(١٣) ينظر: ابن سعد، ٣٢٨/٦، البخاري، التّاريخ الكبير، ٣٤٦/١.
(١٤) ينظر: ابن حزم، جوامع السّيرة، ص٣٣٠.
(١٥) ينظر: الزّيلعي، نصب الرّاية، ٣٦/١.
(١٦) ينظر: الجاحظ، الحيوان، وضع حواشيه: محمّد باسل عيون أسود، دار الكتب العلمية، «بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م»، ٥١/١.
(١٧) ابن رشيق، أبو علي الحسن بن علي القيرواني، «٤٥٦هـ/١٠٦٣م»، العمدة في محاسن الشّعر وآدابه، تحقيق: محمّد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، «بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م»، ص١٦.
(١٨) ينظر: الشّعراني، أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري الشّافعي، الطّبقات الكبرى، المسماة لواقح الأنوار في طبقات الأخبار، دار الفكر للطباعة والنّشر، «الدّار البيضاء، ١٩٩٠م»، ٥٧/١.
(١٩) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٧٣/٥.
(٢٠) ابن قتيبة، الشّعر والشّعراء، تحقيق: مفيد قمحة ومحمّد أمين الضّاوي، دار الكتب العلمية «بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م»، ص٤٦٨، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٧٣/٥، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٠٦/٢، الزّركلي، الأعلام، ٢٧١/٢.

إعراض النّبي(ﷺ) عن قول الشّعر وروايته إغماضاً لشأنه أو صرفاً للعرب عنه فإنّ المعروف عن الرّسول(ﷺ) أنّه كان يقابل الشّعراء ويحسن الاستماع ويثيب من يمدحه منهم، فقد خلع على كعب بن زهير[١] بردته الّتي اشتراها منه فيما بعد معاوية بن أبي سفيان بثلاثين ألف درهم وتوارثها الخلفاء يلبسونها في الجمع والأعياد، وكان يكثر من الاستشهاد بشعر الخنساء في رثاء أخيها صخر ويقول الرّسول(ﷺ) «هيه يا خنساء» بل كان يدعو إلى قول الشّعر ويستعين به في بعض الأحيان، واتخذ حسان بن ثابت شاعره وأمره أن يهجو كفار قريش وكان يقول له(ﷺ): «شن الغار على بني عبد مناف فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع الحسام في غلس الظّلام»[٢].

وقد جاء ذكر الشّعر في القرآن الكريم في التّقريع والتّهوين من منازل الشّعراء في قوله تعالى: ﴿**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ**﴾[٣]، فالمقصود بالشّعراء هنا المشركون الّذين آذوا رسول الله والمسلمين وهجوهم ولم يكن معنى الآية ليصرف إلى كلّ الشّعراء بدليل استثناء الصّالحين منهم[٤]، في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**﴾[٥]، وروي عن الرّسول(ﷺ) أنّه قال: «إنما الشّعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه»[٦]، وقال الرّسول(ﷺ): «الشّعر كلام من كلام العرب جزل تتكلم به في بواديها وتسل به الضّغائن من بينها»[٧]، وكان يقول الرّسول(ﷺ): «لا تدع العرب الشّعر حتّى تدع الإبل الحنين»، وقوله(ﷺ): «إنّ من الشّعر لحكمة»[٨]، وقد ذكر في سبب هذا الحديث أنّ أحد أصحاب رسول الله(ﷺ) جرح في غزوة وكان ينزف دماً دون انقطاع ولم ينفع فيه الضّماد حتّى جاء حسان بن ثابت فقال: أأتوني بكافور فوضع الكافور على الجرح فجف الدّم ثمّ سأل النّبي(ﷺ) حساناً[٩]: من أين اقتبست هذا يا حسان، قال: حسان من قول الشّاعر[١٠]:

فكرت ليلة وصلها في هجرها
فجرت مدامع مقلتي كالعندم
فطفقت أمسح مقلتيَّ بخدّها
إذ عادة الكافور إمساك الدّم

فقال رسول الله(ﷺ): «إنّ في البيان لسحرا»، يعني أنّ بعض البيان يعمل عمل السّحر ومعنى السّحر إظهار الباطل في صورة الحق، والبيان اجتماع الفصاحة والبلاغة وذكاء القلب مع اللسان وإنما شبه بالسّحر لحدة عمله في سامعه وسرعة قبول القلب له[١١].

وقال كعب الأحبار[١٢]: «إنا نجد قوماً في التّوراة وأناجيلهم في صدورهم تنطق ألسنتهم بالحكمة وأظنهم الشّعراء»[١٣]، وقالت عائشة رووا أولادكم الشّعر تعذب ألسنتهم[١٤]، وكانت عائشة أمّ المؤمنين تحفظ كلّ شعر لبيد إذ قالت رحم الله لبيداً كان يقول[١٥]:

قصٍّ اللبانة لا أباً لك واذهب
والحق بأسرتك الكرام الغيّبِ
ذهب الّذين يعاش في أكنافهم
وبقيت في خلف كجلد الأجرب

وسمع النّبي(ﷺ) عائشة وهي تنشد شعر زهير بن جناب[١٦]:

---

(١) كعب بن زهير، ابن أبي سلمى المازني أبو مضر شاعر عالي الطّبقة من أهل نجد كان ممن عرف قبل الإسلام ولما ظهر الإسلام هجا النّبي(ﷺ) فهدر النّبي دمه فجاءه كعب مستأمناً فعفا عنه بعد إلقاء قصيدته المشهورة، وقد أسلم، ينظر: ابن قتيبة، الشّعر والشّعراء، ص٦١، ابن حجر، الإصابة في معرفة الصّحابة، ٢٧٩/٣، الزّركلي، الأعلام، ٢٢٦/٥.

(٢) مصطفى، محمود، الأدب العربي وتاريخه في عصر الإسلام والدّولة الأموية، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، «القاهرة، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م»، ص٤٠.

(٣) سورة الشّعراء، الآيات/٢٢٤- ٢٢٦.

(٤) ينظر: ابن رشيق، العمدة، ٣١/١.

(٥) سورة الشّعراء، الآية/٢٢٧.

(٦) ابن رشيق، العمدة، ٢٧/١.

(٧) المصدر نفسه، ٢٧/١، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٥/٤.

(٨) الهيثمي، مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد، ٢٢٨/٨.

(٩) مصطفى الأدب العربي وتاريخه، ص٣٨.

(١٠) ينظر: الجبوري، يحيى، الإسلام والشّعر، مطبعة الإرشاد، «بغداد، ١٣٨٣هـ/١٩٩٤م»، ص٥٢.

(١١) الميداني، مجمع الأمثال، ٢١/١.

(١٢) كعب الأحبار بن مانع بن ذي هجن الحميري أبو إسحاق تابعي كان قبل الإسلام من كبار علماء اليهود في اليمن وأسلم في خلافة أبي بكر وقدم المدينة في خلافة عمر فأخذ عنه الصّحابة وغيرهم كثيراً من الأخبار وأخذ هو من الكتاب والسّنة، توفي سنة «٣٢هـ/٦٥٢م»، الأصفهاني، حلية الأولياء، ٣٦٤/٥، ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصّحابة، ٢٩٧/٣، الزّركلي، الأعلام، ٢٢٨/٢.

(١٣) الأصفهاني، حلية الأولياء، ٣٦٤/٥، الزّركلي، الأعلام، ٢٨٢/٢.

(١٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٥٨/٥.

(١٥) المصدر نفسه، ٢٥٩/٥.

(١٦) زهير بن جناب بن هبل الكلبي من بني كنانة بن بكر، خطيب قضاعة وسيدها وشاعرها وبطلها ووافدها إلى الملوك في الجاهلية كان يدعى الكاهن لصحة رأيه في أهل اليمن، ينظر: ابن قتيبة، الشّعر والشّعراء، ١٣٠/١، الزّركلي، الأعلام، ٥١/٣.

ارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه
يوماً فتدركه عواقب ما جنى
يجزيك أو يثني عليك فإنّ من
أثنى عليك بما فعلت كمن جزى

فقال النّبي(صلى الله عليه وآله وسلم): «صدق يا عائشة لا يشكر الله من لا يشكر النّاس».

وقال عمر بن الخطاب: «أفضل صناعة الرّجل الأبيات من الشّعر يقدمها في حاجته يستعطف بها قلب الكريم ويستحل بها قلب اللئيم»[1]، وقال عمر بن الخطاب لعبد الله بن عبّاس: «أنشدني لأشعر النّاس الّذي لا يعاظل بين القوافي ولا يتتبع حوشي الكلام قال: من ذلك يا أمير المؤمنين، قال: زهير بن أبي سلمى فلم يزل ينشده من الشّعر حتّى أصبح وكان زهير لا يمدح إلا مستحقاً»[2]، وقال عمر بن الخطاب للوفود الّتي قدموا عليه من غطفان من الّذي يقول:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة
وليس وراء الله للمرء مذهب

قالوا النّابغة بن الذّبياني قال عمر فمن قال هذا الشّعر:

أتيتك عارياً خلقاً ثيابي
على وجل تظن بي الظّنون
فألقيت الأمانة لم تخنها
كذلك كان نوح لا يخون

قالوا: هو النّابغة قال هو أشعر شعرائكم ما أحسن عمر ذهب إلى أنّه أشعر شعراء غطفان ويدل علماً إن أشعر شعرائكم[3].

يتبين مما تقدم أنّ الخليفة عمر بن الخطاب له خير شهادة، بأنّ أعلى هرم في الدّولة العربية الإسلامية يستشهد في الشّعر العربي في المواقف الّتي تحتاج إلى التّأثير في نفس المقابل، لما يحمله الشّعر العربي من قدرة الوصول إلى أعماق النّفوس والتّأثير فيها، لأنّه المادة الإعلامية الّتي تصل بسرعة كما هو تأثير الأعلام في الوقت الحاضر.

وقال الإمام علي(عليه السلام): «الشّعر ميزان القول»[4]، وللإمام علي أراجيز في الحرب، وهي مقطوعات من الشّعر الحماسي وكان(عليه السلام) إذا أراد المبارزة في الحرب يقول[5]:

أي يومي من الموت أفر
يوم لا يقدر أم يوم قدر
يوم لا يقدر لا أرهبه
ومن المقدور لا ينجو الحذِر

إذ قال الإمام علي(عليه السلام)[6]:

النّاس من جهة الآباء أكفاءُ
أبوهم آدم والأم حواء
نفس كنفس وأرماح مشاكلة
وأعظم خلقت فيها وأعضاء
وإنما أمّهات النّاس أوعية
مستودعات وللأحساب آباء
فإن يكن لهم من أصلهم شرف
يفاخرون به فالطّين والماء

وقال الإمام علي(عليه السلام)[7] عند قبر فاطمة الزّهراء(عليها السلام):

حبيب بات يأسرني الحبيب
وما سواه في قلبي نصيب
حبيب غاب عن عيني وجسمي
وعن قلبي حبيب لا يغيب

وكان الإمام علي(عليه السلام)[8] إذا سار بأرض الكوفة يرتجز ويقول:

يا حبذا السّير بأرض الكوفة
أرض السّواء سهلة معروفة

نستنتج مما تقدم أنّ للشعر وظائف هي:

أوّلاً: تدوين الوقائع والأيّام وأخبار ويحمل ثقافاتهم.

ثانياً: أنّه كان بمنزلة علم القوم ولا يوجد لديهم علم يوازيه سوى الأنساب.

ثالثاً: أنّه يمثل فلسفته لاحتوائه على الحكم والأمثال والأقوال المأثورة ويحمل همومهم.

رابعاً: استخدم لخدمة الدّين الإسلامي كأعلام لدى شعراء الرّسول(صلى الله عليه وآله وسلم).

(١) الجاحظ، البيان والتّبيين، ١٠١/٢، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٥٨/٥.
(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٥٤/٥.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) ابن رشيق، العمدة، ٢٨/١، الجبوري، الإسلام والشّعر، ص١١٥.
(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٧٤/٥.

(٦) ديوان الإمام علي(عليه السلام) شرحه وضبط نصوصه: عمر فاروق الطّبّاع، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنّشر والتّوزيع، «بيروت، د. ت»، ص١٣٢.
(٧) ديوان الإمام علي(عليه السلام)، جمع وترتيب: صابر، القاري المكتبة العصرية «بيروت، ١٤٤٠هـ/٢٠٠٣م»، ص٢.
(٨) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٧٢/٥.

خامساً: توظيفه في حفظ لغة القرآن عن طريق استنباط قواعد النّحو والصّرف وغيرها من علوم اللغة.

سادساً: استعماله في تفسير القرآن وغريب الحديث.

لهذا اهتم به الرّسول(ﷺ) والخلفاء الرّاشدون وقد نهج قضاة الكوفة نهج الرّسول(ﷺ) والخلفاء، وسوف نبين إسهاماتهم في هذا الميدان على النّحو الآتي:

أوّلاً: أسهم قاضي الكوفة شريح الكندي[١] في قول الشّاعر إذ كان شاعراً محسناً[٢] عن الشّعبي قال: كان شريح ربما سئل عن الشّعر فقال يوماً:

أبر على الدّنيا الملامة إنّه
حريص على استخلاصها من يلومها

وكان شريح شاعراً معجباً فائقاً قاضياً[٣]، ونورد هذه الأبيات لشريح الكندي:

قد سمع الحاكم ما قلتما
ثمّ قضى بينكما ثمّ فصل
وبقضاء جائز بينكما
إنّ على الحاكم جهداً إن عقل
أيتها الجدة بيني بالصبي
ثمّ خذي ابنك من ذات العلل
فإنّها لو صبرت كان لها
من بعد دعواها يمين البدل

ويبدو من هذه الأبيات أنّ القاضي شريحاً كان يقول الشّعر في الموافق الّتي تسبق الحكم، وطلبه من المتقاضين حتّى يستطيع أن يحكم بينهم بالعدل وكي يطمئن إلى عدالة القاضي من خلال عدم التّفريق بينهم في الوقوف أمامه والنّظر إليهم ثمّ إصدار الحكم وقوله الشّعر مما به حكمة وعظة لهم[٤].

ثانياً: عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود «ت ١٠٢هـ/٧٢٢م»، وكان أحد فقهاء زمانه تابعياً جامعاً للعلم[٥]، وكان مع إمامته في الفقه والحديث، شاعراً محسناً وهو مؤدب عمر بن عبد العزيز وله شعر نورد منه هذه الأبيات الّتي يقول[٦]:

تغلغل حب عثمة في فؤادي
فباديه مع الخافي يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب
ولا حزن ولم يبلغ سرور
شققت القلب ثمّ رددت فيه
هواك فليم فالتأم الفطور
وانقاد حاك سواد قلبي
فأنت عليّ ما عشنا أمير

وهذه الأبيات من الشّعر الوجداني الرّقيق الّتي يمكن حملها على أنّها ذات دلالات صوفية رمزية ترمز إلى الحب الإلهي وليس من الغزل، لأنّ تغلغل هذا الحب يبدو مبهماً غامضاً لم يبلغ حزناً ولا سروراً، فهو يجمع الحالتين، وكذلك واكب ظاهره باطنه فلا هو واضح ولا هو غامض وهو في حال تخلخل وعدم استقرار يشير إلى حالة القلق، هذا فضلاً عن أنّ عبيد الله بن عتبة قد اشتهر بنسكه وزهده وتفرد في ذلك حتّى كان ذا منزلة عند الخليفة الزّاهد عمر بن عبد العزيز، الّذي قال: «لئن يكون لي مجلس من عبد الله أحب إليّ من الدّنيا، وقال: والله إنّي لأشتري ليلة من ليالي عبيد الله بألف دينار من بيت المال، فقالوا: يا أمير المؤمنين، تقول هذا مع تحريك وشدة تحفظك فقال: أين يذهب بكم؟ والله إنّي لأعود برأيه وتضحيته وبهدايته على بيت مال المسلمين بألوف وألوف، إنّ هذه الحادثة تلقحاً للعقل وترويحاً للقلب وتسريحاً للهم وتنقيحاً للأدب»[٧].

والمهم أنّ عبيد الله كان مقتدياً بجدّه ابن مسعود بالخلق والالتزام الدّيني، ولعل ما بعثه على الزّهد والتّنسك انحراف أهل زمانه في ظل الدّولة الأموية حتّى جاء من الأمويين من عرف قدره، لكن في تلك المرحلة لم تكن الشّعرية الصّوفية قد نضجت مصطلحاتها وتبيّن إنتاجها الفكري والفني كي يميز المتلقي بين الشّعر الصّوفي، والغزل الاعتيادي، لذا عاتبه بعضهم بقوله: «أتقول الشّعر في النّسك والفضل والفقه؟ فقال: لا بد للمصدور من أن ينفث»[٨]، يعني أنّه من كان في صدره زكام فلا بد من أن ينفث زكمه من صدره يريد أن كلّ من اختلج في صدره شيء من شعره وغيره ظهر على لسانه[٩].

(١) ينظر: العجلي، الثّقات، ٢١٦.
(٢) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤٦٢/٢.
(٣) وكيع، أخبار القضاة، ٢١٠/٢- ٢١١.
(٤) ينظر: المصدر نفسه، ٢١٠/٢.
(٥) العجلي، الثّقات، ص٣١٧، الذّهبي، تاريخ الإسلام، ٤٢٢/١.
(٦) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١١٦/٣، الشّنتمري، أبو الحجاج بن سلمان بن عيسى الأعلم، «٤٧٦هـ/١٠٨٣م»، الحماسة، تحقيق: مصطفى عليان، مطبعة جامعة أم القرى، «مكة، ١٤٢٣هـ»، ٣٠٤/٢.
(٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١١٥/٣- ١١٦.
(٨) الجاحظ، البيان والتّبيين، ٩٩/٢.
(٩) ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٢٤٢/١٢، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٩٦/٥.

ثالثاً: أسهم القاضي عامر الشّعبي «ت ١٠٥هـ/٧٢٣م» في هذا الميدان من خلال روايته[١] للشعر وكان ذا قدرة كبيرة على الشّعر وفنونه وروي عنه قوله: «ما أروي شيئاً أقل من الشّعر ولو شئت لأنشدتكم شهراً لا أعيد»[٢]، وقد سئل الشّعبي أتحب الشّعر، فقال: «أمّا أنّه يحبه فحول الرّجال ويكرهه مؤنثهم»[٣].

ويبدو من هذا النّص أنّ الشّعر هو جزء كبير من شخصيته إذ قرنه بالرّجولة، فالرّجل لا بد أن يقول الشّعر لما للشاعر من مكانة اجتماعية راقية في مجتمعه ومن خلاله يستطيع أن يقول الحكمة الّتي تصل إلى عقول وضمائر النّاس أوسع من غيرها من الفنون، يقول الشّعبي: دخلت على عبد الملك بن مروان فاسمعني ضروباً من العلم فأخذت منها بحظ وافر، ويقول الشّعبي أنشدته سبعين دالية، وإذ انتهيت إلى قصيدة الأسود الّتي يقول فيها:

نزلوا بأنقرة يسيل عليهم
ماء الفرات يجيء من أطوار

فقال عبد الملك بن مروان: «يا شعبي إنّك لكنف علم، وكان الشّعبي ينشد الشّعر في المساجد»[٤]، ولم يكن القاضي الشّعبي راوية للشعر حسب وإنما كان يميز بين الجيد من الشّعر وغيره، بمعنى أنّه ذو حس نقدي ويميز بين الشّعراء ولكن حتّى في حكمه على الشّعراء ومقدرتهم يعود فيه على الأثر الوارد عن أصحاب رسول الله(ﷺ)[٥]، وكان الشّعبي كثيراً ما يتمثل ببعض الأبيات ويزيد من ترديدها لما فيها من الحكمة إذ كان يروي هذا البيت:

ليست الأحلام في حين الرّضا
إنّما الأحلام في حين الغضب

وسئل الشّعبي عن عين لطمت فشرقت واغرورقت، فقال:

لها أمرها حتّى إذا ما نبوأت
بأخفافها مأوى تبوّأ مضجعاً[٦]

بمعنى أنّه كان يستطيع أن ينظم البيت والبيتين ارتجالاً في بعض المواقف لتصويرها بوصفها رداً على سؤال.

رابعاً: محارب بن دثار[٧]، فكان مبدعاً في الأدب وله إسهامات في الشّعر وله قصيدة يقول فيها[٨]:

أحمد خالقي حمداً كثيراً
بدأ خلقي فأنشأه سويا
ومَنَّ عليّ بالإسلام حتّى
عرفت الدّين مقتبلاً صبيا
وضمّت محكم الفرقان قلبي
فكنت لمن يدين له وليّا
وآخر مولدي قرنا فقرنا
إلى الإسلام لم أك جاهليا

وهذا من الشّعر الّذي يسود فيه المضمون العقلي على العواطف والأفكار وهو أبيات نظمت لتصوير موقف منفرد وهذا أشبه بشعر العلماء.

خامساً: عبد الله بن شبرمة[٩] كان راوية شاعراً وكان خطيباً ناسكاً وكان فقيهاً ثقة قليل الحديث[١٠].

ويفتي بين النّاس[١١] وكان عبد الله في بعض الأحيان يلجأ للشعر للفصل بين الخصوم إذ يقول[١٢]:

حتّى لا نرى عدلاً نسر به
ولا يدال على قوم بما ظلموا
سر وآخره دنيا مولّية
لبئس ما منعوا لو أنّهم علموا

سئل عبد الله بن شبرمة عن مسألة فلم يصب فيها، فقال له نوح بن دراج: «تثبت فيها فعلم أنّه لم يصب فقال ردوا عليه الرّجل فردوه عليه فأنشأ يقول:

كادت تزل بها من حالة قدم
لولا تداركها نوح بن دراج[١٣]
لما رأى هفوة القاضي أحرجها
من معدن الحكم نوح أي إخراج»[١٤]

(١) ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٩٦/٥، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٢/٣، الزّيلعي، نصب الرّاية، ٣٣/١٢.
(٢) الذّهبي، تذكرة الحفاظ، ٨٥/١، اليافعي، مرآة الجنان، ٢١٧/١٢.
(٣) اليافعي، مرآة الجنان، ٢١٧/١.
(٤) اليافعي، مرآة الجنان، ٨٢/١.
(٥) ينظر: الأصفهاني، حلية الأولياء، ٣٤٣/٤، اليافعي، مرآة الجنان، ٢١٨/١.
(٦) وكيع، أخبار القضاة، ٤٢٠/٢.
(٧) ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ٤٢٠/٢، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٩٦/٥، البلخي، قبول الأخبار ومعرفة الرّجال، ١٢٥/٢.
(٨) وكيع، أخبار القضاة، ٢٩/٣.
(٩) ينظر: ابن خياط، تاريخ، ص٢٨٦، البلاذري، أنساب الأشراف، ٩٦/٩، ابن الأثير، الكامل، ٢٤٠/٤.
(١٠) ينظر: الجاحظ، البيان والتّبيين، ٣٣٦/١، البلخي، قبول الأخبار، ٤٨/٢.
(١١) ينظر: وكيع، أخبار القضاة، ٩٠/٣.
(١٢) وكيع، أخبار القضاة، ٩٠/٣.
(١٣) نوح بن دراج، أبو محمّد النّخعي مولاهم الفقيه قاضي الكوفة ثمّ قاضي بغداد، الجانب الشّرقي عنهم تفقه على أبي حنيفة وعبد الله بن شبرمة وروى عنهم، توفي، «١٨٢هـ/٧٩٩م»، الخطيب البغدادي، تاريخ، ٣١٥/١٣، الذّهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرّجال، ٣٥٣/٤.
(١٤) وكيع، أخبار القضاة، ١٨٢/٣، الخطيب البغدادي، تاريخ، ٣١٥/١٣.

وهذا يدل على سرعة بديهية وحسن ارتجاله الشّعر في المواقف المنفردة وكان عبد الله بن شبرمة يرفع إلى محمّد بن أبي ليلى قاضي الكوفة في نسبه في هذه الأبيات، يقول[١]:

وكيف ترجى لفصل القضا
ولم تصب الحكم في نفسكا
فتزعم أنك لابن الجلاح
وهيهات دعواك من أصلكا

وكان لعبد الله بن شبرمة شعر رائع في الحماسة شد فيه الأزر على الصّمود والصّبر في الطّف واحتدام الصّدام بين المقاتلين ويحفز الرّجال الأبطال على الصّمود في المعارك يقول:

ويوم شديد الحر قصر طوله
دم عنا واصطفاف المزاهر
كأنّ أباريق الشّمول لديهم
إوزٌّ على الطّف عوج الخناجر

وكتب عمرو بن عبيد[٢] إلى عبد الله بن شبرمة يحثه على الجهاد والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر فكتب إليه عبد الله بن شبرمة:

الأمر يا عمرو بالمعروف ناقلة
والقائمون به لله أنصار
والتّاركون له عجزاً لهم عذر
واللائمون له يا عمرو أشرار
الأمر والنّهي لا بالسّيف تشهره
على الخليفة أنّ القتل إضرار[٣]

سادساً: ومن القضاة من كان موقفه سلبياً من الشّعر إذ زهدوا فيه ولعلهم تأثروا بأحد جوانب الآية الكريمة: ﴿**فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ**﴾[٤]، ومنهم مسروق بن الأجدع، «ت ٦٣هـ/٦٨٢م» وفد على عمر بن الخطاب وكان شاعراً[٥] سأل على بيت شعر فقال: «إنّي أكره أن أجد في صحيفتي شعرا»[٦] وكان شاعراً لمعاوية بن أبي سفيان[٧] وبلغ فيه الزّهد في الدّنيا لا يرغب في شيء منها قانعاً بالأقل مما يملك ويقول بهذا الشّأن: إنّي أحسن ما أكون ظناً حين يقول: لي الخادم ليس في البيت قفيز[٨]، ولا درهم، وكان يتمثل بالأبيات الآتية:

ويكفيك مما أعلق دونه
وأرخى عليه السّتر ملح وجردق
وماء فرات بارد ثمّ تغتذي
تعارض أصحاب الثّريد المليق
تجشا إذا ما هم تجشوا كأنما
عذيت بألوان الطّعام المفتق[٩]

وخلاصة القول أنّ قضاة الكوفة لم يكن دورهم مقتصراً على القضاء وتعليم القرآن الكريم ولكنهم اهتموا بالشّعر قولاً ورواية، ونقداً لما للشعر من أهمية كبيرة في الحياة الاجتماعية أو الثّقافية العربية، ولعلهم نهجوا نهج الرّسول(ﷺ) والصّحابة وموقفهم من الشّعر، إذ رووا الصّالح منه وكان لشخصيتهم أثر في الشّعر الّذي رووه أو قالوه فكان يتضمن الحكمة وتقييم المواقف الّتي تتصل بعملهم بوصفهم قضاة، وكان بعضهم قد زهد فيه ومنهم، مسروق بن الأجدع، في حين حثّ عبد الله بن أبي شبرمة على تعلمه فقال: «إذا سرك أن تعظم في عين من كنت في عينه صغيراً ويصغر في عينك من كان في عينك عظيماً فتعلم العربية فإنّها تجريك على المنطق»[١٠].

يبدو لنا مدى تأثير الشّعر في النّفوس إلى الحد الّذي يعمل على تعظيم قائله في نفس من تجاهله لما به من قوة وبيان وفصاحة وحكمة لا يستطيع الوصول إليها إلا من لديه القدرة الكبيرة على ذلك وفي المقابل يستطيع أن يعرف من خلاله من كان عظيماً وهو عكس ذلك فارغ العلم والأدب وتعلم العربية تجعل الإنسان ذا تأثير في النّفوس لأنّ العربية لغة أهل الجنة.

المبحث الثّالث
علاقة قضاة الكوفة بالمجتمع

اتسمت العلاقة الاجتماعية في الكوفة منذ تأسيسها «١٧هـ/٦٣٨م»، بالطّابع القبلي فكان للقبائل العربية الّتي وفدت إليها أثر في التّطورات السّريعة الّتي شهدتها المدينة فقد أدت

(١) العجلي، الثّقات، ص٤٠٨.
(٢) عمرو بن عبيد الطّنافي ويكنى أبا حفص مولى لإياد بن نزار بن معد، توفي سنة «ت ١٨٥هـ»، شيخاً قديراً وكان ثقة، ابن سعد، الطّبقات، ٣٦١/٦.
(٣) وكيع، أخبار القضاة، ٩٢/٣.
(٤) سورة الشّعراء، الآية/٢٢٥- ٢٢٦.
(٥) ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ١٣٨/٦، ابن خياط، تاريخ، ص١٤١، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٨٥/٢، الخطيب البغدادي، تاريخ، ٢١٣/١٣.
(٦) ابن سعد، الطّبقات، ٨٠/٦، الذّهبي، تاريخ، ٢٤٠/٥.
(٧) ينظر: الجزائري، عبد النّبي «ت ١٠٢١هـ/١٦١٢م»، حاوي الأقوال في معرفة الرّجال، تحقيق: مؤسسة إحياء التّراث، «طهران، ١٤١٨هـ»، ٣٣٦/٤.
(٨) قفيز: مكيال، وهو ثمانية مكاليك كلّ مكلوك /٣/ كيلجات وكلّ كليجة تساوي /٦٠٠/ درهم أي حوالي /٤٥/ كغم قمح، ينظر: الماوردي، الأحكام السّلطانية، ص١٤٩، ١٥٠.
(٩) الأصفهاني، حلية الأولياء، ٩٧/٢.
(١٠) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ١٥٧/١.

تلك القبائل إلى تطوير الجوانب الاجتماعية[١]، وكان الخليفة عمر بن الخطاب يقول في ذكر أهل الكوفة إنّها: «رمح الله وكنز الإيمان وجمجمة العرب يجزون ثغورهم[٢] ويمدون الأمصار»[٣].

ونزل الكوفة عدد كبير من الصّحابة قدره بعضهم بثلاثمئة من أصحاب الشّجرة وسبعين من أهل بدر وقدره بعضهم بألف وخمسمئة[٤]، لذلك احتل القضاة مكانة متميزة من بين هؤلاء الصّحابة في الكوفة واهتم الخلفاء والولاة بالقضاة الّذين كانوا ذوي ثقل اجتماعي وسياسي كبير لما لهم من تأثير وهيبة على إصدار الأحكام وتنفيذها إذ كان أغلب القضاة في الكوفة من صحابة رسول الله(ﷺ) والزّهاد ذوي التّأثير الاجتماعي القوي ولهم مكانة دينية وعلمية واجتماعية جعلت لهم منزلة بين النّاس عندما تولوا القضاء[٥].

وقد وضع القضاة مصلحة النّاس في المقام الأوّل فتجاوزوا رغباتهم الذّاتية لهذه الغاية، وبذلوا بهذا الاتجاه كلّ ما في وسعهم، مجسدين ما جاء في الحديث الشّريف: «خير النّاس أنفعهم»[٦]، وبذلك يبدو القاضي أنّه موجه للمسلمين في مجلس القضاء وخاصة في كتاب الله والسّنة النّبوية الشّريفة، وعلى الرّغم من ذلك كانت علاقة قضاة الكوفة بالمجتمع فيها نوع من الصّعوبة، لأنّ المجتمع مكون من قبائل مختلفة قدمت إلى الكوفة، أثناء حروب التّحرير والفتح وخير دليل على ذلك ما جرى لسعد بن أبي وقاص الّذي عده بن خياط من قضاة الكوفة، فضلاً عن أنّه قائد جيش في القادسية، إنّ أهل الكوفة سعوا به إلى الخليفة عمر بن الخطاب وقالوا: أنّه لا يحسن الصّلاة؟ فقال سعد: «أمّا أنا فكنت أصلي بهم صلاة رسول الله(ﷺ) لا أحزم عنها أركد في الأوليين وأحذف في الأخريين»، فقال عمر بن الخطاب ذاك الظّن «بك يا أبا إسحاق فأرسل الخليفة عمر بن الخطاب رجالاً يسألون عنه بالكوفة فجعلوا لا يأتون مسجداً من مساجد الكوفة إلا قالوا خيراً وأنبئوا معروفاً حتّى أتوا مسجداً من مساجد بني عبس فقال رجل يقال له أبو سعدة أمّا إذ سألتمونا عنه فإنّه كان لا يقسم بالسّوية ولا يعدل في القضية»[٧].

وعندما سأل عمر بن الخطاب عمرو بن سعد بن يكرب عن سعد بن أبي وقاص قال: كيف أميركم قال: كان عربياً كريماً شجاعاً في مقدمة الجيش وكان عادلاً في جميع شؤون المسلمين ويقسم الأرزاق بين المسلمين بالتّساوي[٨].

من هنا يظهر ما كان يعانيه القضاة من صعوبة في إرضاء النّاس نظراً لرؤية كلّ فرد إلى حاكته الّتي يرمي تحقيقها، وبالرّغم من أنّ الخليفة عمر بن الخطاب: «كان إذا استعمل عاملاً اشترط عليه أن لا يلبس رقيقاً ولا يغلق بابه دون الحاجات فإن فعل فقد حلت عليه العقوبة»[٩].

كان الخليفة عمر بن الخطاب شديد الحرص على العدالة الاجتماعية بين الرّعية قال: «ويل لديان أهل الأرض من ديان أهل السّماء يوم يلقونه إلا من أمر بالعدل وقضى بالحق ولم يقض بهوى ولا لقرابة ولا لرعية ولا لرهبة وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه»[١٠].

ويبدو لنا من خلال النّص تشديد الخليفة عمر بن الخطاب على العقاب الّذي سوف يلحق بالّذين لا يخشون الله ويحكمون بغير الحق في رعاياهم واليوم الّذي سوف يلقون الله جل شأنه إلا من عدل بين النّاس وحكم في الحق إذ قال الرّسول(ﷺ) «رأس الحكمة مخافة الله»، ولكي يعم العدل في المجتمع تدخل في صدقات النّساء عن قاضي الكوفة شريح عن الخليفة عمر بن الخطاب قال: لا تغالوا بصدقات النّساء فإنّها لو كانت مكرمة عند الله أو تقوى كان أحقكم بها رسول الله(ﷺ) والله ما أصدق رسول الله وأحدة من نسائه ولا أصدق وأحدة من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية[١١][١٢].

وكان الإمام علي(عليه السلام) أيّام خلافته في الكوفة يحث أبناء المجتمع على أحسن الأعمال بقوله: «أيّها النّاس إنما الدّنيا دار مجاز والآخرة دار قرار فخذوا من ممركم إلى مقركم، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم وأخرجوا من الدّنيا قلوبكم من قبل أن تخرج أبدانكم ففيها اختبرتم ولغيرها خلقتم»[١٣].

(١) ينظر: العلي، صالح أحمد، الكوفة وأهلها في صدر الإسلام، دراسة في أحوالها العمرانية وسكانها وتنظيماتهم، شركة المطبوعات للتوزيع والنّشر، «بيروت، ٢٠٠٣م»، ص١٠٦.

(٢) ثغور: كلّ موضع قريب من أرض العدو يسمى ثغراً، الحموي، معجم البلدان، ٩٣/٢.

(٣) ابن سعد، الطّبقات، ٥/٦.

(٤) ينظر: ابن هشام، السّيرة النّبوية، ٣٠٣/٣.

(٥) ينظر: عبد الله، رمزي إبراهيم، أبو موسى الأشعري ودوره السّياسي والعسكري في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب «جامعة الموصل، سنة ١٩٨٩»، ص٣٤- ٣٦.

(٦) السّيوطي، الجامع الصّغير، دار الفكر، «بيروت، ١٩٨١م»، ١٢٣/١.

(٧) ينظر: ابن خياط، تاريخ، ص١٧٤، البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٩١.

(٨) ينظر: الجاحظ، البيان والتّبيين، ٦٨/٢، البلاذري، فتوح البلدان، ص٩٢.

(٩) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٥٣/١، الذّهبي، تاريخ الإسلام، ٢٦٦/٣.

(١٠) وكيع، أخبار القضاة، ٣٢/١.

(١١) الأوقية، هي سبعة مثاقيل زنتها أربعون درهماً وهكذا فسر الحديث يعني بالحديث: لم يصدق امرأة من نسائه أكثر من اثنى عشر أوقية، ينظر: الزّبيدي، تاج العروس، ٣٠٦/٢٠.

(١٢) ينظر: ابن حنبل، مسند، ٦٤/١، وكيع، أخبار القضاة، ٢٠١/٢.

(١٣) وكيع، أخبار القضاة، ١٢١/٣.

ويبدو لنا من خلال هذا الكلام البليغ لسيد البلاغة إنّ الدّنيا ما هي إلا دار فناء والآخرة دار البقاء يجب على الإنسان أن يعمل خيراً لنفسه ولغيره كي يكون زاداً له في الآخرة ويجب أن يعمل في الدّنيا ولا ينسى الآخرة الّتي لا بد من الرّحيل إليها وسوف يحاسب على كلّ عمل قام به وسوف يثاب أو يعاقب.

كانت علاقة عبد الله بن مسعود بأبناء المجتمع الإسلامي علاقة وثيقة بنيت على ما جاء في الإسلام من احترام لصحابة رسول الله(ﷺ) والعاملين في مجال تحقيق العدالة، يقول أبو مخنف: عندما أمر عثمان بن عفان بإرسال عبد الله بن مسعود إليه وأوصى أهل الكوفة بتقوى الله وألزم القرآن فقالوا له جزيت خيراً فلقد علمت جاهلنا وثبّتّ عالمنا وأقرأتنا القرآن وفقّهتنا في الدّين فنعم أخو الإسلام[١].

ثمّ قال أهل الكوفة لعبد الله بن مسعود: «أقم ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه فقال عبد الله بن مسعود أنّ له طاعة وأنّها ستكون فتنة لا أحب أن أكون أوّل من فتحها فرد النّاس»[٢].

وكان أبناء المجتمع الإنساني يرفضون القاضي الضّعيف الّذي يحسون أنّه لا يحقق العدالة لأي سبب كان وخير دليل على ذلك ما جاء في سبب استعفاء قاضي الكوفة شريح الكندي أنّ رجلاً لقي شريحاً في الطّريق فقال: يا أبا أمية قضيت والله جوراً قال: وكيف ذلك؟ ويحك قال: كبرت واختلط عقلك وارتشى ابنك فقال؟ شريح لا جرم لا يقولها أحد بعدك فأتى الحجاج بن يوسف والي الكوفة، فقال: «والله لا أقضي بين اثنين فأعفاه من القضاء»[٣].

عندما توفى سعد بن معاذ قال الصّحابة لرسول الله(ﷺ) لقد رأيناك صنعت على سعد ما لم تصنعه على أحد، قال رسول الله(ﷺ): «إنّه في خلقه مع أهله سوء»[٤].

وطبعت علاقة القاضي بعائلته بالود والتّقدير، فقاضي الكوفة شريح الكندي كان يقدر زوجته ويحترمها ويصفها بأنّها[٥] خير زوجة وكان اسمها زينب، وقد قال فيها:

رأيت رجالاً يضربون نساءهم
فشلت يميني يوم تضرب زينب
أأضربها من غير ذنب أتت به
فما العدل مني ضرب من ليس يذنب

(١) ينظر: أبو مخنف، تاريخ، ٧٢/١، البلاذري، أنساب الأشراف، ١٤٧/٦.
(٢) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصّحابة، ٤٠٠/٣.
(٣) وكيع، أخبار القضاة، ١٩٢/٢، ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٦١/٢- ٦٢، ابن الجوزي، صفوة الصّفوة، ٤١/٣.
(٤) ينظر: الصّدوق، علل الشّرائع، ٣١/١.
(٥) وكيع، أخبار القضاة، ٣٤٤/١، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٧٥/٥، الأصفهاني، حلية الأولياء، ٤٢/٥.

وكان يتشاور مع أهل بيته في الأمور تستجد فعندما استعمل محارب بن دثار قاضي الكوفة بكى فبكى أهله وعزل عن القضاة فبكى وبكى أهله[٦].

ومن رعاية القاضي في الكوفة لأسرته تعلم وزرع الخصال الحميدة في نفوسهم، ومثال ذلك كان القاضي شريح يحرص على تعلم أولاده ومتابعتهم ولا يتوانى في محاسبتهم على تقصيرهم[٧]، وينصح قاضي الكوفة عبد الله بن شبرمة أبناءه وأبناء أخيه بتجنب مصاحبة الأشرار من النّاس مبيناً لهم مساوئ هذا السّلوك وآثاره السّلبية[٨].

وكان للقضاة حقوق في بيت المال إذا كلفوا بالتّفرغ لهذا العمل، يروى أنّ الخليفة عمر بن الخطاب استعمل زيد بن ثابت على القضاء وفرض له رزقاً[٩]، لكن بعضهم ممن تربيته إسلامية رفيعة، كانوا يترفعون عن أخذ حقوقهم إيثاراً منهم راجين الباري عز وجل من أجل نيل ثواب الآخرة، فهم يؤثرون سواهم على أنفسهم لذا لم يأخذوا أجراً، يروي ابن سعد أنّ القاضي مسروق الأجدع لا يأخذ على القضاء رزقاً.

ويروى أنّ خالد بن عبد الله القسري عامل الكوفة أهدى إلى مسروق ثلاثين ألفاً وهو يومئذ محتاج فلم يقبلها[١٠]، وهذا يدل على سمو الرّوح والتّرفع والإيثار، أي إيثار الغير على النّفس ولم يقبل هدية على الرّغم من أنّه محتاج.

وفي رواية أخرى تظهر مدى حب قاضي الكوفة مسروق الأجدع لأبناء المجتمع الإسلامي ولاسيّما المجاهدون والمساكين منهم[١١]، إذ يروى أنّ مسروقاً زوج ابنته بالسّائب بن الأقرع على عشرين ألف اشترطها لنفسه، وقال له: جهز أنت امرأتك من عندك وجعلها «أي الأموال» في خدمة الفقراء من أبناء مجتمعه[١٢].

وكان القضاة في الكوفة يتعرضون أحياناً لسخرية بعض النّاس ومضايقتهم ممن دأبوا على إثارة المشاكل عليهم بغية النّيل من شخص القاضي ونزاهته وعدالته مثل ما جرى للقاضي عامر الشّعبي إذ اختصم رجل وامرأة عنده فقضى على الرّجل فأنشأ الرّجل يقول[١٣]:

(٦) ينظر: الأبشيهي، المستظرف، ٢٢٠/٢.
(٧) ينظر: وكيع، أخبار القضاة، ٢٥/٣، الذّهبي، تاريخ الإسلام، ٢٩٨/٤.
(٨) ينظر: الجاحظ، البيان والتّبيين، ٨٤/٢، ٨٥، وكيع، أخبار القضاة، ٢٠٨/٢، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤٥٣/٢.
(٩) ينظر: وكيع، أخبار القضاة، ١٠٨/١.
(١٠) ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ٧٩/٦، الخطيب البغدادي، ٢١٣/١٣.
(١١) ينظر: الذّهبي، تاريخ الإسلام، ٢٣٩/٥.
(١٢) ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ٨٢/٦، الذّهبي، تاريخ الإسلام، ٢٣٩/٥.
(١٣) وكيع، أخبار القضاة، ٤١٧/٢.

فـــــتن الـــــشّعبي لمـــــا
رفـــــع الطّـــــرف إليهـــــا
فتنتـــــــه بقـــــــوام
وبخطـــــــي حاجبيهـــــــا
وبنـــــــان كالمـــــــداري
وبحـــــــسن مقلتيهـــــــا
كيـــــف لـــــو أبـــــصر منهـــــا
نحرهـــــــا أو ســـــــاعديها
فقـــــضى جـــــوراً علينـــــا
ثـــــمّ لـــــم يقـــــض عليهـــــا

وهناك من المسلمين من يقابلون هذا السّلوك بالرّفض والاستنكار لأنّه يمس هيبة قضاتهم وكرامتهم يتجلى ذلك عندما هجا الكميت من بني سعد القاضي محارب بن دثار بقوله[1]:

عمـــى بقـــضاء المـــسلمين محـــارب
وبـــالرّزق جـــاء الهـــلال بـــصير

فقالوا هجوت قاضينا لنمنعنّك الصّلاة في المسجد فكفّ عنه[2].

وضمن حدود الحزم والتّقوى وجلال المكانة كان القضاة يحبون الظّرف ويميلون إلى الدّعابة شأنهم في ذلك شأن غيرهم من النّاس، يروي وكيع[3] عن معبد بن خالد قال: لقيني شريح فقال: قد أكلت اليوم لحماً قد أتي عليه عشر سنين، قال فقلت إنّك لا تزال تأتينا بالعجائب فقال: كانت عندي ناقة منذ عشر سنين فنحرتها اليوم فأكلتها وقيل للقاضي شريح كثير المزاح أيهما أطيب الجوزنيق[4] أو اللوزنيق[5]، قال لست أحكم على غائب[6]، يبدو أنّ القاضي أراد ليذوقهما ليحكم أيهما أطيب، وسئل رجل قاضي الكوفة عامر الشّعبي قائلاً: ما اسم امرأة إبليس، قال: ذلك عرس ما شهدته[7].

وفي عدل الشّعبي الاجتماعي يقال: «عجَّلَ على خصم فضربه سوطاً ثمّ مشى إليه فقال اقتص»[8]، ويؤكد مسروق الأجدع قاضي الكوفة حرصه على المجتمع وتحقيق العدالة بين أبنائه قائلاً: «ما عملت عملاً أخوف عندي أن يدخلني النّار من عملكم هذا أو ما بي أن أكون ظلمت فيه مسلماً ولا معاهداً»[9].

وكان قضاة الكوفة حريصين أشد الحرص على اختيار الأسماء والألقاب لأبناء المجتمع، لما يجلبه ذلك للشخص من وقار وهيبة، فعن الشّعبي قال جاء رجل في حاجة فقلت له: أبو من؟ أبو حركوس، قالت: أما وجدت كنية غيرها؟ انزعوا ثيابه، قال: إن رأيت أن تتركني إلى ساعة فلآتيتك ولما أجود أهل الكوفة فتركته ساعة، ثمّ قال أبو من؟ قال: أبو عمرو، قال: انطلق راشداً[10].

وعن الشّعبي، قال: لقيني شريح فقال يا شعبي عليك بنساء بني تميم فإنّي رأيت لهن عقولاً قال: وما رأيت من عقولهن قال: أقبلت في جنازة ظهراً بدورهم فإذا أنا بعجوز على باب دار وإلى جنبها جارية كان أحسن ما رأيت من الجواري فعدلت فأسقيت وما بي عطش قالت: أي الشّراب أحب إليك؟ فقلت: ما تيسر، قالت: ويحك يا جارية آتيه بلبن فإنّي أظن الرّجل غريباً، قلت من هذه الجارية، قالت: هذه زينب بنت جرير إحدى نساء بني حنظلة، قلت: فارغة أم مشغولة، قالت: فارغة، قلت: زوجينها، قالت: إن كنت لها كفواً[11].

ويبدو أنّ هذه القصة تبدأ بالإعجاب العاطفي من خلال المحاورة إلى الإعجاب بالعقل وهو الأهم لكلامها من كنايات في قولها أظن الرّجل غريباً فأشارت إلى اللبن الّذي يدل على المعافاة والألفة ثمّ أشارت إلى شرط الزّواج الكفاية من الرّجل أن يخضع للامتحان.

ويبدو أنّ القضاة حاولوا إشعار من يواجهون القضاة عليهم بأنّهم لا يكتمون لهم أي كره أو حقد، لأنّ الخصم في مجلس القضاة شيء وخارج مجلس القضاء شيء آخر مختلف أبداً وبهذا الشّأن روى قائلاً: «تقدم رجل إلى محارب بن دثار فقضى عليه ثمّ لحقه بعد في طريق، فقال: السّلام عليك أيّها الشّيخ لأنّه علم أنّي وجدت في نفسي من قضائه»[12].

ويبدو لنا مما تقدم إنّ العدالة الاجتماعية هي الّتي يتوخى فيها القاضي إقامة العدل ورد كيد الظّالم مع محاولة المحافظة على العلاقات الاجتماعية العامة مع المسلمين في السّلام والمجاملة، وكان القضاة يحسون موقف الخصوم ممن لا يكسبون دعاواهم وهنا أمر يضاف إلى ما يثقل كاهل القاضي جراء الّذي لا يعرف معه المجاملة أو التّهاون، سأل رجل شريح الكندي، قائلاً: كيف أنت يا أبا أمية؟ قال: أصبحت رجلاً نصف النّاس عليه غضبان، قال: وما غضبهم؟ قال: من قضيت عليه فهو غضبان[13].

(١) وكيع، أخبار القضاة، ٤١٦/٢، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١١١/١.
(٢) وكيع، أخبار القضاة، ٣٥/٣.
(٣) المصدر نفسه، ٩٥/٢.
(٤) الجوز، ضرب من العنب ليس بكبير ولكنه يصغر جداً إذا نضج، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة جوز، ٢٧/٤.
(٥) اللوز، معروف من الثّمار عربي وهو في بلاد العرب كثير، اسم للجنس الواحدة لوزة، ابن منظور، لسان العرب، مادة لهز، ٩٨/٤.
(٦) ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٩١/١.
(٧) ينظر: الذّهبي، تاريخ الإسلام، ٣٥/٣، البسوي، المعرفة والتّاريخ، ٦٠٣/٢.
(٨) وكيع، أخبار القضاة، ٢٢٣/٢.
(٩) ابن سعد، الطّبقات، ٨٣/٦، السّمناني، روضة القضاة، ١٤١٧/٤.
(١٠) ينظر: وكيع، أخبار القضاة، ٦٣/٣.
(١١) ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٩٦/٦.
(١٢) وكيع، أخبار القضاة، ٣٢/٣.
(١٣) ينظر: وكيع، أخبار القضاة، ٢٤١/١.

ويبدو أنّ دور القاضي قد تضمن أيضاً تبصرة النّاس وإرشادهم إلى العمل الصّالح والنّافع والتزام المفيد والتزام الصّدق وتجنب كلّ ما يشين النّفس ويورث الضغائن، فضلاً عن تحقيق العدالة الاجتماعية بإقامة العدل بين النّاس وحل نزاعاتهم ولو أنّ هذه المهمة صعبة وقد بيّن قاضي الكوفة عبد الله بن شبرمة[١] ذلك عند قبوله ولاية القضاء بقوله: «والله وليت هذه الولاية وأنا كاره وعزلت عنها وأنا كاره وما بي من ذلك إلا مخاف أن يلي هذه الوجوه من لا يعرف» ثمّ تمثل بقوله[٢]:

فما السّجن أبكاني ولا القيد شفّني
ولا أنني من خشبة الموت أجزع
بلى أنّ أقواماً أخاف عليهم
إذا متّ أن يعطو الّذي كنتُ أصنع

ويظهر مما تقدم حرص عبد الله بن شبرمة لتولي هذه المسؤولية وهو كاره لها والعمل بها من مسؤولية دينية أمام الله تعالى والمجتمع إلا أنّه من القبول أن يتولى هذه المسؤولية القضائية إيماناً منه لتحقيق العدالة بين المسلمين وخشية أن يتولاها غيره ولا يستطيع تحقيق العدالة الّتي أرادها الله وحثت عليها الشّريعة السّمحاء.

المبحث الرّابع
الإسلام وأهل الذّمة[٣]

نظراً للعدالة والمساواة الّتي كانت الشّريعة الإسلامية تدعو إليها فكان الإسلام متسامحاً مع أهل الذّمة، لذلك ترك الحرية لهم في إتباع أحكام دينية حتّى المسائل الجنائية وقد وردت كثير من الآيات القرآنية بهذا الشّأن[٤] منها قوله تعالى: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً وَلَوْ شاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً**﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿**وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِما أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ**﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿**وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْراةُ فِيها حُكْمُ اللهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَما أُولئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ**﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ**﴾[٨]، إنّ الإسلام أوصى بأهل الذّمة خيراً وأن يوفى لهم بالعهود ولا يكلفوا فوق طاقاتهم لأنّه لا يسمح لهم أن يشتركوا في الحرب لأنّ الدّين منع دخولهم في الإسلام[٩].

وكان حرص الرّسول(ﷺ) واضحاً في الصّحيفة الّتي كتبها بين المهاجرين والأنصار، فقد ترك الحرية لليهود بالبقاء على دينهم وفي الوقت نفسه يعامل النّصارى على غرار نظائرهم اليهود فقد أباحت السّنة النّبوية للذميين أن يرجعوا في حقوقهم ومواريثهم إلى أهل دينهم[١٠].

وروي عن الرّسول(ﷺ) أنّه دعا رجلاً من علماء اليهود فقال: «أنشدك بالّذي أنزل التّوراة على موسى» وهذا ديل على أنّ أهل الذّمة يتمتعون بحقوقهم الدّينية الكاملة في دولة الإسلام[١١].

وفي بعض الأحيان كان أهل الذّمة يأتون إلى قاضي المسلمين كي يفصل بينهم عندما يتعرضون لبعض القضايا في حياتهم فكان قاضي الكوفة عبد الله بن شبرمة[١٢]، يختصم إليه النّصارى في شرب الخمر فيحكم بينهم[١٣]، ويروي وكيع أنّه جاء مسلم بنصراني إلى الشّعبي[١٤] قاضي الكوفة فقال النّصراني: إنّي أنا أحق، فقال الشّعبي: اذهب فأدخله البيعة ثمّ أحلفه بما يحلف به أهل الذّمة[١٥]، فكان القاضي عبد الله بن عتبة بن مسعود قاضي الكوفة يأخذ من أهل الذّمة أنصاف عشور[١٦] أموالهم[١٧].

الفصل الرّابع
إسهامات قضاة الكوفة في بعض الحوادث السّياسية

المبحث الأوّل
إسهامات القضاة في حركات التّحرير والفتوحات

عندما آمن العرب بالإسلام استطاعوا توحيد القبائل العربية وإخضاعها لسلطة مركزية واحدة، وكان هدف الإسلام من الحروب واضحاً، إذ جعل قوة العرب واحدة وحشدها لغاية سامية نبيلة تخص مصلحة الأمة ولا تخص الفرد إذ جعل

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٥٨/٢.
(٢) وكيع، أخبار القضاة، ٣٤٤/١.
(٣) أهل الذّمة، هم أصحاب الكتاب من النّصارى واليهود ومن لهم شبه كتاب من الصّابئة والمجوس الّذين عاشوا في ذمة المسلمين بموجب معاهدات النّص على حماية ورعاية شؤونهم مقابل دفع الجزية، أبو يوسف، الخراج، ص١١٢، فيليب حتي، تاريخ العرب المطول، ٢٢٧/١.
(٤) المزيد من المعلومات، ينظر: فيليب حتي، تاريخ العرب المطول، ٢٢٧/١.
(٥) سورة المائدة، الآية/٤٨.
(٦) سورة المائدة، الآية/٤٧.
(٧) سورة المائدة، الآية/٤٣.
(٨) سورة المائدة، الآية/٤٤.
(٩) ينظر: فيليب حتي، تاريخ العرب المطول، ٢٢٧/١.
(١٠) ينظر: ابن هشام، السّيرة النّبوية، ١٠/٢، ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذّمة، تحقيق، صبحي صالح، «مطبعة جامعة دمشق، ١٣٨١هـ/١٩١٦م»، ص٦٧.
(١١) ينظر: زيدان، عبد الكريم، وآخرون، علوم الحديث، مطبعة عاصم، ص٢، «بغداد، ١٩٩٠م»، ص١٦٠.
(١٢) ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ٣٣٧/٦، الرّازي، الجرح والتّعديل، ٩٨/٥، ابن الأثير، الكامل، ٢٣٩/٤، البراقي، تاريخ، ص٢٣٩.
(١٣) وكيع، أخبار القضاة، ٨٨/٣.
(١٤) ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص١٠٢، ابن الجوزي، صفوة الصّفوة، ٤١/٣.
(١٥) ينظر: وكيع، أخبار القضاة، ٤١٦/٢.
(١٦) العشر: وهو أوّل العقود أو نقصان، ابن منظور، لسان العرب، مادة «عشر»، ٥٢٨/٣.
(١٧) وكيع، أخبار القضاة، ٤٠٦/٢.

الإسلام هدف الحرب نشر الإسلام وإعلاء كلمة لا إله إلا الله محمّد رسول الله جاعلاً التّضحية بهذه حياة، قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾[1]، لذا اتخذت القيادة العربية الإسلامية زمن الخليفة أبي بكر «١١- ١٣هـ/٦٣٢- ٦٣٤م»، من أولوياتها العسكرية لتحرير العراق إذ كتب الخليفة أبو بكر إلى خالد بن الوليد، إذ يأمره لتحرير العراق[2].

وعندما تولى عمر بن الخطاب خلافة المسلمين، «١٣- ٢٣هـ/٦٣٤- ٦٤٣م»[3]، عمل على تنفيذ عمليات التّحرير وندب النّاس لتحرير العراق وأرسل إلى علي بن أبي طالب(عليه السلام) فأتاه، وإلى طلحة بن عبد الله، والزّبير بن العوام، وعبد الرّحمن بن عوف[4] وقام قائلاً: «إنّ الله عز وجل قد جمع على الإسلام أهله فألف بين القلوب وجعلهم فيه إخواناً والمسلمين فيما بينهم كالجسد الواحد لا يخلو منه شيء من شيء غيره وكذلك يحق على المسلمين أن يكونوا أمرهم شورى بينهم من ذوي الرّأي منهم فالنّاس تبع لمن قام بهذا الأمر ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم النّاس وكانوا تبعاً لهم ومن أقام بهذا الأمر تَبُع لأولي رأيهم ما رأوا لهم ورضوا به لهم من مكيدة في حرب كانوا فيه تبعاً لهم يا أيّها النّاس إنّي إنما كنت كرجل منكم حتّى صرفني ذوو الرّأي منكم عن الخروج فقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلاً»[5].

فأشاروا عليه فجعل سعد بن أبي وقاص قائد الحملة لتحرير العراق[6] وأوصاه قائلاً: «يا سعد لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته فالنّاس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء ربهم الله وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطّاعة»[7]، ثمّ جعل سلمان بن ربيعة على المجردة[8]، وجعل عبد الرّحمن بن ربيعة الباهلي[9] قاضياً لهذه الحملة العسكرية لتحرير العراق وجعل إليه قسمة الفيء[10]، يبدو مما تقدم أنّ الخليفة عمر بن الخطاب جعل قاضياً في هذه الحملة لأسباب منها:

أوّلاً: حث المقاتلين على الجهاد في سبيل الله ونشر الدّين الإسلامي بأيسر الطّرق إن أمكن ذلك.

ثانياً: تحقيق العدالة بين المسلمين في حالة الحصول على الغنائم من العدو.

ثالثاً: توجيه المقاتلين المسلمين في كيفية التّعامل مع أسرى العدو تعاملاً إنسانياً وفق ما جاء في القرآن الكريم والسّنة.

رابعاً: منع أي تجاوز أثناء المعارك يتعارض والدّين الإسلامي، مثل قطع الأشجار أو قتل الشّيوخ أو إتلاف المزروعات.

خامساً: حث قادة الجند في حالة امتناع أهل المدينة من اعتناق الإسلام أن يدفعوا الجزية مقابل حماية المسلمين لهم ولأموالهم.

نصر الله تعالى المسلمين في معركة القادسية «١٥هـ/٦٣٦م»، وبعد ذلك كتب سعد بن أبي وقاص من المدائن إلى الخليفة عمر بن الخطاب بعد أن استقر المسلمون أيّاماً، ثمّ بلغهم أنّ الفرس قد جمعوا جمعاً عظيماً ووصل إليهم المدد بجلولاء[11] «١٦هـ/٦٣٧م»[12]، فكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بما مضمونه: «أن يسرع إليهم فيمن معه وجه عبد الله بن مسعود، قام مقام سعد في الكوفة»[13].

ويظهر مما تقدم أنّ القاضي عبد الله بن مسعود حلّ محل الوالي، وبدأ لتفقيههم وتعليمهم وحثهم على الجهاد، وهذه واحدة من مهام القضاة في الظّروف الاستثنائية، فحلّ القاضي محل الوالي في المصر.

(١) سورة الأنفال، الآية/٧٤.

(٢) ينظر: الطّبري، تاريخ، ٥٥٤/٢.

(٣) ينظر: اليعقوبي، تاريخ، ٩٥/٢، المسعودي، مروج الذّهب، ٣٠٤/٢، ابن الأثير، الكامل، ٢٩٠/٢، زامباور، معجم أنساب والأسرات الحاكمة، ٦٦/١.

(٤) عبد الرّحمن بن عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب يكنى أبا محمّد من أصحاب الشّورى توفي سنة «٣٢هـ/٦٥٢م»، ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ١٠٠/٣، تاريخ، ٢٤/٣، الذّهبي، تاريخ الإسلام، ٣٩٠/٢.

(٥) ابن سعد، الطّبقات، ٢٠١/٣، الطّبري، تاريخ، ٢/٣ -٣، مسكويه، تجارب الأمم، ٣٢٦/١، شمس الدّين، إبراهيم، أيّام العرب في الجاهلية والإسلام، دار الكتب العلمية، «بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م»، ص٢٧٢.

(٦) ينظر: الطّبري، تاريخ، ٤/٣، مسكويه، تجارب الأمم، ٣٢٧/١، الشّهرستاني، الملل والنّحل، ١٦/١، ابن كثير، البداية والنّهاية، ٣٦/٧.

(٧) المجردة: الّذين لا يحملون السّيف أو الّذين لا يسترهم شيء، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٥١٤/٢.

(٨) الطّبري، تاريخ، ٤/٣، تجارب الأمم، ٣٢٧/١، ابن الأثير، الكامل، ٣٠٦/٣، شمس الدّين، أيّام العرب، ص٢٧٣.

(٩) عبد الرّحمن بن ربيعة الباهلي بن يزيد بن عمر بن سهم بن ثعلبة بن غنم بن قنبة بن معن بن مالك بن أعصرة بن منبه بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر، ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ١٨٢/٦، ابن حجر العسقلاني، تهذيب التّهذيب، ٤٢٢/٣.

(١٠) ينظر: الطّبري، تاريخ، ١٩/٣، الذّهبي، تاريخ الإسلام، ١٤٤/٣، شمس الدّين، أيّام العرب، ص٢٧٤.

(١١) جلولاء «بالمد» وهي مدينة عراقية: طسوج من طساسيج السّواد في طريق خراسان بينها وبين خانقين سبعة فراسخ وهو نهر عظيم يمتد إلى بعقوبا، ينظر: الحموي، معجم البلدان، ١٨١/٢، البلاذري، فتوح البلدان، ٣٧٠/٣.

(١٢) الطّبري، تاريخ، ١٩/٣، الذّهبي، تاريخ الإسلام، ١٤٤/٣، شمس الدّين، أيّام العرب، ص٢٧٤.

(١٣) ابن سعد، الطّبقات، ٢٩٣/٦، اليعقوبي، تاريخ، ٩٠٤/٢، البلاذري، فتوح البلدان، ٣٧٠/٣.

وحين تولى الخلافة عثمان بن عفان أرسل سليمان بن ربيعة ومن معه من أهل العراق نحو أرمينية[١][٢]، ويبدو أنّ القاضي سليمان بن ربيعة تحول من قاضٍ إلى قائد جيش المسلمين، نظراً لما تمتع به من شجاعة كبيرة ورؤية عسكرية إلى جانب معرفته بالشّريعة الإسلامية، وبهذا كان أفضل للجيش في مسيره إلى فتح بلاد أرمينية، لأنّ باستطاعته تعريفهم بالإسلام الحقيقي وفق المبادئ الّتي جاء بها الدّين الإسلامي الحنيف، هذا من جانب ومن جانب آخر حث المجاهدين من المسلمين على الإقدام على القتل طلباً للشهادة في سبيل الله تعالى.

استطاع القاضي سلمان بن ربيعة أن يفتح ما مر به من المدن والقلاع فضلاً عن فتح البلاد حتّى صار إلى البيلقان[٣] من بلاد آران[٤] وعندما امتنعوا عن الإسلام اشترط عليهم أداء الجزية والخراج[٥]، فخرج إليه أهل البيلقان طالبين الأمان فأقاموا له فأكرموه وضيفوه وصالحوه على مال دفعوه[٦]، حتّى استطاع أن يصل إلى البلنجر[٧] فاستشهد فيها ويروى أنّ التّرك إذا أصابهم قحط يتذرعون إلى الله بقبر سلمان بن ربيعة وهو مدفون عندهم وكان الله يستجيب لهم في دعواهم[٨].

ويبدو لنا من ذلك عظم كرامة هذا الصّحابي الجليل عند الله، وحسن معاملته لسكان المدن الّتي فتحها ونشر الإسلام بينهم بالطّرق الّتي أرادها سبحانه وتعالى، وسعيه في تحقيق العدالة والمساواة بينهم، وعدم التّعامل مع سكان المدن المفتوحة بقسوة، «مما جعل له منزلة عظيمة في نفوسهم وفي الوقت نفسه» يتضح لنا حسن اختيار الخلفاء لقادة الجند الّذين يسيرونهم للفتح.

ومن القضاة الّذين أسندت إليهم مهام عسكرية أبو موسى الأشعري الّذي كان قاضياً في البصرة ووالياً في الكوفة -كما أشرت سابقاً- وقد كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يطلب المَدَدْ حين تجمع الفرس في مدينة تستر[٩] لصد حركة الفتح الإسلامي بقيادته[١٠]، فأرسل الخليفة عمار بن ياسر لكي يقدم له المَدَدْ والعون إلى أبي موسى الأشعري، وحين كتب أبو موسى الأشعري إلى الخليفة عمر بن الخطاب يزيده من المدد كتب الخليفة إلى عمار بن ياسر باستخلاف عبد الله بن مسعود على الكوفة في نصف النّاس ويسير بالنّصف الآخر حتّى يلحق بأبي موسى الأشعري[١١].

يظهر مما تقدم أنّ بعض القضاة كانوا يتقدمون لفتح البلدان مباشرة ونشر الإسلام ولِصَدِّ العدو، وكان بعضهم الآخر يتميز بإسهام غير مباشر في معارك التّحرير وذلك عند حلولهم محل الولاة الّذين أصبحوا قادة للحملات العسكرية.

ونستنتج مما سبق أنّ القضاة يمكن أن يكلفوا بما يأتي:

أوّلاً: لم يكن عمل القاضي مخصصاً لعمل واحد وإنما كان قائداً عسكرياً إذا اقتضت الضّرورة لذلك شأنه شأن الرّجال الأوائل في صدر الرّسالة الإسلامية إذ كان الرّجل منهم رجل دين وسياسة وعلم ولهم في رسول الله أسوة حسنة إذ مارس هذه الأدوار جميعاً في حياته وتبعه الخلفاء الرّاشدون.

ثانياً: لمكانة القضاة الاجتماعية والدّينية أهمية كبيرة يتمتعون بها بين أبناء الأمة الإسلامية فكانت توجيهاتهم تلاقي آذاناً صاغية لسماعها والاستجابة الكبيرة.

ثالثاً: إنّ أغلب القضاة كانوا من الصّحابة المقربين أو أبناء الصّحابة، لذلك أدى القاضي دوراً في الفتح والتّحرير.

رابعاً: عمل القضاة على إثارة الهمم عند المسلمين، من خلال المكانة الدّينية وشجاعتهم في القيادة في الميدان العسكري.

المبحث الثّاني
دور قضاة الكوفة من بعض الحوادث المهمة

أوّلاً: موقف القضاة من قتل حجر بن عدي الكندي[١٢] «٥٣هـ/٦٧٢م»:

كان حجر بن عدي من الشّخصيات البارزة في الكوفة نظراً لما يتمتع به من مكانة اجتماعية بارزة بين أبناء قومه وأهل الكوفة، وما عرف من موالاته وحبه للإمام علي بن أبي

(١) أرمينية، بلد معروف يضم كوراً كثيرة سميت بـ: كون الأرض فيها وهي أمة كالرّوم وغيرها، ينظر: البكري، معجم ما استعجم، ١٣٢/١، الحموي، معجم البلدان، ١٩٢/١.

(٢) الذّهبي، تاريخ الإسلام، ٣٤٤/٢.

(٣) البيلقان: مدينة قرب الدّربند الّذي يقال له: باب الأبواب، ينظر: الحموي، معجم البلدان، ٩٤/٢.

(٤) آران: اسم ولاية واسعة كبيرة وهي من أصقاع أرمينية وبالأصل الرّان، ينظر: الحموي معجم البلدان، ١٦٤/١.

(٥) ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٨٥.

(٦) ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٠٥، ابن أعثم، الفتوح، ٣٤٥/٢.

(٧) البلنجر، مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب، ينظر: البلاذري، فتوح، ٢٨٧، الحموي، معجم البلدان، ٥٨١/١.

(٨) ينظر: البلاذري، فتوح، ص٥٨١، الذّهبي، تاريخ الإسلام، ٣٤٤/٢.

(٩) تستر، وهي أعظم مدينة بخوزستان، سميت بذلك، لأنّ رجلاً من بني عجل، يقال له: تستر بن نون افتتحها فسميت باسمه، ينظر: البكري، معجم ما استعجم، ٢٨١/١، الحموي، معجم البلدان، ٣٤/٢.

(١٠) ينظر: ابن خياط، تاريخ، ١١٦، الدّينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، «ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م»، الأخبار الطّوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، المكتبة الحيدرية، «قم، ١٣٧٩هـ»، ص١٣٠، ابن أعثم، الفتوح، ٣٠/٢.

(١١) ينظر: البلاذري، فتوح، ص٥٣٥، الدّينوري، الأخبار الطّوال، ص١٣٠.

(١٢) حجر بن عدي بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية بن الأكرمين بن الحارث وهو حجر الخير وأبوه عدي الأدبر طعن مولياً فسمي الأدبر، أسلم وشهد القادسية وهو الّذي فتح مرج عذراء استشهد سنة «٥٣هـ/٦٧٢م»، ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ٢٤٢/٦، مروج الذّهب، ١٨٨/٣، ابن حبان، الثّقات، ١٧٦/٤، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢١٣/١٢.

طالب(عليه السلام) ومعارضته السّياسة الأموية، الّتي كانت تميز بين المجتمع الكوفي على أساس الموقف السّياسي المتمثل بالولاء لحكمهم، فعرف حجر بن عدي بمعارضته الشّديدة لهم وتأليب أهل الكوفة عليهم، لذلك كان معاوية بن أبي سفيان يبحث عن والٍ قوي يستطيع أن إيقاف نشاط حجر بن عدي المعادي إلى أن رأى أن يجمع لزياد بن أبيه الكوفة والبصرة فكان يقيم في البصرة ستة أشهر وفي الكوفة ستة أشهر، وذلك منذ سنة «٥٠- ٥٣هـ/٦٧٠- ٦٧٣م»[١].

لما قدم زياد بن أبيه إلى الكوفة دعا حجر بن عدي فقال: «تعلم أنّي أعرف وقد كنت أنا وإيّاك على ما علمت، يعني حب علي بن أبي طالب(عليه السلام) وأنّه قد جاء غير ذلك وتغيرت الأمور وصارت إلى معاوية وإنّي أنشدك الله أن تقطر لي من دمك قطرة فاستفرغه كلّه أملك عليك لسانك وليسعك منزلك وهذا سريري فهو مجلسك وحوائجك مقضية لدي فاكفني نفسك فإنّي أعرف عجلتك فأنشدك الله يا أبا عبد الرّحمن في نفسك أن يستزلوك عن رأيك فإنّك لو هنت عليّ أو استخففت بحقك لم أخصك بهذا من نفسي»[٢]، وقال له أيضاً: «كيف تعلم حبي لعلي؟ قال شديد، قال: زياد بن أبيه: يا حجر فإنّ ذلك قد انسلخ أجمع فصار بغضاً فلا تكلمني بشيء نكرهه فإنّي أحذرك»[٣].

ثمّ صعد زياد بن أبيه المنبر فقال: أمّا بعد فأنا قد جربنا وجربنا وسسنا وساسنا السّائسون فوجدنا هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح أوّله بالطّاعة اللينة المشبه سرها بعلانيتها وغيب أهلها بشاهدهم وقلوبهم بألسنتهم ووجدنا لا يصلحهم إلا لين في غير ضعف وشدة في غير عنف[٤]، وذكر زياد عثمان بن عفان ومن قتله وأعان على قتله فقام حجر بن عدي وتكلم فلم يعرض له زياد بن أبيه ثمّ ركب إلى البصرة وأراد أن يأخذ معه حجر بن عدي لئلا يُحدث أمراً في غيابه، فقال حجر بن عدي إنّي مريض قال زياد بن أبيه: إنّك لمريض الدّين والقلب والعقل والله لئن أحدثت أمراً لا يسعني إلا قتلتك[٥]، وولى زياد بن أبيه الكوفة عمرو بن الحرث[٦] ورجع إلى البصرة فبلغه أنّ حجراً يجتمع إليه محبو علي بن أبي طالب(عليه السلام) ويظهرون لعن معاوية بن أبي سفيان والبراءة منه وأنّهم حصبوا عمرو بن الحرث فعاد زياد إلى الكوفة حتّى دخلها ودخل المسجد[٧]، فقام زياد وخطب وحجر بن عدي جالس في المسجد حوله أصحابه وقد ازداد عددهم قائلاً: أمّا بعد فإن عبّه البغي والغي وخيم أنّ هؤلاء جمعوا فأشروا وآمنوا فاجترؤوا على الله وأيم الله لئن لم تستقيموا لداويتكم بدوائكم وما أنا بشيء إن لم أمنع باحة الكوفة من حجر بن عدي وأدعه نكالاً لمن بعده[٨]، فأطال الخطبة وأخر الصّلاة فقال: حجر الصّلاة فمضى في خطبته ثمّ قال: الصّلاة فمضى في خطبته فلما خشي حجر بن عدي فوت الصّلاة ضرب بيده إلى كف من الحصى وقام إلى الصّلاة وقام النّاس معه فلما رأى زياد بن أبيه ذلك، نزل وصلى بالنّاس[٩]، ساءت العلاقة بين الطّرفين وأرسل إلى عدي بن حاتم وجرير بن عبد الله[١٠] البجلي وعدة من أشراف الكوفة أرسلهم إلى حجر بن عدي يحذره وينهاه وأن يكف لسانه عما يتكلم به فأتوه فلم يجبهم بشيء ولم يكلم أحداً[١١]، وأرسل بعد ذلك زياد بن أبيه الشّرطة فقاتلهم حجر بن عدي بمن كان معه ثمّ انفضوا عنه[١٢].

ودخل بعد ذلك على زياد بن أبيه محمّد بن الأشعث[١٣] فسلم عليه بأمره فقال زياد بن أبيه: «لا سلم الله عليك انطلق فأتني بابن عمك السّاعة، فقال: مالي وحجر إنّك لتعلم التّباعد بيننا»[١٤]، ويذكر ابن كثير أنّ زياداً ندب محمّد بن الأشعث وأمهله ثلاثاً وجهز جيشاً فركبوا في طلبه ولم يزالوا حتّى أحضروا حجر بن عدي[١٥]، وقال جرير بن عبد الله: أنا آتيك

(١) ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ٢٤٢/٦، الطّبري، تاريخ، ١٨٩/٤.

(٢) ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ٢٤٢/٦، ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر، دار الكتاب بيروت، «١٤٢٠هـ/١٩٩٩م»، ٢٠/٥.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٢١٤/٢.

(٤) ينظر: أبو مخنف، تاريخ، ٣٧٣/١، الطّبري، تاريخ، ١٨٩/٤.

(٥) ينظر: الطّبري، تاريخ، ١٩٠/٤، ابن الجوزي، المنتظم، ٨/٤، ابن الأثير، الكامل، ٣٢٧/٣، ابن كثير، البداية والنّهاية، ٥٣/٨، ابن خلدون، العبر، ٢٣/٥.

(٦) عمرو بن الحرث بن عمرو المخزومي الكوفي، ينظر: العجلي، الثّقات، ص٣٦٣، ابن الأثير، الكامل، في التّاريخ، ٣٧٣/٣، ابن خلدون، العبر، ٢٣/٥.

(٧) ينظر: الدّينوري، الأخبار الطّوال، ص٢٢٣، الطّبري، تاريخ، ١٩٠/٤٠، ابن الأثير، الكامل، ٣٢٧/٣، ابن خلدون، العبر، ٢٣/٥.

(٨) ينظر: الطّبري، تاريخ، ١٩٠/٤، ابن الجوزي، المنتظم، ٨/٤، ابن الأثير، الكامل، ٣٢٧/٣، ابن كثير، البداية والنّهاية، ٥٣/٨، ابن خلدون، العبر، ٢٣/٥.

(٩) ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ٨/٤، ابن كثير، البداية والنّهاية، ٥٣/٨.

(١٠) جرير بن عبد الله، أبو عمرو نزل الكوفة له صحبة روى عنه أنس بن مالك والشّعبي، ينظر: الرّازي، الجرم والتّعديل، ٢٣٤/٢، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٤٣/٤، ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: روحية النّحاس، المطبعة العلمية، «دمشق، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م»، ٧٢/١٢.

(١١) ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ٢٤٢/٦.

(١٢) ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ٢٤٢/٦، ابن الأثير، الكامل، ٣٢٧/٣، ابن خلدون، العبر، ٢٤/٥.

(١٣) محمّد بن الأشعث بن قيس بن معد الكندي الكوفي بن أم فروة أخت الخليفة أبي بكر الصّديق لأبيه تزوج بها الأشعث أيّام أبي بكر، مولده في عام «١٣هـ/٦٣٤م»، وكان شريفاً مطاعاً في قومه قتل مع مصعب بن الزّبير سنة «٦٧هـ/٦٨٦م»، ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ٤٨/٧، الرّازي، الجرح والتّعديل، ٢٧٦/٧، الذّهبي، تاريخ الإسلام، ٤٦٨/٣.

(١٤) الدّينوري، الأخبار الطّوال، ص٢٢٣.

(١٥) ينظر: البداية والنّهاية، ٥٤/٨.

بحجر أيّها الأمير على أن تجعل له الأمان ولا تعرض له حتّى يلقي معاوية فيرى فيه رأيه[١]، ثمّ بعث زياد بن أبيه إلى أصحاب حجر حتّى جمع أثني عشر رجلاً في السّجن وسجنهم مع حجر بن عدي بعد أن تمكن منه[٢]، ونادى حجر بن عدي في أعلى صوته اللهم إنّي على بيعتي لا أقبلها ولا استقبلها سماع الله والنّاس وكان عليه برنس[٣] يحميه من البرد فحبس عشر ليالٍ وزياد بن أبيه ليس له عمل إلا طلب رؤساء أصحاب حجر[٤].

جاء زياد بن أبيه بجماعة يشهدون على حجر بن عدي أنّه سب الخليفة معاوية بن أبي سفيان وأنّه حارب أمير الكوفة وأنّه يقول أنّ أمر المسلمين لا يصلح إلا في علي بن أبي طالب وأهل بيته(عليهم السلام)[٥]، وكتب شهادة شريح بن الحارث الكندي[٦] قاضي الكوفة وأنّه نكر ذلك شريح وقال إنما قلت لزياد بن أبيه كان صواماً قواماً[٧].

وعن صحة شهادة شريح قال: ابن عساكر عن عامر الشّعبي قاضي الكوفة: «إنّ شريحاً كان يؤم قومه فاتهموه في حجر بن عدي فتقدم ذات يوم فقالوا له تأخر فالتفت إليهم فقال أكلكم على هذا، قالوا: نعم فتأخر ولم يتقدمهم»[٨]، ومن جملة الشّهود على حجر بن عدي أبو بردة بن أبي موسى قاضي الكوفة بعد شريح الكندي وهو من سعى في حجر بن عدي وأمره زياد بن أبيه ليكتب شهادته على حجر بن عدي بما رآه فكتب قائلاً: بسم الله الرّحمن الرّحيم هذا ما شهد عليه أبو بردة عامر بن أبي موسى الأشعري لله رب العالمين إنّ حجر بن عدي خلع الطّاعة وفارق الجماعة ولعن الخليفة ودعا إلى الحرب وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة وخلع أمير المؤمنين معاوية وكفر بالله كفرة صلعاء [شنيعة]، فقال زياد بن أبيه على مثل هذه الشّهادة فاشهدوا أما والله لأجهدن على قطع عنق الخائن الأحمق حجر بن عدي[٩].

(١) ينظر: الدّينوري، الأخبار الطّوال، ص٢٢٣، الطّبري، تاريخ، ١٩٦/٤، ابن الأثير، الكامل، ٣٢٩/٣.
(٢) ينظر: الطّبري، تاريخ، ١٩٩/٤.
(٣) البرنس: القلنسوة طويلة، وكان النّساك يلبسونها في صدر الإسلام، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة «برجس»، ١٤١/٣.
(٤) ينظر: أبو مخنف، تاريخ، ١٩٧/٤، ابن الأثير، الكامل، ٣٣٠/٣.
(٥) ينظر: الطّبري، تاريخ، ١٩٧/٤، ابن كثير البداية والنّهاية، ٢٥/٩.
(٦) ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ١٣٢/٦، الرّازي، الجرح والتّعديل، ٣٣٢/٤، الأصفهاني، حلية الأولياء، ١٣٧/٤، ابن كثير، البداية والنّهاية، ٢٥/٩.
(٧) ينظر: ابن كثير، البداية والنّهاية، ٥٣/٨.
(٨) ابن عساكر، تاريخ، ٢٢٢/١٢.
(٩) ينظر: أبو مخنف، تاريخ، ٣٨٤/١، الطّبري، تاريخ، ٢٠٠/٤، ابن الأثير، الكامل، ٣٣٣/٣، ابن خلدون، العبر، ٢٢٩/٥، القمي، الكنى والألقاب، ١٥/١.

كان ضمن الشّهود على حجر بن عدي إلى جانب أبي بردة بن أبي موسى الأشعري عمر بن سعد بن أبي وقاص[١٠][١١] وكتب زياد بن أبيه إلى شريح بن هاني[١٢] فقال ما شهدت ولقد بلغني أنّه أتى وقد كتب شهادتي فأكذبته ولمته فلحقهم شريح بن هاني معه كتاب فقال بلغوا كتابي هذا إلى أمير المؤمنين قالوا ما فيه قال لا تسألوني فيه حاجتي فقبله منه فمضوا إلى الشّام[١٣]، وأوردت هذه الأبيات في وداع حجر بن عدي حين سيره إلى الشّام:

تُرْفَعْ أيّها القَمَرُ المنير
ترفع هل ترى حجراً يسير
يسير إلى معاوية بن حرب
ليقتله كما زعم الخبير
ويصلبه على باب دمشق
وتأكل من محاسنة النّسور
تجبرت الجبابرة بعد حجر
وطاب لها الخورنق والسّدير[١٤]

وعندما وصلوا بحجر بن عدي إلى معاوية بن أبي سفيان، قال: ماذا ترون في هؤلاء النّفر الّذين شهد عليهم قومهم بما تستمعون ودفع كتاب شريح بن هاني إلى معاوية فقرأه فإذا فيه: «بسم الله الرّحمن الرّحيم لعبد الله معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين من شريح بن هاني أمّا بعد فإنّه بلغني أنّ زياد بن أبيه كتب شهادتي على حجر بن عدي وإنّ شهادتي أنّه ممن يقيم الصّلاة ويؤتي الزّكاة ويديم الحج والعمرة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حرام الدّم والمال فإن شئت فاقتله وإن شئت فدعه»[١٥].

(١٠) عمر بن سعد بن أبي وقاص أبو حفص نزل الكوفة روى عن أبيه وهو قاتل الحسين بن علي وهو ليس بثقة قتله المختار بن أبي عبيدة الثّقفي، «٦٦هـ/٦٨٥م»، ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ١٢٩/٥، الذّهبي، تاريخ الإسلام، ١٩٦/٤.
(١١) ينظر: ابن الأثير، الكامل، ٣٣٤/٣.
(١٢) شريح بن هاني بن يزيد بن نهيك بن دريد بن سفيان بن الضّباب من بني الحارث بن كعب روى عن عمر وعلي وسعد بن أبي وقاص وكان من أصحاب علي بن أبي طالب وشهد معه عدة مشاهد، كان ثقة وله أحاديث وكان قاضي الإمام علي في الكوفة استشهد في سجستان مع عبد الله بن بكرة، ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ١٨٠/٦، ابن تغري بردي، النّجوم الزّاهرة، ٧٨/١.
(١٣) ينظر: الطّبري، تاريخ، ٢٠١/٤، ابن الأثير، الكامل، ٣٣٤/٣، ابن خلدون، العبر، ٢٦/٥.
(١٤) ابن سعد، الطّبقات، ٢٤٣/٦، المسعودي، مروج الذّهب، ١٨٨/٣، ابن كثير، البداية والنّهاية، ٥٦/٧.
(١٥) الطّبري، تاريخ، ٢٠٣/٤، ابن حبان، الثّقات، ١٧٦/٤، ابن الأثير، الكامل، ٣٣٤/٣، ابن خلدون، العبر، ٢٧/٥.

وكتب معاوية إلى زياد بن أبيه نظرت في ذلك فأحياناً أرى أفضل تركهم وأحياناً أرى العفو، فكتب زياد بن أبيه فعجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم وقد شهد عليهم من هو أعلم بهم فإن كان لك حاجة في هذا المصر فلا تردن حجر بن عدي وأصحابه فأمر رسول معاوية إليهم بقتل ستة[1] وتخلية ستة[2] وقال لهم: إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علي بن أبي طالب واللعن له فإن فعلتم تركناكم وإن أبيتم قتلناكم وإنّ أمير المؤمنين يزعم أنّ دماءكم قد حلت له بشهادة أهل الكوفة عليكم[3]، قالوا: اللهم لسنا فاعلين ذلك فأمر بقبورهم فحفرت وجهز أكفانهم وقاموا الليل كلّه يصلون[4] فقام حجر بن عدي قائلاً: «اللهم إنّا نستعينك على أمتنا أهل العراق شهدوا علينا وإنّ أهل الشّام يقتلوننا ولما تقدم إليه هدية بن فياض بالسّيف لقتله ارتعدت فرائصه فقال: كلا زعمت أنّك لا تجزع من الموت فأنا أدعك فأبرأ من صاحبك فقال مالي لا أجزع وأنا أرى قبراً محفوراً وكفناً منشوراً وسيفاً مشهوراً وإن جزعت من القتل لا أقول ما يسخط الرّب فقتله»[5].

ويمكن أن نستنتج مما تقدم ما يأتي:

أوّلاً: يتضح لنا من هذه الحادثة للصحابي جليل حجر بن عدي أنّ القضاء تطور تطوراً سلبياً حيث أظهر قضاة السّلطة الّذين ينفذون ما يطلبه الوالي في المصر، المواقف الّتي ظهر فيها النّفاق واضحاً كما هو في موقف شريح الكندي عندما أنكر شهادته الّتي أكدها قومه عندما أبعدوه عن إمامة الصّلاة، وابتعاده عما جاء به الإسلام من مبادئ العدل وإنصاف المظلوم من المسلمين.

ثانياً: إنّ موقف القاضي أبي بردة بن أبي موسى الأشعري الّذي أصبح قاضياً للسلطة الأموية أملى عليه ما تردد واتهامه حجر بن عدي الكندي بالكفر، ودليلنا على إيمان حجر بن عدي، دخل معاوية بن أبي سفيان «٥٠هـ/٦٧٠م» على عائشة أمّ المؤمنين فقالت: «ما حملك على قتل حجر وأصحابه قال: إنّي رأيت قتلهم صلاحاً وإنّ بقاءهم فساداً للأمة فقالت سمعت رسول الله قال: سيقتل بعذراء[6] ناس يغضب الله لهم وأهل السّماء»[7]، قال الإمام علي(عليه السلام): «يا أهل الكوفة سيقتل فيكم سبعة من خياركم كمثل أصحاب الأخدود[8] منهم حجر الأدبر وأصحابه»[9].

ثالثاً: قال الحسن البصري عن قتل حجر بن عدي: «صلوا عليهم وكفنوهم ودفنوهم واستقبلوا بهم القبلة قالوا: نعم حجوهم ورب الكعبة»[10]، وقد ورد دليل من قاتل حجر بن عدي نفسه معاوية بن أبي سفيان عندما حضرته الوفاة إذ أخذ يغرغر بالصّوت ويقول: «يومي منك يا حجر يوم طويل»[11]، إذن أصبح واضحاً بطلان شهادة أبي بردة على حجر وإنّه خرج عن القرآن الكريم والسّنة النّبوية وكتب ما يرضي الله ورسوله وعامة المسلمين، وفي الجانب الآخر ظهر عدل القاضي شريح بن هاني عندما كتب إلى معاوية، أنّه لم يكتب اسمه ضمن الشّهود ولم يشهد وأعلن براءته من موقف القاضيين السّابقين، لأنّ زياد بن أبيه قد ضمن اسم شريح بن هاني.

رابعاً: يبدو أنّ معاوية بن أبي سفيان بإصراره غير المسوغ يحمل النّاس به على البراءة من الإمام علي(عليه السلام) وهو عارف أنّ علياً أوّل القوم إسلاماً وأكثرهم جهاداً، إلا أنّ الطّمع الدّنيوي والغرور وابتعاده عن جوهر الإسلام حَمّله على نكران الحق وعدم الاستناد إلى المبادئ الإسلامية.

خامساً: يتضح لنا الموقف البطولي لحجر بن عدي وأصحابه بوجه الظّالم والإصرار على قول الحق والعمل به والثّبات على الموقف، رغم معرفتهم بالمصير المحتوم.

وأخيراً لا أستطيع القول أنّ جميع القضاة قد ابتعدوا عن طريق الحق فهنالك من بقي محافظاً على ما جاء فيه القرآن والسّنة النّبوية الشّريفة باستثناء من انحرف عن طريق العدل والحق.

ثانياً: موقف شريح القاضي من بيعة الإمام الحسين(عليه السلام) وقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة «٦٠هـ/٦٧٩م»:

نظراً لولاء أهل الكوفة للإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) والمعارضة لسياسة الدّولة الأموية الّتي عرفت بقسوتها من قبل ولاة الدّولة الأموية وخروجهم عن جوهر الدّين الحنيف على

(١) الّذين قتلوا مع حجر، ١- شريك بن شداد الحضرمي، ٢- صيفي بن فسيل الشّيباني، ٣- قبيعة بن قبيعة العبسي، ٤- محرز بن شهاب السّعدي التّميمي، ٥- كرام بن حيان الغزي، ٦- عبد الرّحمن بن حسان الفتري دفنه زياد حياً، ينظر: الطّبري، تاريخ، ٢٠٥/٤، ابن الأثير، الكامل، ٣٣٦/٣، ابن خلدون، العبر، ٢٨/٥.

(٢) الّذين أعفي عنهم: ١- جرير بن عبد الله، ٢- الأرقم، ٣- عتبة بن الأخنس، ٤- سعد بن نمران، ٥- ابن حوية، ٦- كري الخثعمي، ينظر: الطّبري، تاريخ، ٢٠٤/٤، ابن الأثير، الكامل، ٣٣٥/٣، ابن خلدون، العبر، ٢٨/٥.

(٣) ينظر: الطّبري، تاريخ، ٢٠٣/٤، ابن حبان، الثّقات، ١٧٦/٤.

(٤) ينظر: ابن الأثير، الكامل، ٢٤١/٣.

(٥) ابن سعد، الطّبقات، ٣٤٣/٦، المسعودي، مروج الذّهب، ٢٠٦/٤.

(٦) مرج العذراء، وهي قرية من قرى غوطة دمشق من إقليم حلوان، ينظر: الحموي، معجم البلدان، ١٠٣/٤.

(٧) ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ٢٤٣/٦، ابن خلدون، العبر، ٢٩/٥، ابن حجر، الإصابة في معرفة الصّحابة، ٣٠٤/١.

(٨) الأخدود: شقان في الأرض غامضان مستطيلان به فسر قوله تعالى: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾، ينظر: ابن منظور، لسان «مادة خدد»، ٥٥٧/٢.

(٩) ابن عساكر، تاريخ، ٢٢/١، ابن الأثير، الكامل، ٣٣٦/٣.

(١٠) ابن سعد، الطّبقات، ٢٤٣/٦، ابن عساكر، تاريخ، ٢٢٧/١، ابن الأثير، الكامل، ٣٣٦/٣.

(١١) ابن الأثير، الكامل، ٢٤٢/٣.

معارضيهم من العرب والموالي بقيت المعارضة كامنة في عقل وسلوك أهل الكوفة، وذلك للمتغيرات الكبيرة في نظام الحكم الّتي أحدثها معاوية بن أبي سفيان ومنها الابتعاد عن مبدأ الشّورى واستحداث نظام الوراثة في الحكم وتولية ابنه يزيد على رأس الدّولة.

عندما عرف أهل الكوفة بخبر وفاة معاوية بن أبي سفيان شككوا بخلافة يزيد بن معاوية وقالوا امتنع الحسين بن علي(عليه السلام)[١] ولا بد لنا من مبايعة الإمام الحسين في هذا الأمر فكتبوا إلى الإمام الحسين(عليه السلام): «بسم الله الرّحمن الرّحيم للحسين بن علي من سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة، سلام عليك فإنا نحمد إليك الله الّذي لا إله إلا هو بعد فالحمد لله الّذي قصم عدوك ا لجبار العنيد الّذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها فيئها وتآمر عليها بغير رضا منها ثمّ قتل خيارها واستبقى شرارها وجعل مال الله دولة منها بين جبابرتها وأغنيائها فبُعداً له كما بعدت ثمود»[٢].

وقد أجاب الإمام الحسين(عليه السلام) قائلاً: «بسم الله الرّحمن الرّحيم من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين، أمّا بعد فإنّ هانئاً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الّذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جُلكم: إنّه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الهدى والحق، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إليّ أنّه قد أجمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله»[٣]، فسار مسلم بن عقيل(عليه السلام) حتّى وصل الكوفة لأخذ البيعة إلى الإمام الحسين(عليه السلام) فبلغ ذلك النّعمان بن بشير والي الكوفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: «أمّا بعد فاتقوا الله عباد الله ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة فإنّ فيهما يهلك الرّجل وتسفك الدّماء وتغصب الأموال وقال لم أقاتل من لم يقاتلني ولا أثب على من لا يثب عليّ ولا أشتمكم ولا أتحرس بكم ولا آخذ بالقرينة[٤] ولا الظّنّة»[٥]، ثمّ نزل النّعمان بن بشير وخرج عبد الله بن مسلم[٦] وكتب إلى يزيد بن معاوية[٧] وقيل سعيد الحضرمي وعمارة بن عقبة وكان عين ليزيد بن معاوية في الكوفة يعلمانه قدوم مسلم بن عقيل داعياً إلى الحسين بن علي(عليه السلام)[٨] وكتبوا أمّا بعد فإنّ مسلم بن عقيل قدم الكوفة فبايعته الشّيعة للحسين بن علي فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث رجلاً قوياً ينفذ أمرك ويعمل مثل عملك في عدوك فإنّ النّعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو يتضعف وكذلك كتب عمرو بن سعد بن أبي وقاص بمثل ذلك[٩].

وفي أثر ذلك دعا يزيد بن معاوية سرجون مولى معاوية بن أبي سفيان ومستشاره وسأله ما رأيك فإنّ الحسين بن علي قد توجه نحو الكوفة ومسلم بن عقيل بالكوفة بايعته الشّيعة للحسين وقد بلغني عن النّعمان بن بشير أنّه كان رجلاً ضعيفاً وقوله سيئ وأطلعه على الكتب المرسلة من الكوفة وقال: «فما ترى من استعمل على الكوفة؟ فقال سرجون أرأيت معاوية لو أشار لك أكنت أخذت برأيه؟ قال: نعم فأخرج عهد عبيد الله بن زياد على الكوفة، فقال هذا رأي معاوية بن أبي سفيان ومات وقد أمر هذا الأمر»[١٠].

فكتب يزيد بن معاوية على عجل إلى عبيد الله بن زياد وهو في البصرة أن مسلم بن عقيل يجمع الجموع لشق عصا المسلمين فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي الكوفة فتطلب مسلم بن عقيل تقتله أو تنفيه[١١]، وبعد أن علم مسلم بن عقيل بقول عبيد الله بن زياد وتهديد النّاس ووعدهم بالقسوة عند وصوله الكوفة انتقل إلى بيت هاني بن عروة[١٢] وذلك حسب توجيه الإمام الحسين(عليه السلام) إليه[١٣].

(١) الدّينوري، الأخبار الطّوال، ص٢٢٩، الطّبري، تاريخ، ٢٦١/٤، مسكويه، تجارب الأمم، ٣٨/٢، ابن الأثير، الكامل، ٣٨٥/٣.

(٢) أبو مخنف، تاريخ، ٤٠٤/١، البلاذري، أنساب الأشراف، ٣٦٩/٣، ابن قتيبة، الإمامة والسّياسة، ٧٢/٢، الدّينوري، الأخبار الطّوال، ص٢٣٠، الطّبري، تاريخ، ٢٦٠/٤، ابن الأثير، الكامل، ٣٨٥/٣.

(٣) ينظر: أبو مخنف، تاريخ، ٤٠٥/١، الدّينوري، الأخبار الطّوال، ص٢٣٠، الطّبري، تاريخ، ٢٦٢/٤.

(٤) قرنة السّيف والسّنان، ابن منظور، لسان العرب، مادة «قرن»، ٩١٩/٧.

(٥) أبو مخنف، تاريخ، ٤٠٧/١، الطّبري، تاريخ، ٢٦٤/٤، مسكويه، تجارب الأمم، ٢٤١/٢، ابن أعثم، الفتوح، ٣٥/٥.

(٦) عبد الله بن مسلم الهذلي، مدني مقل ما علمت لأحد فيه غمزاً وقال أبو زرعة: لا بأس به، ينظر: الذّهبي، ميزان الاعتدال، ٢٨٧/٢.

(٧) ينظر: الطّبري، تاريخ، ٢٦٤/٤، ابن كثير، البداية والنّهاية، ١٥٤/٨.

(٨) ينظر: الدّينوري، الأخبار الطّوال، ص٢٣١، ابن الأثير، الكامل، ٣٨٧/٣.

(٩) ينظر: أبو مخنلف، تاريخ، ٤٠٨/١، الطّبري، تاريخ، ٢٦٥/٤، ابن أعثم، الفتوح، ٣٥/٥، ابن كثير، البداية والنّهاية، ١٥٥/٨.

(١٠) أبو مخنف، تاريخ، ٤٨/١، ابن قتيبة، الإمامية والسّياسة، ٨/٢، الطّبري، تاريخ ٢٦٥/٤، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٤٥/٤، ابن كثير، البداية والنّهاية ١٥٥/٨.

(١١) ينظر: الطّبري، تاريخ، ٢٦٥/٤، ابن أعثم الفتوح، ٣٦/٥، ابن الجوزي، المنتظم، ١٤٢/٣، ابن كثير، البداية والنّهاية، ١٥٥/٨.

(١٢) هاني بن عروة بن سمران بن عمرو بن فقاس بن مخدس بن حصر بن حصر بن غنم بن عون بن منبه بن غطيف بن مراد بن مذحج ابن عرب الجنوب زعماء اليمن الكبار في الكوفة أدرك النّبي وممن صاحب الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) في الجمل وصفين، ينظر: ابن سعد الطّبقات، ١٣٢/٦، اليعقوبي، تاريخ، ١٦٩/٢، ابن الأثير، الكامل ١٧١/٣، شمس الدّين، محمّد مهدي، أنصار الحسين، مطبعة دار الإسلام، ط٢، «طهران، ١٤١٤هـ/١٩٨١م»، ص١٢٥، السماوي، ظاهر أنصار الحسين، مكتبة بصير، «قم، لا. ت»، ص٨١، الزركلي، الأعلام، ٦٨/٨.

(١٣) ينظر: ابن أعثم، الفتوح، ٤٠/٥، ابن الجوزي، المنتظم، ١٤٢/٤، الذّهبي، تاريخ الإسلام، ١٧٠/٣.

كان لهاني بن عروة مكانة واحترام وتقدير عند عبيد الله بن زياد فأرسل إليه ابن عروة بعد أن غاب عنه ووردت معلومات عن أنّ مسلم بن عقيل في بيته فقال له عبيد الله يا هاني بن عروة ما هذه الأمور الّتي تربص في دورك لأمير المؤمنين دعامة المسلمين جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك وجمعت له السّلاح والرّجال في الدّور حولك وظننت أنّ ذلك يخفى عليّ، قال هاني ما فعلت[1] ومسلم بن عقيل ليس عندي قال، بلى قد فعلت فلما كثر ذلك السّجال وأبى هاني أي مجاحدته ومناكرته دعا عبيد الله بن زياد معقلاً وكان عيناً على هاني بن عروة ومسلم بن عقيل فجاء حتى وقف بين يديه فقال أتعرف هذا قال هاني: نعم، وعلم عند ذلك أنّه كان عيناً عليهم وأنّه أتاه بأخباره فسقط في خلده ساعة[2]، ثم أنّ نفسه راجعته فقال: اسمع وصدق مقالتي فوالله لا أكذبك والله الّذي لا إله غيره ما دعوته إلى منزلي ولا علمت بشيء من أمره حتى رأيته جالساً على بابي فسألني النّزول إليه فاستحييت من رده[3]، كان من أمره الّذي بلغك فإن شئت أعطيت الآن موثقاً مغلظاً وما تطمئن إليه إلا أبغيك سواءً وإن شئت أعطيتك رهينة تكون في يديك حتى أتيتك فآمرهُ أن يخرج من داري إلى حيث شاء فأخرج من عهدي وجواري له[4]، فقال عبيد الله لا والله لا تفارقني أبداً حتى تأتيني به! فقال هانئ: لا والله لا أجيبك به أبداً أجيئك بضيفي تقتله؟ قال: والله لتأتيني به، قال: والله لا أتيك به أبداً فلما كثر الكلام بينهما أشده قال هاني بن عروة: إنّ مسلم بن عقيل في دعوته للحسين هو أحق من عبيد الله والبيعة للحسين بن علي أفضل[5] وإنّي لم أدفعه حتى أموت دونه وألقى الله، فسمع عبيد الله بن زياد فقال: فأدنوه مني فأدنوه منه فقال: والله لتأتيني به أو لأضربن عنقك، قال هاني: ألا تخشى أيها الوالي أن تكثر عليك البارقة «قومه» حول دارك فقال عبيد الله والهفاه عليك! أبالبارقة تخوفني وهاني بن عروة يظن أن عشيرته سيمنعونه[6]، فقال عبيد الله أدنوه مني فأدنوه منه فأستعرض وجهه بالقضيب فلم يزل يضرب أنفه ووجهه وخده حتى كسر أنفه وسالت الدّماء على ثيابه ونشر لحم وجنتيه على لحيته حتى كسر القضيب عليه[7]، وضرب هاني بيده على قائم سيف شرطي قريب منه ومنع من ذلك فقال عبيد الله بن زياد: الآن حل لنا قتلك خذوه فألقوه في بيت من بيوت الدّار وأغلقوا عليه بابه واجعلوا عليه حرساً ففعلوا به ذلك فقام إلى عبيد الله أسماء بن خارجة[8] فقال:أمرتنا أن نجيئك بهاني حتى إذا جئناك به وأدخلناه عليك هشمت وجهه وسيلت دمه على لحيته وزعمت إنك قاتله فأمر به عبيد الله فسجنه وأما محمّد بن الأشعث فكان رأيه مع رأي عبيد الله قائلاً: قد رضينا لهاني بن عروة بما رأى الأمير لنا إنما الأمير مؤدب[9]، وبلغ الأمر عمرو بن الحجاج أن زعيمهم هاني بن عروة قد قتل فأقبل في مذحج حتّى أحاطوا بقصر الإمارة فنادى في باب القصر أنا عمرو بن الحجاج[10] وهذه فرسان مذحج ووجوهها إننا لم نخلع الطّاعة ولن نفارق جماعة وقد بلغهم أنّ صاحبهم قتل فأعظموا ذلك فقيل لعبيد الله بن زياد هذه مذحج على باب القصر[11]، فقال عبيد الله بن زياد لشريح بن الحارث الكندي قاضي الكوفة بأمر أدخل على صاحبهم فأنظر إليه ثم اخرج فأعلمهم إنّه لم يقتل وأنّك قد رأيته فدخل إليه شريح فنظر إليه قال هاني بن عروة عندما رأى شريح القاضي يا الله يا للمسلمين أهلكت عشيرتي فأين أهل الدّين وأين أهل الكوفة تقاعسوا أيُخلوّني وعدوهم وابن عدوهم والدّماء تسيل على لحيته إذ سمع الأصوات على باب القصر، فقال هاني بن عروة يا شريح إني لا أظنها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين أن دخل عليه عشر نفر تنقذوني قال شريح القاضي فخرجت ومعي حميد بن بكر الأحمري، وكان من الشّرطة ممن يقوم على رأسه[12] قال شريح: وأيم الله لولا مكانه معي لكنت أبلغت أصحابه ما أمرني به فلما خرجت يقول شريح قاضي الكوفة

(١) أبو مخنف، تاريخ ٤١٥/١، الدينوري، الأخبار الطّوال، ص٢٣٣، الطّبري، تاريخ ٣٧٣/٤.

(٢) ينظر: الدينوري، الأخبار الطّوال، ص٢٣٧، ابن أعثم، الفتوح، ٤٦/٥، ابن كثير، البداية والنّهاية، ١٥٦/٨.

(٣) ينظر: الدينوري، الأخبار الطّوال، ص٢٣٧، ابن أعثم، الفتوح، ٤٦/٥، ابن الجوزي، المنتظم، ١٤٢/٤، ابن كثير، البداية والنّهاية، ١٥٦/٨.

(٤) ينظر: أبو مخنف، تاريخ ٤١٥/١، الطّبري، تاريخ، ٢٧٣/٤.

(٥) ينظر: الذّهبي، تاريخ الإسلام، ٣٠١/٣.

(٦) ينظر: أبو مخنف، تاريخ، ٤١٦/١، الطّبري، تاريخ، ٢٧٤/٤، ابن أعثم، الفتوح، ٤٧/٥.

(٧) ينظر: أبو مخنف، تاريخ، ٤١٦/١، ابن قتيبة، الإمامة والسّياسة، ٩/٢، المسعودي، مروج الذّهب، ٢٥٢/٣، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٤٦/٤.

(٨) أسماء بن خارجة بن حصين بن حذيفة الفزاري أبو إحسان ويقال أبو محمّد ويقال أبو هند من أشراف الكوفة روى عن الإمام علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود توفي سنة،«٧٦هـ/٦٩٥م»، ينظر: ابن خياط، الطّبقات، ص٢٦٤، الذّهبي، تاريخ الإسلام، ٧٢/٢، ابن كثير، البداية والنّهاية، ٤٥/٩.

(٩) ينظر: أبو مخنف، تاريخ، ٤١٦/١، الطّبري، تاريخ، ٢٧٤/٤، ابن أعثم، الفتوح، ٤٧/٥.

(١٠) عمرو بن الحجاج الزبيدي، له صحبة واستدركه بن فتحون والله أعلم، ينظر: أبو مخنف، تاريخ، ٤١٦/١، الطّبري، تاريخ، ٢٧٤/٤، ابن حجر، الإصابة، ٥٥٢/٢.

(١١) ينظر: أبو مخنف، تاريخ، ٤١٦/١، الطّبري، تاريخ، ٢٧٤/٤، ابن أعثم، الفتوح، ٤٨/٥.

(١٢) ينظر: أبي الحديد، نهج البلاغة، ١٣٢/٤، أبو مخنف، تاريخ، ٤١٦/١، تاريخ، ٢٣٤/٤.

قلت إنّ الأمير عبيد الله بن زياد لما بلغه مكانكم ومقالتكم في صاحبكم أمرني بالدّخول عليه فأتيته فنظرت إليه فأمرني أن ألقاكم وأن أعلمكم أنّه حي وأنّ الّذي بلغكم من قتله باطلاً فقال عمرو بن الحجاج وأصحابه فأما إذ لم يقتل والحمد لله ثم انصرفوا[١].

وعندما ضرب عبيد الله بن زياد الصّحابي هاني بن عروة وحبسه خشي أن يثب النّاس عليه فخرج وصعد المنبر وقال: «أيها النّاس فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أمتكم ولا تختلفوا...»[٢]، وفي الوقت ذاته تحرك مسلم بن عقيل لإنقاذ هاني بن عروة ومعه ثمانية عشر ألفاً ووصلوا القصر حتى المساء فضاق بعبيد ذرعاً وكبر أمره[٣] أن يتمسك بباب القصر وليس معه إلا ثلاثون رجلاً من الشّرطة وعشرون رجلاً من أشراف النّاس[٤] فأمر عبيد الله بن زياد مجموعة ممن كانوا معه للسير في شوارع الكوفة يخذلون النّاس عن مسلم بن عقيل ويخوفونهم ويحذرونهم عقوبة السّلطان حتى تفرقوا عن مسلم وخذله من كان معه[٥] حتى وصل إلى دار أم ولد في الكوفة يقال لها طوعة[٦] فأدخلته في دارها وفي الصّباح الثّاني دارت معركة مع مسلم بن عقيل واستشهد[٧]، ثم أمر بهاني بن عروة فأخرج إلى السّوق فضرب عنقه وسحب في الكوفة وهو يصيح «يا آل مراد» وهو شيخها وزعيمها فضرب عنق هاني في السّوق[٨].

يتضح من سير الأحداث التّاريخية الّتي وردت، الدّور الكبير للقضاة في حسم الأحداث السّياسية من خلال موقف القاضي شريح بن الحارث الكندي في حسم ما دار بين هاني بن عروة وعبيد الله بن زياد، فضلاً عن خذلانه الحق وعدم مناصرة مسلم بن عقيل وهاني بن عروة في البيعة للإمام الحسين(عليه السلام)، وعدم توجيه أهل المسلمين في الكوفة باتجاه الحق لما له من تأثير على أهل الكوفة وهو قاضيهم، وما يتمتع به القضاء من مصداقية إلا أنّ شريحاً ابتعد عن الحق ونصر عبيد الله لأمور سياسية ومواقف مسبقة من الإمام الحسين وأبيه(عليهما السلام)، وإلا كيف يفسر موقفه وهو عارف من هو الحسين أكثر من غيره وأنّ شريحاً عمل قاضياً للإمام علي في خلافته في الكوفة، كما أنّ شريحاً الكندي على يقين أنّ الأمر لو عاد إلى الحسين بن علي، فسوف يقيم العدل ويكون نصراً كبيراً للإمام وللسيرة النّبوية الشّريفة لكنه نسي قوله تعالى: ﴿**وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ**﴾[٩]، وقول الرّسول الكريم(صلى الله عليه وآله): «إذا رأيتم أمتي تهاب الظّالم أن تقول له أنت ظالم فقد تودع منها»[١٠].

ويظهر لنا أن ركون شريح القاضي إلى الظّالمين عبيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية، بدأ بصورة واضحة عندما استنجد به هاني بن عروة وطلب منه أن يقول لعشيرة هاني الحقيقة الّتي رآها من ضرب هاني أن أنقذوا «هاني من الأمير» لأنّه عارف هاني بن عروة ومنزلته بين قبيلته وصلاحه وولائه لعلي بن أبي طالب(عليه السلام) وحبه الكبير لأهل بيت النّبي فبدلاً من أن ينصره خذله وأخفى الحقيقة على عشيرته مما أدى إلى نتائج غيرت سير الأحداث وأضعف بها قيم الإسلام العظيمة وساعد قيم القبيلة الّتي جاء بها الأمويون واعتمدوا عليها في قيام دولتهم واستثمارها وأدت إلى نتائج كان أهمها استشهاد الإمام الحسين(عليه السلام) إضافة إلى استشهاد مسلم بن عقيل سفيره لأهل الكوفة إضافة إلى استشهاد الصّحابي الجليل هاني بن عروة ونستدل على ذلك بقول ابن أبي الحديد إذ يقول: «وهذا هو أيضاً لم ينصر الحسين ابن بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله) على الطّغاة الظّالمين»[١١].

هذا هو الموقف الصّحيح الّذي يجب أن يعمل به القاضي، أمّا الجانب الآخر فنستنتج مما حدث من تطور جديد على القضاة، فبعد أن كان القاضي يقف بين يديه حتّى الوالي في حالة رفعت دعوى ضده كما عملها شريح الكندي مع الأشعث بن قيس إذ قال له قم مع خصمك قال: وما عليك أن تقضي وأنا ها هنا، قال: قم قبل أن تقام[١٢].

أما في هذه المدة الزّمنية فقد بدأ شريح الكندي أو القضاة ينقادون إلى الوالي بدليل قول شريح: أمرني عبيد الله بالدّخول فأتيته فنظرت إليه فأمرني أن ألقاهم وأعلمهم أن هانئاً حيّ وإنّ الّذي بلغكم من قتله باطل، وفي هذا يقول الإمام علي: «إن من رأى عدواناً يعمل به منكراً يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ ومن أنكر بلسانه فقد أجد وهو أفضل من صاحبه ومن أنكره بالسّيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظّالمين السّفلى فذلك الّذي أصاب سبيل الهدى ونور في قلبه باليقين»[١٣].

(١) ينظر: أبو مخنف، تاريخ، ٤١٩/١، الطّبري، تاريخ، ٢٧٥/٤.
(٢) ينظر: الطّبري، تاريخ، ٢٧٥/٤.
(٣) ينظر: المسعودي، مروج الذّهب، ٢٥٢/٣.
(٤) ينظر: الطّبري، تاريخ، ٢٨٨/٤، ابن أعثم، الفتوح، ٤٩/٥.
(٥) ينظر: الدينوري، الأخبار الطّوال، ص٢٨٨.
(٦) طوعة: امرأة من قبيلة كندة أم ولد كانت لمحمّد بن الأشعث أعتقها فتزوجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالا، ينظر: الطّبري، تاريخ، ٢٦٠/٤، ابن الأثير، الكامل، ٣٩٤/٣.
(٧) ينظر: الطّبري، تاريخ، ٢٨٨/٤، المسعودي، مروج الذّهب، ٢٥٢/٣.
(٨) ينظر: المسعودي، مروج الذّهب، ٢٥٥/٣، ابن كثير، البداية والنّهاية، ١٥٩/٨.
(٩) سورة هود الآية/١١٣.
(١٠) الهيثمي، مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد، ٥١٨/٧.
(١١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٣٢/٤.
(١٢) وكيع، أخبار القضاة، ٢١٦/٢.
(١٣) أبو مخنف، تاريخ، ٣٩٨/٢، ابن خياط، تاريخ، ص١٨١، الطّبري، تاريخ ١٦٨/٥، ابن الجوزي، المنتظم، ٣٨٣/٤.

ويبدو أنّ سلطة الوالي قد صارت سلطة القضاء، لأنّ عبيد الله بن زياد وضع حارساً على شريح بعد أن كان شريح يستغل الحرس لتنفيذ أوامره، ولعل عبيد الله أمر الشّرطي بقتله أن هو مال إلى الحق وشهد بما رأى وسمع من مقالة هاني بدليل قسم شريح بقوله «وأيم الله لولا مكانه «أي الشّرطي» معي لبلغته أصحابه ما أمرني»، وهذا تطور سلبي للنظام القضائي في الكوفة إذ أصبح القضاء غير مستقل وينفذ أمر الوالي أو الخليفة وهي أمور سياسة وإنّ القاضي لا يستطيع في ظل الحكم الأموي من الخروج عن رأي السّلطة.

ثالثاً: معركة دير الجماجم ودور قضاة الكوفة فيها «٨٢هـ/٧٠١م»:

كان عبد الرّحمن[١] بن محمّد بن الأشعث عامل الحجاج بن يوسف على سجستان وكان بينهم خلاف شديد ورؤى مختلفة إلى الحد الّذي عدّه الحجاج بن يوسف ندا له في عمله وذات يوم دخل عبد الرّحمن على الحجاج فحدث كلام شديد بين الجانبين وبعد خروج عبد الرّحمن قال الحجاج لمن كان جالساً عنده ما نظرت إلى هذا قط إلا اشتهيت أن أضرب عنقه وكان عامر الشّعبي قاضي الكوفة حاضراً وأنّ عبد الرّحمن لما خرج انتظر على الباب حتّى خرج عامر الشّعبي فقال له عبد الرّحمن هل ذكرني بعد خروجي فقال الشّعبي أعطني عهداً وثيقاً لا يسمعه منك أحد فأعطاه ذلك فأخبره[٢] هذا يعد السّبب المباشر الذي أشعل النّزاع بين الطّرفين أما الأسباب الأخرى، يقول ابن قتيبة هي قوانين الحجاج الصّارمة وممارساته القمعية ضدهم والحقد على الحجاج لظلمه أهل العراق بني جلدته وأهانتهم وسوء معاملته قواده وجنده حتّى أنهم سمّوه فرعون: وكذلك لتعصب الحجاج بن يوسف تجاه الموالي وشده تمسكه بانتمائه القبلي[٣] وهذه التّصرفات كلها منافية إلى أصل مبادئ الإسلام وخرق لها لذا اجتمع أهل الكوفة وأهل البصرة في دير الجماجم[٤] والقراء من أهل المصرين فأجمعوا جميعاً لحرب الحجاج للأسباب الواردة[٥]، وكان ذلك في شعبان من سنة «٨٣هـ/٧٠٢م»[٦].

كان مع عبد الرّحمن بن الأشعث عدد من قضاة الكوفة الّذين تولوا القضاء في هذا العصر ومنهم عامر الشّعبي وسعيد بن جبير وعبد الرّحمن بن أبي ليلى وغيرهم، انظر مبحث قضاة الكوفة[٧] ويقول اليعقوبي كان الحسن البصري قاضي البصرة مع قضاء الكوفة والقراء، وكانت حركة ابن الأشعث مناهضة للخلافة الأموية[٨].

كتب الحجاج بن يوسف إلى الخليفة عبد الملك بن مروان كتاباً فيه جيوش عبد الرّحمن بن الأشعث وكثرتها واستنجد عبد الملك بن مروان ويسأله المدد ويقول «واغوثاه واغوثاه» فأمده عبد الملك بالجيوش وكتب إليه «يا لبيكاه يا لبيكاه»[٩]، واشتد القتال بينهم فلما بلغ ذلك رؤوس قريش وأهل الشّام قبل عبد الملك بن مروان ومواليه أن كان إنما يرضى أهل العراق أن ننزع عنهم الحجاج فإن عزل الحجاج أيسر من حرب أهل العراق فإن عزل تخلص لك الطّاعة وتحقن دماءنا ودماءهم فبعث ابنه عبد الله بن عبد الملك وبعث أخاه محمّد بن مروان[١٠] فأمرهما أن يعرضا على أهل العراق عزل الحجاج بن يوسف وإن يجري عليهم بعطاياهم كما تجري على أهل الشّام ويترك الخيار لعبد الرّحمن بن محمّد أن ينزل أي بلد من العراق رغب يكون عليه والياً ما دام حياً وإن قبل أهل العراق عزل الحجاج بن يوسف يكون محمّد بن مروان أمير العراق وإن بغضوا القبول فالحجاج أمير جماعة أهل الشّام وكان هذا الأمر شديد الوقع والأوجع على قلب الحجاج مخافة أن يغلب أهل العراق فيعزل فكتب إلى عبد الملك بن مروان قائلاً: يا أمير المؤمنين والله أعطيت أهل العراق نزعاً لا يلبثوا إلا قليلاً حتّى يخالفوك ويسيروا ولا يزدهم ذلك إلا جرأة عليك اللهم ترى وتسمع بوثوب أهل العراق مع مالك الأشتر على عثمان لما سألهم ما يريدون قالوا: نزع سعيد بن العاص فلما نزعه لم يتم لهم السّنة حتّى ساروا فقتلوه أنّ الحديد بالحديد[١١] وأمّا عبد

(١) عبد الرّحمن بن محمّد بن الأشعث بن معد الكندي ابن أخت الخليفة أبو بكر أمير سجستان في خلافة عبد الملك بن مروان، «٦٥هـ/٦٨٤م»، ينظر: اليعقوبي، تاريخ ١٩٤/٢، الطّبري، تاريخ، ١٥١/٥، الذّهبي، تاريخ الإسلام، ١٢٩/٦.

(٢) ينظر: الدينوري، الأخبار الطّوال، ص٢١٧، الطّبري، تاريخ، ١٥١/٤.

(٣) ينظر: الإمامة والسّياسة.

(٤) الجماجم جمع جمجمة، وهو قدح من الخشب، ودير الجماجم، موضع ذكر في الدّيرة سمي بذلك لأنّه كان يعمل به الأقداح من الخشب والجمجمة: البر تحفر في سبخة ويجوز أن الموضع سمي بذلك وقيل هو دير بظاهر الكوفة على طريق البر يسلك إلى البصرة، ينظر: البكري، معجم ما استعجم، ١٨٨/٢، الحموي، معجم البلدان، ١٨٣/٢.

(٥) ينظر: الطّبري، تاريخ، ١٥٦/٥، ابن أعثم، الفتوح، ٩١/٧.

(٦) ينظر: الطّبري، تاريخ، ١٧٠/٥، ابن الأثير، الكامل، ٨١/٤

(٧) ينظر: أبو مخنف، تاريخ، ٤٠٩/٢، ابن خياط، تاريخ، ص١٨١، ابن أعثم، الفتوح، ٩٢/٧، الذّهبي، تاريخ الإسلام، ١٦/٤.

(٨) ينظر: تاريخ، ٢٠٠/٢، الكبيسي، حمدي فهد محمّد، الإمام الشّعبي فقيهاً، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الشّريعة جامعة بغداد، «١٤١١هـ/١٩٩٠م»، ص١٥.

(٩) ينظر: المسعودي، مروج الذّهب، ٣٣٨/٣، ابن الأثير، الكامل، ٨١/٤

(١٠) ينظر: الطّبري، تاريخ، ١٥٦/٥، ابن أعثم، الفتوح، ٩١/٧.

(١١) ينظر: الطّبري، تاريخ، ١٥٦/٥، ١٥٦/٥ ابن كثير، البداية والنّهاية، ٤٣/٩، شمس الدّين، أيام العرب، ٤٦٦.

الملك بن مروان أبى إعراض هذا على أهل العراق وخرج عبد الله بن عبد الملك وقال إنّ الخليفة أمر لكم بما ترغبون وكذلك قال: محمّد ابن مروان أنا رسول أمير المؤمنين إليكم وهو يعرض عليكم كذا وكذا فقال أهل الكوفة نرجع عشية هذه الليلة فرجعوا عند عبد الرّحمن بن الأشعث فلم يبق قائد ولا رئيس قوم إلا أتاه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «فقد أعطيتم أمراً انتهازكم إياه اليوم ولا أأمن أن يكون على ذي الرّأي غداً حسرة»[١].

يتضح لنا مما تقدم إن عبد الرّحمن قد رضي بما عرض عليه وخاطب أصحابه وحثهم على الموافقة واستغلال هذه الفرصة كي لا يفقدوها ويصيبهم بعد ذلك النّدم ويفقدون نصراً سياسياً وعسكرياً دون قتال، فأبوا ذلك، هجم النّاس من كل جانب فقالوا إنّ الله أهلكهم فأصبحوا في الضّنك والمجاعة والقلة والذّلة وعن ذوي العدد الكثير والسّعر الرّفيع لا والله لا تقبل فأعادوا خلعه ثانية فرجع عبد الله بن عبد الملك ومحمّد بن مروان إلى الحجاج فقالا شأنك بعسكرك وجندك أعمل برأيك[٢].

بدأت المعركة بين الجانبين وكان الحجاج يدني خندقه مرة ومرة أصحاب عبد الرّحمن أخرى كان اليوم الّذي أصيب فيه جبلة بن زحر[٣] قائد كتيبة القراء[٤] ثم أنّ محمّد بن الأشعث بعث إلى كميل بن زياد[٥] النّخعي وكان رجلاً ركيناً وقوراً عند الحرب له بأس وصوت في النّاس[٦]، وكانت كتيبة القراء يحملون على أهل الشام فلا يكادون يبرحون ويحملون فلا يكذبون فلما حمل عليهم أهل الشّام مرة بعد مرة نادى عبد الرّحمن بن أبي ليلى قاضي الكوفة: «يا معشر القراء إنّ القراء ليس بأحد من النّاس بأقبح منه بكم إني سمعت علياً رفع الله درجته في الصّالحين وأثابه أحسن ثواب الشّهداء والصّديقين يقول يوم لقينا أهل الشّام أيها المؤمنون أنّه من رأى عدونا يعمل به منكراً يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ ومن أنكره بلسانه فقد أجد وهو أفضل من صاحبه ومن أنكر بالسّيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظّالمين السّفلى فذلك الّذي أصاب سبيل الهدى ونور قلبه باليقين فقاتلوا هؤلاء المحلين المحدثين المبتدعين الّذين قد جهلوا الحق فلا يعرفونه وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه»[٧].

قال الشّعبي قاضي الكوفة: «يا أهل الإسلام قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من مقاتلتهم فوالله ما أعلم قوماً على بسيط الأرض أعمل بظلم ولا جور منهم في الحكم»[٨].

وذكر سعيد بن جبير: قاتلوهم ولا تأثموا من مقاتلتهم بنية ويقين وعلى آثامهم قاتلوهم على جورهم في الحكم في الدّين واستذلالهم الضّعفاء وأماتتهم الصّلاة[٩].

وأحس الحجاج بن يوسف من استرجاعهم وجزعهم وما قربه أعيننا وقال الحجاج لما جيء برأس جبلة بن زحر يا أهل الشّام أبشروا بهذا الفتح لا والله وما كانت فتنة قط فخبت حتى يقتل فيهما من عظماء أهل اليمن، استمر القتال بين الطّرفين مائة يوم[١٠] بدأت من غداة الثّلاثاء لليلة من شهر ربيع الأول من سنة «٨٣هـ/٧٠٢م»، وانهزم عبد الرّحمن بن الأشعث لأربع عشر من جماد الآخرة[١١].

ورجع الحجاج بن يوسف إلى الكوفة وأجلس مصقلة بن كرب بن رقية[١٢] إلى جانبه وكان خطيباً فقال أشتم كل امرئ بما فيه ممن كنا أحسناً إليه فأشتمه بقلة شكره ولؤم عهده ومن علمت منه عيباً فعيبه بما فيه وكن لا يبايعه أحد إلا قال له أشهد أنك كفرت فإذا قال نعم بايعه وإلا قتله[١٣].

ويقول المسعودي، لما انهزم ابن الأشعث بدير الجماجم حلف الحجاج بن يوسف إلا يؤتى بأسير إلا قتله[١٤] وأسر سعيد بن جبير فلما أتى الحجاج بسعيد بن جبير قال له: ويحك

(١) الطّبري، تاريخ، ١٥٦/٥- ١٥٧، ابن كثير، البداية والنّهاية، ٤٣/٩، شمس الدّين، أيام العرب، ص٤٦٦.

(٢) ينظر: ابن قتيبة ، الإمامية والسّياسة، ٥٢/٢٢، الطّبري، تاريخ، ١٥٧/٥، ابن الأثير، الكامل، ٨١/٤- ٨٣، شمس الدّين، أيام العرب، ص٤٦٧.

(٣) جبلة بن زحر، بن قيس الجعفي قائد من أشراف اليمن الشّجعان المقدمين في عصر مروان أثار على الحجاج وكان قائد كتيبة القراء ونادى بخلع عبد الملك بن مروان وقتل في واقعة الجماجم مع ابن الأشعث، ينظر: ابن قتيبة، المعارف، ص٤١٣، الزركلي، الإعلام، ١١٢/٢.

(٤) ينظر: الطّبري، تاريخ، ١٥٨/٥، ابن الأثير، الكامل، ٨١/٤- ٨١.

(٥) كميل بن زياد بن نهيك بن هيثم بن سعد بن مالك بن الحارث بن صهبان بن سعد بن مالك بن النخع من مذحج روى عن الإمام علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وشهد مع الإمام علي بن أبي طالب صفين وكان شريفاً مطاعاً في قومه فلما قدم الحجاج، «٨٢هـ/٧٠١م» دعا به فقتله، ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ٢١٧/٦، الذّهبي، تاريخ ١٧٦/٦، الذّهبي، ميزان الاعتدال، ٤٠٢/٣، الزركلي، الأعلام، ٢٣٤/٥.

(٦) ينظر: الطّبري، تاريخ، ١٥٨/٥، ابن الأثير، الكامل، ٨١/٤- ٨٢.

(٧) أبو مخنف، تاريخ، ٣٩٨/٢، ابن خياط، تاريخ، ١٨١.

(٨) ينظر: الطّبري، تاريخ، ١٦٥/٥، ابن الجوزي، المنتظم، ٣٨٣/٤، ابن الأثير، الكامل، ٨٥/٤، شمس الدّين، أيام العرب، ص٤٦٧.

(٩) ينظر: الطّبري، تاريخ، ١٦٤/٥، ابن كثير، البداية والنّهاية، ٤٤/٩- ٥٠.

(١٠) ينظر: أبو مخنف، تاريخ: ٤٠٢/٢.

(١١) ينظر: الطّبري، تاريخ ١٦٨/٥.

(١٢) مصقلة بن رقية بن عبد قيس أمه جرمانة وكان من أخطب النّاس في ولاية الحجاج بن يوسف وبعده ولده ينظر: ابن قتيبة، المعارف، ص٤٠٣.

(١٣) ينظر: الطّبري، تاريخ، ١٦٩/٥، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٥٣/٥.

(١٤) ينظر: مروج الذّهب، ١٦٢/٣.

يا سعيد! أما تستحي مني؟ ومدك الشّيطان في طغيانك إلا استحيت من المراقب لي ولك والحافظ علي وعليك؟ فقال: «أصلح الله الأمير وامنع به! هي بليلة وقعت وعذاب نزل والقول كما قال الأمير وكما نسبه به وأضافه إليه إلا إني أتيت رجلاً قد أزهى وطغى وليسقه الفتنة وركب الشّيطان كتفيه ونفث في صدره، فقال له الحجاج: فإنا قد عفونا عنك وسنردك إليه تارة أخرى ثم كتب كتاباً ووجهه مع سعيد بن جبير إلى عبد الرّحمن بن محمّد فلما كان سعيد ببعض الطّريق خرق الكتاب وقدم محمّد فأخبره»[1].

وبعث الحجاج بن يوسف إلى عمر الشّعبي بعد أن هرب واعتذر الشّعبي الّذي حصل قائلاً: «اعتذر إليك بغير ما يعلم الله أنّه الحق وأيم الله لا أقول في هذا المقام إلا حقاً قد والله سودنا عليك وصرخنا وجاهدنا كل الجهد فما كنا بالأقوياء ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا فإن سطوت فبذنوبنا وما جرت إليه أيدينا وإن عفوت فبحلمك وبعد الحجة»[2].

أما عبد الرّحمن بن أبي ليلى قاضي الكوفة فقتل بدير الجماجم سنة «٨٣هـ/٧٠٢م»، ومعه ابن الأشعث[3].

ونستنتج من معركة دير الجماجم ما يأتي:

إنّ الظلم الّذي مارسته الدّولة الأموية عن طريق ولاة ظلمة ينفذون سياستهم الجائرة بأن أهانوا وأذلوا قتلاً وضرباً وشتماً وحبساً وقتل من الصّحابة والأكابر جعل قضاة الكوفة يعون مسؤوليتهم الدّينية والوقوف في وجه الظّالم للحد من ظلمه وتعسفه، لا لسبب سوى أنّ أهل الكوفة قد عارضوا تصرفات الدّولة الأموية البعيدة عن جوهر الدّين الإسلامي الحقيقي، واستطاع قضاة الكوفة دعم حركة عبد الرّحمن بن الأشعث وحشد «١٣٠» ألف مقاتل نظراً لمكانتهم المرموقة بين أهل الكوفة وما يكنه أهل الكوفة من احترام للقضاة لأنّهم يمثلون الحقيقة: من جانب آخر اتضح لنا كيف تصرف الحجاج بن يوسف عندما انتصر في المعركة فقد اشترط على قضاة الكوفة أو من خرج معهم الكفر وهذا غاية في القسوة أن يكفر المسلم بسبب معارضته السّلطة مهما كان نوع المعارضة، وهذا السّلوك مناف لتعاليم السّماء والسّيرة النّبوية الشّريفة وتعامل الخلفاء الرّاشدين خصوصاً الإمام علي بن أبي طالب في تعامله مع خصومه بكل إنسانية ووفقاً لما جاء به القرآن، إذ ضمن الإسلام احترام الحقوق الشّخصية لكل فرد في المجتمع الإسلامي وتبين لنا كيف صودرت هذه الحقوق في ظل الدّولة الأموية.

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسّياسة، ٥/٢.

(٢) ينظر: ابن خياط، تاريخ، ص١٨١، ابن قتيبة، الإمامة والسّياسة، ٦٠/٢، الطّبري، تاريخ، ١٧٨/٥، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٢/٥، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٤/٣.

(٣) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٢٦/٦.

الخاتمة

بعد إكمال -بتوفيق من الله سبحانه وتعالى-، رسالتنا المعنونة القضاء، النّشأة والتّطور، دراسة تاريخية (١٧-١٣٢هـ/٦٣٨- ٧٤٩م)، توصلت إلى جملة من النّتائج يمكن إدراجها في نقاط على النّحو الآتي:

١- عرف العرب القضاء -شأنهم شأن الأمم المتحضرة الأخرى- فقد دونت لهم أحكام ومناظرات كانوا يحكمون فيها أهل الشّرف والصّدق والأمانة والرياسة والمجد والتّجربة، وقد برزت في هذا الميدان شخصيات مارست هذا الدّور من الرّجال والنّساء على حدّ سواء، وصلتنا أخبارهم بما دل وثبت أنّهم بلغوا المستوى العقلي والفكري الّذي أهّلهم لحمل الأمانة الشّرعية، وإن لم تسمح لهم ظروفهم تحقيق إلى تنظيم قضائي متخصص لفضّ المنازعات.

٢- بعد اختطاط مدينة الكوفة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، ظهر أول قاض متخصص، سلمان ابن أبي ربيعة الباهلي وظهرت تطورات نوعية في القضاء، في عهد الإمام علي(عليه السلام) بإتباعه أساليب جديدة للوصول إلى معرفة الحقيقة مثل: إتباع أسلوب المحاكمة العلنية، وقد تم التّفريق بين المتهمين، وإنّه أوّل من قضى بالقرعة لما تطلبه من المعرفة القضائية، وقد حرص الإمام علي(عليه السلام) أن لا يتولى أمراء الأمصار القضاء بأنفسهم، لأنّه أدرك أهمية فصل السّلطات، أو استقلال القضاء.

٣- بعد انتهاء الخلافة الرّاشدة انحرفت الدّولة الأموية عن ثوابت الإسلام في الحكم واستحدثت النّظام الوراثي الّذي تدخل في شؤون القضاء وجعله تابعاً للسياسة، لذلك أصبح القضاء غير قادر على تحقيق العدالة وكان هدف السّلطة شراء الذّمم وإكرام المؤيدين وإقصاء المعارضين وكان الانحياز واضحاً في القضايا الّتي تمس السّياسة، وأصبح القاضي أداة بيد السّلطة للقضاء على المعارضين دون مراعاة تحقيق العدالة، وكثيراً ما تحول الوالي قاضياً إذا لم يجد من يستجيب له من القضاة المتخصصين المشهود لهم بالنّزاهة والتّقوى، لتنفيذ أهواء السّلطة، وبلغ تدهور القضاء في الكوفة في عهد مروان بن الحكم أوجّه، على يد واليه الحجاج بن يوسف الثّقفي، عندما ثار القضاة ومعهم الفقهاء والقراء وأيدوا ثورة عبد الرّحمن بن الأشعث، لشعورهم بالظّلم والاضطهاد وعدم إحقاق الحق بين أبناء المجتمع الكوفي، فكانت مرحلة الحكم الأموي تمثل انتكاسة للقضاء، باستثناء خلافة عمر بن عبد العزيز على قصرها.

٤- تولى مهمة القضاء في الكوفة غير العرب مثل سعيد بن جبير، وهذا يعني أنّ الخلفاء الرّاشدين كانوا يسعون إلى

اختيار من هو الأفضل، بغض النّظر عن أصله ليكون قاضياً تطبيقاً لأحكام الآية الكريمة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾، غير أنّ هذه الصّورة لم تستمر في العهد الأمويّ، كما أسلفت.

٥- أمّا بشأن العلاقة بين قضاة الكوفة والخليفة أو الوالي، فإنّها شهدت تنظيماً متطوراً أسوة ببقية المؤسسات الأخرى فضلاً عن أنّ علاقة القاضي بصاحب المظالم أو صاحب الشّرطة برزت في الحالات الّتي رفض الخصوم فيها قرارات القاضي، وسرى الأمر نفسه على علاقته بالمحتسب أيضاً.

٦- على الرّغم من ظهور التّخصص القضائي في الكوفة، إلا أنّ القضاة كانت لهم إسهامات في الحياة الفكرية فضلاً عن إسهاماتهم في حروب التّحرير العربية، إذ جسدوا السّمات الشّخصية للمسلمين الأوائل الّذين كانوا رجال دين وسياسة وعلم من أبرز هؤلاء عبد الله بن مسعود، شريح الكندي، الشّعبي، عبد الله بن شبرمه.

وأخيراً آمل أن أكون قد وفقت في إنجاز هذا الجهد، بما يرضي الله سبحانه وتعالى أولاً والصّدق في عرض الحقائق التّاريخية الموضوعية خدمةً لتاريخ وتراث أمتنا الخالد، الّذي شيده رسولنا العظيم محمّد(ﷺ) وأهل بيته الطّيبين الطّاهرين، وما التّوفيق إلا بالله العلي القدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ملحق رقم «١»

القضاة في عهد الرسول(ﷺ)

اسم القاضي	تاريخ التولية	مصدر التولية	النّسب	المدينة	سنة الوفاة
الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)[١]	١٠هـ/٦٣١م	رسول الله محمّد(ﷺ)	الهاشمي	المدينة	٤٠هـ/٦٦٠م
معاذ بن جبل بن عمر بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمر بن سعيد بن علي[٢]	٩هـ/٦٣٠م	رسول الله محمّد(ﷺ)	الخزرجي	الجَنَده	٧هـ/٦٢٨م
عتاب بن أسيد أبي الفيض بن أمية بن مناف بن قصي[٣]	٨هـ/٦٢٩م	رسول الله محمّد(ﷺ)	قرشي	مكة	٢٢هـ/٦٤٢م
معقل بن يسار عبد الله بن طريف ابن لأبي كعب بن ثور بن هذمة بن لالم بن عثمان[٤]	٧هـ/٦٣٨م	رسول الله محمّد(ﷺ)	المزني	البصرة	٦٥هـ/٦٨٤م

(١) ابن سعد الطّبقات ١٣/٣، العجلي، الثّقات، ص٣٤٧، الرّازي، الجرح والتّعديل، ٢٤٨/٦، الأصفهاني، مقاتل الطّالبيين، ص٣٩٠.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخ ص٧٦، الجزري، جامع الأصول في أحاديث الرّسول، ٢٢٦/١، ابن الأثير، أسعد الغابة، ٢٤١/٥٢، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصّحابة، ١٤٠٦/٣.

(٣) ابن سعد، الطّبقات، ٥/٦، ابن خياط تاريخ ١٠٨، الرّازي، الجرح والتّعديل، ١٦/٧، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١٦٨/٦.

(٤) ابن حنبل، المسند، ٢١٠/٥، العجلي، الثّقات، ص٤٣٤، الرّازي، الجرح والتّعديل، ٣٢٦/٨، ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصّحابة، ٢٤٥/٤، الزركلي، الأعلام ٢٧١/٧.

اسم القاضي	تاريخ التولية	مصدر التولية	النّسب	المدينة	سنة الوفاة
عمر بن الخطاب[٥]	في عهد الرسول	رسول الله محمّد(ﷺ)	قرشي	المدينة	٢٣هـ/٦٤٣م
حذيفة بن اليمان جابر[٦]	٩هـ/٦٣٠م	رسول الله محمّد(ﷺ)	بني عبس حلفاء بني الأشهل	المدينة	٣٦هـ/٦٥٦م
زيد بن ثابت الضّحاك ابن زيد بن لوزان بن عمرو بن عوف بن تم بن مالك بن البخار[٧]	٨هـ/٦٢٩م	رسول الله محمّد(ﷺ)	الأنصاري	المدينة	٤٢هـ/٦٢٢م ٤٣هـ/٦٦٣م
عمرو بن حزم بن زيد لوذان الأنصاري[٨]	١٠هـ/٦٣١م	رسول الله محمّد(ﷺ)	الأنصاري	نجران اليمن	٥٣هـ/٦٧٢م
أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس[٩]	٩هـ/٦٣٠م	رسول الله محمّد(ﷺ)	مذحج	اليمن	٤٢هـ/٦٦٢م

ملحق رقم «٢»

جدول قضاة الكوفة «١٧-١٣٢هـ»

اسم القاضي	تاريخ التولية	مصدر التولية	النّسب	سنة الوفاة
عروة بن أبي الجعد[١٠]	١٧هـ/٦٣٨م	عمر بن الخطاب	-	٣٥هـ/٦٦٥م
أبو قرة فلان بن سلمة[١١]	١٧هـ/٦٣٨م	عمر بن الخطاب	الكندي	لم تذكر سنة وفاته
جبر بن القشعم ابن يزيد القشعم ابن يزيد بن الأرقم بن النّعمان بن عمرو بن وهب بن ربيعة بن معاوية[١٢]	١٧هـ/٦٣٦م	عمر بن الخطاب	الكندي	لم تذكر سنة وفاته
سلمان بن ربيعة بن زيد ابن عمر بن ثعلبة بن سهم ابن ثعلبة بن غم ابن قتيبة بن مالك بن مضر[١٣]	١٧هـ/٦٣٨م	عمر بن الخطاب	الباهلي	٢٥هـ/٦٤٥م أو ٢٩هـ/٦٤٩م

(٥) ابن خياط، الطّبقات، ص٤٨١، العجلي، الثّقات، ص٣٥٦، الرّازي، الجرح والتّعديل، ١٢٨/٦، الجزري، جامع الأصول في أحاديث الرّسول، ٤٤٩/١.

(٦) ابن سعد، طبقات، ٩٤/٦، العجلي، الثّقات، ص١١١، الرّازي، الجرح والتّعديل، ١٢٨/١، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٦٨/٣، ابن الاطلاع، أقضية الرّسول، ١٨٣/١، ابن الأثير، أسد الغابة، ٣١٦/١.

(٧) العجلي، الثّقات، ص١٧٠، الرّازي، الجرح والتّعديل، ٥١/٣، ابن حجر، الاستيعاب، ٢١٠/٢، الذّهبي، تاريخ الإسلام، ٧١٣/٢، الزركلي، الأعلام ٥٧/٣.

(٨) النّسائي، سنن ٥٧/٨، الرّازي، الجرح والتّعديل، ٢٨٨/٦، ابن الأثير، الكامل، ١٩٦/٣، الذّهبي/ تاريخ الإسلام، ٦٦٣/٢، الزركلي، الأعلام ٧٦/٥.

(٩) ابن سعد، الطّبقات، ٩٥/٦، العجلي، الثّقات، ٢٧٢/٢، الأصفهاني، الأغاني، ٥٣٨/١٠، ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرّسول، ٣٣٦/١.

(١٠) ابن سعد، طبقات، ١٠٨/٦، ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص٤٨، الخطيب البغدادي، تاريخ ١٩٣/١- ١٩٤، المزي، تهذيب الأحكام، ١١/٢٠، ابن حجر، تهذيب التّهذيب، ٥٤٣/٥، ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصّحابة، ٣١/٤، البراقي، تاريخ الكوفة، ص٢٣٤.

(١١) ابن سعد، الطّبقات، ١٩٦/٦، وكيع، أخبار القضاة، ١٨٧/٢٢، ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصّحابة، ٣١/٤.

(١٢) ابن خياط، تاريخ ص٨٨١، وكيع، أخبار القضاة، ١٨٤/٢، العسكري، الأوائل، ص٢٨٥، ابن الأثير، الكامل، ٤٨٦/٢، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصّحابة، ٢٥٩/١، مغلطاي، إكمال التّهذيب الكمال في أسماء الرّجال، ١١١/٣، الزركلي، الأعلام، ١١١/٣.

(١٣) ابن سعد، طبقات، ١٢٨/٦، الرّازي، الجرح والتّعديل، ١٨٢/٦، ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ١٠١/١، الخطيب البغدادي، تاريخ ٢٠٦/٤.

اسم القاضي	تاريخ التولية	مصدر التولية	النّسب	سنة الوفاة
شرحبيل بن غيلان بن متعب بن مالك ابن كعب[1]	١٧هـ/٦٣٨م	عمر بن الخطاب	الثّقفي	٦٠هـ/٦٧٩م
عبد الله بن مسعود بن الحارث بن نشمع بن مخزم ابن صاحلة بن تميم بن سعد بن هذيل[2]	١٨هـ/٦٣٩م	عمر بن الخطاب	حليف بني زهرة	٣٢هـ/٦٥٢م
شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن الرّائش بن الحارث بن معاوية بن ثور ابن مرتع[3]	١٨هـ/٦٣٩م	عمر بن الخطاب	الكندي	٧٩هـ/٦٩٨م أو ٨٠هـ/٦٩٩م
يزيد بن خليدة[4]	٣٥هـ/٦٥٥م	الإمام علي(عليه السلام)	السيباني	-
سعيد بن نمير الهمداني[5]	٣٥هـ/٦٥٥م	الإمام علي(عليه السلام)	الناعطي	لم تذكر سنة وفاته
عبيد السّلماني عباد بن قيس وقيل عنيد بن عمرو عبيد بن قيس بن عمرو[6]	٣٦هـ/٦٥٦م	الإمام علي(عليه السلام)	المرادي	٧٢هـ/٦٩١م
شريح بن هاني ابن يزيد بن نهيك بن دريد ابن شعبان بن ضبان[7]	في خلافة الإمام علي(عليه السلام)	الإمام علي(عليه السلام)	بني الحارث بن كعب	قتل في سجستان
مسروق بن الأجدع بن مالك ابن أمية بن عبد الله بن سليمان ابن نعمر بن الحارث[8]	٤١هـ/٦٦١م	الخليفة معاوية بن أبي سفيان	همدان	٦٣هـ/٦٨٢م
عبيد الله بن عتبة بن مسعود حليف بني زهرة بن كلاب[9]	٦٧هـ/٦٨٦م	الخليفة عبد الله بن الزّبير	العذلي	٧٣هـ/٦٩٢م
عبد الرّحمن بن أبي ليلى بن أصبحة بن الجلاح[10]	٧٥هـ/٦٩٤م	الوالي الحجاج بن يوسف الثّقفي ٧٥هـ/٦٩٤م	من بني عمرو بن عوف	٨٣هـ/٧٠٢م
أبو بردة عامر ابن أبي موسى[11]	٧٥هـ/٦٩٤م	الوالي الحجاج	مذحج	١٠٤هـ/٧٢٢م

(١) ابن حبان، الثّقات، ١٨٧/٣، ابن الأثير، أسد الغابة، ١٤١/٢.

(٢) ابن سعد، الطّبقات، ٩٣/١، ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص١٠، الخطيب البغدادي، تاريخ ١٤٧/١، ابن الجوزي، صفوة الصّفوة، ص١٠٠، ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصّحابة ٣١١/١.

(٣) ابن سعد، الطّبقات، ١٨٢/٦، ابن خياط، تاريخ، ص٨٨، وكيع، أخبار القضاة، ١٩٨/٢، ابن حبان، الثّقات، ٣٥٢/٤، ابن الجوزي، صفوة الصّفوة، ١١٠/٣.

(٤) ابن خياط، تاريخ ١٢١، وكيع، أخبار القضاة، ١١/١.

(٥) ابن سعد، الطّبقات، ١٤٥/٦، الرّازي، الجرح والتّعديل، ٦٨/٤، ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصّحابة، ٤٦٩/٢، الزّركلي، الأعلام، ٩٩/٣٠.

(٦) وكيع، أخبار القضاة، ٤٠٠/٢، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٧٥/٥٦، ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص٩٩، الخطيب البغدادي، تاريخ، ١١٧/١١-١١٨، ابن الأثير، الكامل، ٢١/٤.

(٧) ابن خياط، تاريخ، ص١٢٣، ابن تغرى بردي، النّجوم الزّاهرة، ٢٥٨/١.

(٨) ابن سعد، الطّبقات، ١٣٨/٦، ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ٣٩٨/٢، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٣٣/١٣، ابن الجوزي، صفوة الصّفوة، ١٢/٣، ابن الأثير، أسد الغابة، ٦٤/٥.

(٩) ابن سعد، الطّبقات، ١٧٤/٦، العجلي، ص٢٦٨، ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص١٠٣، ابن حجر، تهذيب التّهذيب، ٣٩٠/٤، البراقي، تاريخ الكوفة، ص٢٣٥.

(١٠) ابن سعد، الطّبقات، ١٢٢/٦، وكيع، أخبار القضاة، ٤٠٦/٢، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٢٦/٣.

(١١) وكيع أخبار القضاة، ٤٠٨/٢، ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص١٠٤، البراقي، تاريخ ٢٣٥، القمي، الكنى والألقاب، ١٥/١.

اسم القاضي	تاريخ التولية	مصدر التولية	النّسب	سنة الوفاة
سعيد بن جبير مولى لبني واليه ابن حارث من أسد خريمة[12]	٨٣هـ/٧٠٢م	الوالي الحجاج بن يوسف	مولى	٩٥هـ/٧١٣م
أبو بكر بن أبي موسى الأشعري[13]	٨٢هـ/٧٠١م	الوالي الحجاج بن يوسف	مذحج	١٠٥هـ/٧٢٣م
عامر بن شراحيل وقيل عبد الله بن شراحيل(١٤)	٩٩هـ/٧١٧م	عبد الحميد بن عبد الرّحمن بن زيد بن الخطاب	همدان	١٠٥هـ/٧٢٣م
عبد الملك بن عمير بن سويد ابن حارثة أملاص بن شنيف بن عبد شمس بن كعد[15]	٩٩هـ/٧١٧م	الخليفة عبد الملك ابن مروان	الأزدي	١٣٦هـ/٦٥٣م
القاسم بن عبد الرّحمن بن عبد الله بن مسعود[16]	٩٩هـ/٧١٧م	الخليفة عمر بن عبد العزيز	من بني زهرة	١١٦هـ/٧٣٤م
الحسين بن الحسن[17]	٩٩هـ/١١٧م	الخليفة يزيد بن عبد الملك	الكندي	لم تذكر سنة وفاته
سعيد بن عمرو ابن شوع الكوفي[18]	١٠٥هـ/٧٢٣م	الوالي خالد بن عبد الله القسري	الهمداني	١٠٣هـ/٧٢١م
عيسى بن المسيب[19]	١٠٥هـ/٧٢٣م	الوالي خالد بن عبد الله القسري	البجلي	توفي في خلافة أبي جعفر المنصور
الحكم بن عتبة ابن النعاس بن حنطب يسار[20]	١٠٥هـ/٧٢٣م	الوالي خالد بن عبد الله القسري	العجلي	١١٥هـ/٧٢٣م
عبد الله بن عوف[21]	١٠٥هـ/٧٢٣م	الوالي خالد بن عبد الله	التيمي	لم تذكر سنة وفاته
محارب بن دثار بن عكاب ابن مصعب بن علي بن وائل[22]	١٢٠هـ/٧٢٧م	الوالي خالد بن عبد الله القسري	بني ذهيل بن ثعلبة	١١٦هـ/٧٣٤م
عبد الله بن شبرامه بن طفيل بن حسان ابن المنذر بن فرار بن عمرو ابن مالك بن زيد بن كعب بن كلاب بن ذهل[23]	١٢٠هـ/٧٣٧م	الوالي يوسف بن عمر الثقفي	بني ظبة	١٤٤هـ/٧٦١م

(١٢) ابن سعد، الطّبقات، ٢٧٦/٦، ابن خياط، الطّبقات، ٢٨٠/١، ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص٨٢، الطّوسي، أخبار معرفة الرّجال، ص١٠٣.

(١٣) ابن سعد، الطّبقات، ٢٧٨/٦، وكيع، أخبار القضاة، ١٣/٢، الذّهبي، تاريخ الإسلام، ٧٢٨٦.

(١٤) القرشي، الخراج، ص٥٨، ابن حبان، مشاهير، ص١٠٢/ ابن الجوزي، صفوة الصّفوة، ٤١/٣، تهذيب الكمال في أسماء الرّجال، ٣٤/٤، الذّهبي، تذكرة الحفاظ، ٨٠/١.

(١٥) ابن سعد، الطّبقات، ٣١٣/٦، أبي العباس، مجالس ثعلب، ٢٨١/١، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٦٤/٣، اليافعي، مرآة الجنان، ٢٢٠/١، ابن حجر، العسقلاني، تهذيب التّهذيب، ص٣١٠، الخوئي، معجم رجال الحديث، ٣١/١٢.

(١٦) ابن سعد، الطّبقات، ٣٠٤/٦، البخاري، التّاريخ الكبير، ١٥٦/٤، الرّازي، الجرح والتّعديل، ١٥٠/٧، ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص١٠٦، الثّقات، ٣٣٣/٧.

(١٧) ابن سعد، الطّبقات، ٣٣٨/٦، وكيع، أخبار القضاة، ٣/٢، ابن حبان، الثّقات، ٢٠٧/٦.

(١٨) ابن سعد، الطّبقات، ٣٢١/٦، الرّازي، الجرح والتّعديل، ٤٩/٤، المزي، تهذيب الكمال، ١٥/١١.

(١٩) ابن سعد، طبقات، ٣٣٤/٦، ابن خياط، تاريخ ٢٣٤، ابن حبان، ٢٣٢/٧.

(٢٠) ابن خياط، تاريخ ٢٣٥/٥، الرّازي، الجرح والتّعديل، ١٣٩/٣، الطّوسي، رجال الكشي، ص٢٨١، اليافعي، مرآة الجنان، ص٢٥٠، ابن حجر العسقلاني، التّهذيب، ٣٩٦/٢، الحنبلي، شذرات الذّهب، ١٥١/١.

(٢١) العجلي، الثّقات، ص٢٧٠، وكيع، أخبار القضاة، ٢٢/٣.

(٢٢) ابن خياط، الطّبقات، ص١٦١، الذّهبي، تاريخ الإسلام، ٤٥٩/٧، ابن حجر، تهذيب التّهذيب، ٥٧/٨- ٥٨، الزركلي، الأعلام، ٢٨١/٥.

(٢٣) الجاحظ، البيان والتّبيين، ٩٨/١، العجلي، الثّقات، ٢٥٩، الرّازي، الجرح والتّعديل، ٩٨/٥١، ابن الأثير، الكامل، ٢٣٩/٤، البراقي، حسين، تاريخ الكوفة، ص٢٣٩.

اسم القاضي	تاريخ التولية	مصدر التولية	النّسب	سنة الوفاة
محمّد بن أبي ليلى بن بلال ابن بليل بن أحيحة بن الجلاح أحد بني الجلاح بن كلفة من بني عمرو ابن عوف[1]	١٢١هـ/٧٣٨م	الوالي يوسف بن عمر	الأوسي	١٤٨هـ/٧٦٥م
اغليان بن جامع ابن الأشعث[2]	١٢٦هـ/٧٤٥م	الوالي يوسف بن عمر	المحاربي	١٣٢هـ/٧٤٩م
الحجاج بن عاصم[3]	١٢٦هـ/٧٤٥م	الوالي يوسف بن عمر	المحاربي	لم تذكر سنة وفاته
منصور بن المعتمر[4]	١٢٩هـ/٧٤٩م	الوالي بن هبيرة		١٣٢هـ/٧٤٩م

جريدة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم:

المخطوطات

١- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، «١٨٢هـ/٧٩٨م»، أدب القاضي، في مكتبة المجمع العلمي العراقي، رقم «٢٥٧».

٢- السروجي، أبو العباس بن عبد الغني، «٧١٠هـ/١٣١٠م»، أدب القاضي، «في مكتبة الدّراسات العليا كلية الآداب/ جامعة بغداد»برقم «١٦٨١».

المصادر

١- ابن الآبار، عبد الله بن أبي بكر القضاعي، «٦٥٨هـ/١٢٥٩م»، في أعتاب الكتاب، تحقيق: صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية «دمشق، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م».

٢- الإبشيهي، شهاب الدّين محمّد بن محمّد، «٨٥٠هـ/١٤٤٦م»، المستطرف في كل فنٍ مستطرف، تحقيق عبد الله الطّباع، دار القلم، «القاهرة د. ت».

٣- ابن أبي الحديد، عز الدّين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني، «٦٥٦هـ/١٢٥٨م»، شرح نهج البلاغة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، «بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م».

٤- ابن الأثير، أبو علي بن أكرم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشّيباني، «٦٣٠هـ/١٢٣٢م».

- أسد الغابة في معرفة الصّحابة، تحقيق: عادل أحمد الرّفاعي، مطبعة التّراث، بيروت، «١٤١٦هـ/١٩٩٨م».

- الكامل في التّاريخ، تحقيق: نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي، «بيروت، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م».

(١) ابن سعد، الطّبقات، ٣٤١/٦، الرّازي، الجرح والتّعديل، ٤٣٠/٧، ابن حجر العسقلاني، تهذيب التّهذيب، ٥٣٥/٢، البراقي، تاريخ، ص٢٣٦.

(٢) ابن سعد، الطّبقات، ٣٦٨/٦، البخاري، التّاريخ الكبير، ١٣، ٤، الرّازي، الجرح والتّعديل، ٧٠/٧، البراقي، تاريخ الكوفة، ص٢٣٥.

(٣) الرّازي، الجرح والتّعديل، ١٧٦/٣٢، ابن حجر، تهذيب التّهذيب، ١٧٩، ٢٢.

(٤) ابن سعد، الطّبقات، ٣٢٨/٦، البخاري، التّاريخ الكبير، ٣٤٦/١، ابن الأثير، الكامل، ٣٢٠/٤، الذّهبي، تذكرة الحفاظ، ص١٤٣، البهيشي، المستطرف، ص٤٩، ابن حجر، تهذيب التّهذيب، ٣٢٠/٤، البراقي، تاريخ الكوفة، ص٢٣٨.

٥- الإحسائي ابن أبي جمهور «٨٨٠هـ/١٤٧٥م»، عوالي اللالي في الأحاديث الدّينية تحقيق: السّيد المرعشي ومجتبى الطّرفي، مطبعة سيد الشّهداء «قم، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م».

٦- ابن الأخوة، محمّد بن محمّد بن أحمد القرشي، «٧٢٩هـ/١٣٢٨م»، معالم القربة في أحكام الحسبة، عني بنقله وتنقيحه «وبن لوي، مطبعة الفنون كمبردج، ١٩٣٧م».

٧- ابن آدم، القرشي يحيى، «٢٠٣هـ/٨١٨م»، كتاب الخراج، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، دار المعارف للطباعة والنّشر، «بيروت، ١٩٧٩م».

٨- الأربلي، أبو الحسن علي بن أبي الفتح عيسى بن فتح، «٦٩٣هـ/١٢٩٣م»، كشف الغمة في معرفة الأئمة، مطبعة النّجف، «١٣٨٤هـ/١٦٩٦م».

٩- الأصبهاني، أبو القاسم حسن بن محمّد، الرّاغب «٥٠٢هـ/١١٠٨م»، محاضرات الأدباء محاورات الشّعراء، مطبعة العامر الشّرقية، «مصر، د. ت».

١٠- الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد، «ت ٣٤١هـ/٩٥٢م»، المسالك والممالك، تحقيق: محمّد جابر عبد العال، «القاهرة، ١٩٦١م».

١١- الأصفهاني، علي بن الحسين أبو الفرج، «٣٥٦هـ/٩٦٦م»، الأغاني، شرح هوامشه، عبد علي مهنا، دار الكتب العلمية، «بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م».

- مقاتل الطّالبيين، شرح وتحقيق، أحمد صقر المطبعة الفيضية، «طهران، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م».

١٢- الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الشّافعي، «٤٣٠هـ/١٠٣٨م»، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، «بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م».

١٣- ابن الاطلاع، أبو عبد الله فرج المالكي، «٤٩٧هـ/١١٠٣م»، أقضية الرّسول، تحقيق: محمّد ضياء الرّحمن القطي، دار الكتاب اللبناني، «بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م».

١٤- أنس بن مالك، «١٧٩هـ/٧٩٥م»، الموطأ، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، «بيروت، د. ت».

١٥- البحراني، يوسف، «١٠٨٦هـ/١٦٧٥م»، الحدائق النّاظرة في أحكام العترة الطّاهرة، محمّد تقي الأيرواني، دار الأضواء، «بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م».

١٦- البخاري، عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن برد، «٢٥٦هـ/٨٦٩م».

- صحيح البخاري، تحقيق: قاسم الشماعي، دار القلم، «بيروت، د. ت».

- التّاريخ الكبير، دائرة المعارف، «حيدر آباد، ١٣٦٠هـ».

١٧- ابن بسام، المحتسب، «القرن الثّامن» نهاية الرّتبة في طلب الحسبة، تحقيق: حسام الدّين السّامرائي، مطبعة المعارف، «بغداد، ١٩٦٨م».

١٨- البسوي، أبو يوسف يعقوب بن شعبان، «٢٧٧هـ/٨٩٠م»، المعرفة والتّاريخ، تحقيق: أكرم ضياء المعموري، مطبعة الإرشاد، «بغداد، ١٩٧٤م».

١٩- ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك البكري القرطبي البلسني، «٤٤٩هـ/١٠٥٧م»، شرح ابن بطال على صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، «بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م».

٢٠- ابن بكار، الزّبير، «٢٥٦هـ/٨٦٩م»، الأخبار الموفقيات، تحقيق: سامي مكي العاني، عالم الكتب، بيروت، «١٤١٦هـ/١٩٩٦م».

٢١- أبو بكر البصري، محمّد بن الحسن الأزدي، «٣٢١هـ/٩٣٣م»، الاشتقاق، المطبعة المحدودة، «القاهرة، ١٩٥٨م».

٢٢- البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز، «٤٨٧هـ/١٠٩٤م»، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، «١٤١٨هـ/١٩٩٨م».

٢٣- البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، «٢٧٩هـ/٨٩٢م».

- أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنّشر، بيروت، «١٤١٧هـ/١٩٩٦م».

- فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنس، مطبعة مؤسسة المعارف، بيروت «١٤٠٧هـ/١٩٨٧م».

٢٤- البلخي، أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي، «٣١٩هـ/٩٣١م»، قبول الأخبار ومعرفة الرّجال، تحقيق أبي عمرو الحسيني، دار الكتب العلمية، بيروت، «١٤٢١هـ/٢٠٠٠م».

٢٥- البهنوتي، منصور يونس بن إدريس، شرح منتهى الإرادات، عالم الكتب «بيروت، د. ت».

٢٦- البيهقي، أبو أحمد بن حسن بن علي، «ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م».

- السّنن الكبرى، دار الفكر، «بيروت، د. ت».

- المحاسن والمساوئ، باعتناء، غليوم درو غولين، «لايبزك، ١٣١٨هـ».

٢٧- الحموي، شهاب الدّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، «ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م»، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي،دار الكتب العلمية، «بيروت، د. ت».

٢٨- التّرمذي، أبو عيسى بن عيسى بن سورة، «٢٩٧هـ/٩٠٩م»، سنن التّرمذي، تحقيق: محمود محمّد نصار، دار الكتب العلمية، بيروت، «١٤٢١هـ/٢٠٠٠م».

٢٩- ابن تغري بردي، جمال الدّين أبي المحاسن يوسف بن الأتابكي، «٨٧٤هـ/١٤٦٩م»، النّجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدمه وعلق عليه: محمّد شمس الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت، «١٤١٣هـ/١٩٩٢م».

٣٠- التّنوخي، أبو علي المحسن بن علي، «٣٨٤هـ/٩٩٤م»، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، «بيروت، ١٩٧٣م».

٣١- ابن تيمية، تقي الدّين، «٧٢٨هـ/١٣٢٧م»، السّياسة الشّرعية في إصلاح الرّاعي والرّعية، المطبعة السّلفية، «القاهرة، ١٩٦٧م».

٣٢- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، «٢٥٥هـ/٨٦٨م».

- البيان والتّبيين، مكتبة الخانجي، «القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م».

- ثلاث رسائل، المطبعة السّلفية، «القاهرة، ١٣٤٤هـ».

- المحاسن والأضداد، مطبعة الجنوبي، «بيروت، د. ت».

٣٣- الجهشياري، أبو عبد الله محمّد بن عبدوس، «٣٣١هـ/٩٤٢م»، الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السّقا وآخرون، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، «١٣٥٧هـ/١٩٣٨م».

٣٤- الجرماني، عبد القاهرة بن عبد الرّحمن النّحوي، «٤٧١هـ/١٠٧٨م»، دلائل الإعجاز، علق عليه: محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، «١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م».

٣٥- الجزائري، عبد النّبي، «١٠٢١هـ/١٦١٢م»، حاوي الأقوال في معرفة الرّجال، تحقيق: مؤسسة الهدى لإحياء التّراث، «طهران، ١٤١٨هـ».

٣٦- الجزري، مجد الدّين أبو السّعادات المبارك بن محمّد الشّيباني المعروف بابن الأثير، «٦٠٦هـ/١٢٠٩م»، جامع الأصول في أحاديث الرّسول، تحقيق: أيمن صالح شيبان، دار الكتب العلمية، بيروت، «١٤١٨هـ/١٩٩٨م».

٣٧- ابن الجوزي، جمال الدّين أبو الفرج عبد الرّحمن علي بن محمّد بن علي، «٥٩٧هـ/١٢٠٠م».

- أخبار الأذكياء، تحقيق: محمّد مرسي الخولي، مكتب الشّرقي للنّشر والتّوزيع، ١٩٧٠م، «القاهرة، د. ت».

- سيرة عمر بن عبد العزيز، دار الكتب العلمية، «بيروت، ١٩٨٤م».

- صفوة الصّفوة، دار المعارف العثمانية، «حيدر آباد، ١٣٥٥هـ».

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حققه سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، «١٤١٥هـ/١٩٩٥م».

٣٨- الجوهري، محمّد بن أكبر بن عبد القادر، «٦٦٦هـ/١٢٦٧م»، مختار الصّحاح، «بيروت، د. ت».

٣٩- ابن حبان البستي أبو حاتم الحافظ محمّد بن أحمد بن حاتم التّميمي، «٣٥٤هـ/٩٦٥م».

- الثّقات، مطبعة محلى، دائرة المعارف، حيدر آباد، «١٣٩٥هـ/١٩٧٥م».

- مشاهير علماء الأمصار، تحقيق: فلا يشهمر، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة، القاهرة، «١٣٧٩هـ/١٩٥٩م».

٤٠- ابن حبيب، محمّد بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي، «٢٤٥هـ/٨٥٩م».

- المحبر، رواية أبي سعيد الحسيني السّكري، «حيدر آباد، ١٣٦١هـ/١٩٤٢م».

- المنمق في أخبار قريش، تحقيق: خورشيد أحمد، عالم الكتب، بيروت، «١٤٠٥هـ/١٩٨٥م».

٤١- ابن حجر، شهاب الدّين أحمد بن علي بن محمّد بن محمّد بن علي الكناني العسقلاني، «٨٥٢هـ/١٤٤٨م».

- الإصابة في تمييز الصّحاب وبهامشه، «٤٦٣هـ/١٠٧٠م»، الاستيعاب في أسماء الأصحاب، لابن عبد البر القرطبي، تحقيق: محمّد البجاوي، دار الكتاب العربي، «بيروت، د. ت».

- تهذيب التّهذيب، ضبطه وراجعه، صديق جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنّشر، بيروت، «١٤١٥هـ/١٩٩٥م».

- تقريب التّهذيب، تحقيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنّشر، «بيروت، د. ت».

٤٢- ابن حزم الظّاهري أبو محمّد بن الأندلسي، «٤٥٦هـ/١٠٦٤م».

- جمهرة أنساب العرب، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، «القاهرة، د. ت».

- جوامع السّير، مطبعة دار الأضواء، بيروت، «١٤٠٢هـ/١٩٩٩م».

- المحلي، «القاهرة، د. ت».

٤٣- ابن حنبل، أبو عبد الله الإمام أحمد، «٢٤١هـ/٨٥٥م»، المسند، تحقيق محمّد عبد السّلام، دار الكتب العلمية، بيروت، «١٤١٣هـ/١٩٩٣م».

٤٤- الحائري، محمّد بن جعفر المشهدي «ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م»، فضل الكوفة ومساجدها، تحقيق: محمّد سعيد الطّريحي، مطبعة دار المرتضى، «بيروت، د. ت».

٤٥- الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد، «١٨٠٩هـ/١٦٧٨م»، شذرات الذّهب في أخبار من ذهب دار المسيرة، بيروت، «١٣٩٩هـ/١٩٧٩م».

٤٦- الخصاف، برهان الأئمة، حسام الدّين عمر عبد العزيز مازن البخاري المعروف بالصّدر الشّهيد، «ت ٥٣٦هـ/١٠٦٠م»، أدب القاضي، تحقيق: محيي هلال السّرحان، مطبعة الإرشاد، بغداد، «١٣٩٧هـ/١٩٧٧م».

٤٧- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، «٤٦٣هـ/١٠٧٠م»، تاريخ بغداد، المكتبة العلمية، «بيروت، د. ت».

٤٨- ابن خلدون، عبد الرّحمن بن محمّد، «٨٠٨هـ/١٤٠٥م».

- العنبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر من عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، «١٤٢٠هـ/١٩٩٩م».

- المقدمة، قدمها: يوسف داغر، مطابع دار الكتاب اللبناني، «بيروت، ١٩٦٠م».

٤٩- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدّين أحمد بن محمّد بن محمّد بن أبي بكر، «٦٨١هـ/١٢٨٢م»، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، حققه إحسان عباس، دار صادر، «بيروت، ١٩٧٧م».

٥٠- ابن خياط خليفة العصفري، «٢٤٠هـ/٨٥٤م».

- تاريخ خليفة بن خياط تحقيق: مصطفى نجيب نؤاس وحكمة مرعشي، دار الكتب العلمية، بيروت، «١٤١٥هـ/١٩٩٥م».

- الطّبقات، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مطبعة العاني، الطّبعة الأولى، «بغداد، ١٩٦٧م».

٥١- الدار قطني، علي بن عمرو، «٣٨٥هـ/٩٩٥م»، سنن الدار قطني، عالم الكتب، «بيروت، د. ت».

٥٢- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، «٢٧٥هـ/٨٨٨م»، سنن أبي داود، تحقيق: محمّد محيي الدّين، المكتبة العصرية، «بيروت، د. ت».

٥٣- ابن أبي الدم، شهاب أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الحميد بن عبد الله المدائني، «٦٢٤هـ/١٢٢٦م»، أدب القاضي، تحقيق محيي هلال سرحان، مطبعة الرّشاد، «بغداد، ١٩٨٤م».

٥٤- الدينوري، أبو حذيفة أحمد بن داود، «٢٨٢هـ/٨٩٥م»، الأخبار الطّوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، المكتبة الحيدرية، «قم، ١٣٧٩هـ».

٥٥- الذّهبي، شمس الدّين أحمد بن محمّد بن أحمد بن عثمان، «٧٤٨هـ/١٣٤٧م».

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السّلام تدمري، دار الكتاب، «١٤٢٢هـ/٢٠٠١م».

- تذكرة الحفاظ دار إحياء التّراث العربي، «بيروت، د. ت».

- سير أعلام النّبلاء، تحقيق محمّد أسعد طليس، دار المعارف، «القاهرة، ١٩٦٢م».

- العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدّين المنجد دار المطبوعات، «الكويت، ١٩٦٠م».

- معرفة القراء الكبار على طبقات الإعصار، تحقيق: محمّد سعد جاد الحق، «لا. م ١٩٦٩م».

- ميزان الاعتدال في نقد الرّجال، تحقيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والتّوزيع، بيروت، «١٤٢٠هـ/١٩٩٩م».

٥٦- الرّازي، أبو محمّد عبد الرّحمن بن أبي حاتم محمّد بن إدريس التّميمي الحنظلي، «١٣٢٧هـ/١٩٣٨م»، الجرح والتّعديل، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، «١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م».

٥٧- الراوندي، ضياء الدّين بن أبي الرّضا بن علي الحسين، «٥٧١هـ/١١٧٥م»، النّوادر، تحقيق: رضا علي مطبعة دار الحديث، «طهران، ١٤٠٧هـ».

٥٨- ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر، «٢٩٠هـ/٩٠٢»، الأعلاق النفيسية، مطبعة برل ليدن، ١٨٩١م.

٥٩- ابن رشيق، أبو الحسن بن علي القيرواني، «٤٥٦هـ/١٠٦٤م»، العمدة في محاسن الشّعراء وأدبه ونقده، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، مطبعة السّعادة، «القاهرة، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م».

٦٠- الرّازي أحمد بن حمدان، الزّينة في الكلمات الإسلامية العربية، حققه عبد الله سلوم السّامرائي، «القاهرة، ١٩٥٨».

٦١- الرّملي، العباس أحمد بن حمزة بن شهاب الدّين «١٠٠٤هـ/١٥٩٤م»، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، مطبعة مصطفى البابي، «القاهرة، ١٩٣٨م».

٦٢- الزّبيدي، محب الدّين أبو فيض سيد محمّد المنتظم الحسيني الواسطي الحنفي، «١٢٠٥هـ/١٧٩٠م»، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي الحشري، دار الفكر للطباعة والنّشر، بيروت، «١٤١٤هـ/١٩٩٤م».

٦٣- الزمخشري، محمود بن عمر، «٥٣٨هـ/١١٤٣م»، الأمكنة والمياه والجبال، تحقيق: إبراهيم السّامرائي، مطبعة السّعدون، «بغداد، د. ت».

٦٤- الزيلعي، جمال الدّين أبي محمّد بن عبد الله بن يوسف الحنفي، «٧٦٢هـ/١٣٦٠م»، نصب الرّاية لأحاديث الهداية، مطبعة دار المأمون، الهند، «حيدر آباد، ١٣٠٧هـ/١٩٣٨م».

٦٥- الزيلعي، فخر الدّين عثمان بن علي، «٧٤٣هـ/١٣٤١م»، سنن تبيين الحقائق في شرح كنز الدّقائق، «القاهرة، ١٩٥٨م».

٦٦- السّرخسي، شمس الدّين محمّد بن محمّد بن سهل، «٤٩٠هـ/١٠٩٦م»، المبسوط دار المعارف، ط٣، «بيروت، ١٩٧٨م».

٦٧- ابن سعد، محمّد بن سعيد منيع الهاشمي البصري، «٢٣٠هـ/٨٤٤م»، الطّبقات الكبرى، تحقيق: محمّد عطا، الدّار العلمية، «بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م».

٦٨- ابن سلام، أبو عبيد القاسم، «٢٢٤هـ/٨٣٨م»، الأموال، مؤسسة ناصر، «١٩٨١م».

- طبقات الشّعراء، حققه عمر فاروق الطّباع، شركة دار الأرقم للطباعة والنّشر، «١٤١٨هـ/١٩٩٧م».

٦٩- ابن سلمة، عبد الملك، «٣٢١هـ/٩٣٣م»، شرح معاني الآثار، تحقيق محمّد زهير النّجار، دار الكتب العلمية، «بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م».

٧٠- السمرقندي، أبو نصر أحمد بن محمّد، رسوم القضاة، تحقيق: محمّد جاسم الحديثي، دار الحرية، «بغداد، ١٩٨٥م».

٧١- السمناني، أبو القاسم علي بن محمّد بن أحمد الرّجي، «٤٩٩هـ/١٠٧٥م»، روضة القضاة وطريق النّجاة، مطبعة أسعد، «بغداد، ١٩٧٠م».

٧٢- السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمّد، «ت ٥٦٢هـ/١١٧٦م»، الأنساب، تصحيح: الشّيخ عبد الرّحمن بن يحيى، مطبعة، حيدر آباد، «الدكن، ١٩٦٢».

٧٣- السيوطي، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر بن محمّد، «٩١١هـ/١٥٠٥م»، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمّد محيي الدّين، مطبعة السّعادة، مصر، «١٣٧١هـ/١٩٥٧م».

- الموطأ الإمام مالك، مصطفى البابي، «القاهرة، ١٣٦٩هـ».

- طبقات الحفاظ تحقيق علي محمّد عمر، مطبعة الاستقلال، «القاهرة، ١٩٧٣م».

- الجامع الصّغير، ط١، دار الفكر، «بيروت، ١٩٨١م».

٧٤- الشافعي، محمّد بن إدريس، «٢٠٤هـ/٨١٩م»، الأم، صادر للطباعة والنّشر، ط٢، بيروت، «١٣٩٣هـ/١٩٧٣م».

٧٥- ابن الشحنة، إبراهيم بن أبي اليمن الحنفي، «٨٨٢هـ/١٤٧٧م»، الحكام في معرفة الأحكام بهامش معين الحكام الطّرابلسي، مطبعة الميمنة، «القاهرة، ١٨٨٨م».

٧٦- الشعراني، أبو المواهب عبد الوهاب علي بن أحمد، كشف الغمة عن جميع الأمة، مطبعة مصطفى البابي، «القاهرة، ١٩٥١م».

٧٧- الشنتمري، أبو الحجاج يوسف بن سلمان بن عيسى الأعلم، «٤٧٦هـ/١٠٨٣م»، الحماسة، تحقيق: مصطفى عليان، مطبعة جامعة أم القرى، «مكة، ١٤٣٣هـ».

٧٨- الشهرستاني، أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم، «٥٤٨هـ/١١٥٣م»، الملل والنّحل، تحقيق: أحمد فهمي محمّد، دار الكتب العلمية، بيروت، «١٤١٣هـ/١٩٩٢م».

٧٩- الشّهيد الثّاني، زين الدّين الجبعي العاملي، «٩٦٦هـ/١٥٥٨م»، الرّوضة البهية في شرح اللمعة الدّمشقية، مطبعة أمير، «قم، ١٤١٠هـ».

٨٠- الشوكاني، محمّد بن علي بن محمّد، «١٢٥٠هـ/١٨٣٤م»، نيل الأوطار عن أحاديث سيد الأخطار، ط٣، مطبعة الحلبي، «مصر، ١٩٦١م».

٨١- الشيزري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشافعي، «٤٧٦هـ/١٠٨٣م»، طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، دار الرّائد العربي، «بيروت، ١٩٧٠م».

٨٢- الشيرزي، عبد الرّحمن بن نصر، «٥٨٩هـ/١١٩٣م»، نهاية الرّتبة في أحكام الحسبة، تحقيق الباز العريني، دار الثقافة، ط٢، «بيروت، ١٩٦٩م».

٨٣- الصّدوق، جعفر محمّد بن علي بن الحسين بابويه القمي، «٣٨١هـ/٩٩١م».

- الخصال، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النّشر الإسلامي، «قم، د. ت».

- علل الشّرائع، صححه وقدم له وعلق عليه: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، «١٤٠٨هـ/١٩٨٨م».

٨٤- من لا يحضره الفقيه، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة الإسلامي، «قم، ١٤٢٦هـ».

الصّفدي، صلاح الدّين خليل بن أيبك، «٧٦٤هـ/١٣٦٢م»، الوافي بالوفيات، باعتناء هلمون رير، «فزار شتايبز ١٩٦٢م».

٨٥- طاش كبري زادة، أحمد بن مصطفى، «٩٦٧هـ/١٥٥٩م»، مفتاح السّعادة ومصباح السّيادة في موضوعات العلوم دار الكتب العلمية ط٣، «بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م».

٨٦- الطّبري، أبو جعفر محمّد بن جرير، «٣١٠هـ/٩٢٢م»، تاريخ الرّسل والملوك، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، «١٠٤٩هـ/١٩٨٩م».

٨٧- الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمّد، «٣٢١هـ/٩٣٣م»، اختلاف الفقهاء، تحقيق: محمّد صغير حسن المعصومي، معهد البحوث الإسلامية، إسلام آباد، «١٤١٠هـ/١٩٨٩م».

٨٨- الطرابلسي، علاء الدّين أبو علي بن خليل، «٨٤٤هـ/١٤٤٠م»، معين الأحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام، مطبعة بولاق، «القاهرة، ١٣٠٠هـ».

٨٩- ابن الطقطقي، محمّد بن علي بن طباطبا، «٧٠٩هـ/١٣٠٩م»، الفخر في الآداب السّلطانية والدّولة الإسلامية، مطبعة أبر، «قم، ١٤١٤هـ».

٩٠- الطوسي، أبو جعفر محمّد بن الحسن، «٤٦٠هـ/١٠٦٧م».

- تهذيب الأحكام، مؤسسة الأعلمي، «بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م».

- اختيار معرفة الرّجال المعروف بـ «رجال الكشي»، تحقيق: موسوبان، وزارة الثّقافة والإرشاد الإسلامي، «طهران، ١٣٨٢هـ».

- الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، مؤسسة الأعلمي، بيروت، «١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م».

- الأمالي، تحقيق: «قسم الدّراسات الإسلامية، دار الثّقافة للطباعة والنّشر والتّوزيع رقم، ١٤١٤هـ».

٩١- ابن عابدين، محمّد أمين «١٢٥٢هـ/١٨٣٦م»، حاشية المختار على الدّار المختار، «القاهرة، ١٩٦٩م».

٩٢- أبو العباس، أحمد بن يحيى ثعلب، «٢٩١هـ/٩٠٣م»، مجالس ثعلب، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار المعارف، «القاهرة، د. ت».

٩٣- ابن عبد البر، أبو عمر بن يوسف بن عبد الله بن محمّد، «ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م».

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمّد البجاوي، مطبعة النّهضة «القاهرة، د. ت».

- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذّهن والهاجس، مطبعة دار الجيل، «القاهرة، ١٩٦٧م».

٩٤- ابن عبد الحق البغدادي، صفي الدّين عبد المؤمن، «٤٢٩هـ/١٠٣٧م»، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمّد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، «القاهرة، لا. ت».

٩٥- ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمّد، «٣٢٨هـ/٩٣٩م»، العقد الفريد، رتب فهارسه: أحمد أمين وأحمد الزّين وإبراهيم الابياري، ط٣، «القاهرة، ١٩٦٥م».

٩٦- العجلي، أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن، «٢٦١هـ/٨٧٤م»، تاريخ الثّقات، ترتيب نور الدّين علي بن أبي بكر الهيثمي، «٨٠٧هـ/١٣٠٧م»، وتضمينات ابن حجر العسقلاني، علق عليه، عبد المعطي القلنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، «١٤٠٥هـ/١٩٨٤م».

٩٧- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة بن عبد الله الشافعي، «٥٧١هـ/١١٧٥م»، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدّين أبي سعيد، دار الفكر للطباعة والنّشر، «بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م».

٩٨- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله «٣٩٥هـ/١٠٠٤م»، الأوائل، تحقيق: محمّد السّيد الوكيل، المدينة المنورة، ١٩٩٦م.

٩٩- العصامي، عبد الملك بن حسين عبد الملك، «١١١١هـ/١٦٩٩م»، سمط النّجوم العوالي في أنباء الأوائل والتّوالي، المطبعة السّلفية، «القاهرة، د. ت».

١٠٠- العيني، أبو محمود محمّد، «٨٥٥هـ/١٤٥١م»، البناية في شرح الهداية، دار الفكر، «بيروت، ١٩٨١م».

١٠١- أبو الفدا، عماد الدّين إسماعيل محمّد بن علي، «٧٣٢هـ/١٣٣١م»، تقويم البلدان، تحقيق: «بنورت والبارون، ماركوكين دي سيلان»، دار الطّباعة السّلطانية، «باريس، ١٣٤٠هـ».

١٠٢- ابن فرحون، برهان الدّين علي بن أبي القاسم المالكي المدني، «٧٩٩هـ/١٣٩٦م»، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، دار الكتاب العربي، «بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م».

١٠٣- الفيروز آبادي، محب الدّين، «٨١٧هـ/١٤١٤م»، القاموس المحيط، مؤسسة فن الطّباعة، «القاهرة، د. ت».

١٠٤- ابن قتيبة، أبو محمّد عبد الله بن مسلم الدينوري، «٢٧٦هـ/٨٨٩م»، الإمامة والسّياسة، تحقيق: علي شيري، منشورات الشّريف الرّضي، «طهران، د. ت».

- الشّعر والشّعراء حقق نصوصه وعلق حواشيه: عمر الطّباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، «١٩٩٧م».

- عيون الأخبار مطبعة دار الكتب، القاهرة، «١٣٤٣هـ/١٩٢٥م».

١٠٥- قدامة بن جعفر، «٣١٠هـ/٩٢٢م»، الخراج وصنعة الكتابة، شرح وتعليق محمّد حسين الزّبيدي، وزارة الثّقافة والإعلام، «بغداد، ١٩٨١».

١٠٦- ابن قدامة، أبو محمّد عبد الله بن أحمد بن محمّد، «٦٣٠هـ/١٢٣٢م»، المغني، تحقيق: محمّد سالم، المكتبة الجمهورية العربية، «القاهرة، د. ت».

١٠٧- القراني، أحمد بن إدريس، «٦٨٤هـ/١٢٨٥م»، الأحكام في تمييز الفتاوى عن الحكم وتصريفات القاضي والإمامة، مطبعة الأنوار «القاهرة، ١٩٨٣م».

١٠٨- القرطبي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد، «٦٧١هـ/١٢٧٢م»، الجامع لأحكام القرآن مطبعة دار الحيرة العربي، «بيروت، د. ت»، بهامش ابن حجر العسقلاني.

١٠٩- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، «٨٢١هـ/١٤١٨م».

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، «القاهرة ١٩٢٠م».

- مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد السّتار أحمد فراج «الكويت، ١٩٦٤م».

١١٠- القيسي، أبو المهلب هيثم بن سليمان، «٢٧٥هـ/٨٨٨م»، أدب القاضي والقضاء، تحقيق: فرحان الدشراوي، «تونس، ١٩٧٠م».

١١١- ابن قيم الجوزية، شمس الدّين أبو عبد الله بن أبي بكر، «٧٥١هـ/١٣٥٠م».

- أحكام أهل الذّمة، تحقيق: صبحي صالح، مطبعة جامعة دمشق، «١٣٨١هـ/١٩٦١م».

- أعلام الموقعين عن هدى رب العالمين، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، مطبعة السّعادة، «١٣٧٤هـ/١٩٥٥م».

- زاد المعاني في هدى خير العباد، مصطفى رياض الحلبي وأولاده، «القاهرة، ١٣٣٦هـ/١٩٥٠م».

- الطّرق الحكيمة في السّياسة الشّرعية، تحقيق: محمّد حامد الفقي، مطبعة السّنة المحمدية، «القاهرة، ١٩٥٣م».

١١٢- الكاساني، علاء الدّين أبو بكر مسعود الحنفي، «٥٨٧هـ/١٢٨٢م»، بدائع الصّنائع في ترتيب الشّرائع، المطبوعات العلمية، «القاهرة، ١٣٢٧هـ».

١١٣- الكاشاني، محمّد محسن الفيضي، «١٠٩١هـ/١٥٨٣م»، الشّافي في العقائد الأخلاق والأحكام «تلخيص الكتب الأربعة»، تحقيق: مهدي الأنصاري، مطبعة السّرور، إيران، «١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م».

١١٤- ابن كثير، أبو الفدا عماد الدّين إسماعيل بن عمر الحافظ الدمشقي، «٧٧٤هـ/١٣٧٢م»، البداية والنّهاية، حققه: أحمد بن ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية، «بيروت، د. ت».

١١٥- الكحلاني، محمّد بن إسماعيل، «١١٢٨هـ/١٧١٥م»، سبل السّلام شرح بلوغ المحرم من أدلة الأحكام، مطبعة المشهد الحسيني، «القاهرة، د. ت».

١١٦- الكندي، أبو عمر محمّد بن يوسف يعقوب، «ت ٣٥٠هـ/٩٦١م»، الولاة والقضاة، دار الكتب العلمية بيروت، «١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م».

١١٧- الكليني، أبو جعفر بن يعقوب بن إسحاق، «٣٥٨هـ/٩٦٨م»، الكافي مطبعة الصّدوق، «طهران، ١٣٨١هـ».

١١٨- ابن الكلبي، أبو المنذر بن هشام بن محمّد بن السّائب، «ت ٢٠٤هـ/٨١٩م»، جمهرة النّسب، تحقيق: ناجي حسن، مكتبة النّهضة العربية، «بيروت، ١٩٨٦».

١١٩- ابن ماجة، أبو عبد الله محمّد بن يزيد القزويني، «٢٧٥هـ/٨٨٨م»، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمود محمّد وحسن نصّار، دار الكتب العلمية، بيروت، «١٤١٩هـ/١٩٩٨م».

١٢٠- الماوردي، أبو الحسن بن حبيب البغدادي، «٤٥٠هـ/١٠٥٨م»، الأحكام السّلطانية والولايات الدّينية، مطبعة الإعلام الإسلامي، «طهران، ١٠٤٦هـ»، أدب القاضي، تحقيق: محمّد هلال فرحان، مطبعة الرّشاد، بغداد، «١٣٩١هـ/١٩٧١م».

١٢١- المبرد، أبو العباس محمّد بن يزيد، «٢٨٥هـ/٨٩٨م»، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار النّهضة العصرية للطباعة والنّشر، «القاهرة، د. ت».

١٢٢- محب الدّين الطّبري، الحافظ أحمد بن عبد الله «٦٩٤هـ/١٢٩٤م»، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، مراجعة جميل إبراهيم، دار القادسية، ١٩٨٩م.

١٢٣- أبو مخنف، عيسى بن سعد الغامدي الأزدي، «١٧٥هـ/٧٧٤م»، نصوص من تاريخ أبي مخنف، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، مطبعة دار المحجة، بيروت، «١٤١٩هـ/١٩٩٩م».

١٢٤- المحقق الحلي، أبو القاسم نجم جعفر بن الحسين «٦٧٦هـ/١٢٧٧م»، شرائع الإسلام في مسائل الحرام والحلال، تحقيق: عبد الحسين محمّد علي، مطبعة «الأدب، ١٩٣٦م».

١٢٥- محمّد بن فراموز، «٨٨٥هـ/١٤٨٠م»، درر الحكام في شرح غرر الأحكام، «القاهرة، ١٣٠٤هـ».

١٢٦- المزي، جمال الدّين أبو الحجاج يوسف، «٧٤٢هـ/١٣٤١م»، تهذيب الكمال في أسماء الرّجال، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرّسالة للطباعة والنّشر، بيروت، «١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م».

١٢٧- ابن المستوفي، شرف الدّين ابن بركات المبارك أحمد الخمي الأربلي، «ت ٦٣٧هـ/١٢٣٩م»، تاريخ أربل المسمى نباهة البلاد الخامل، تحقيق: سامي بن خماس الصّقار، منشورات وزارة الثّقافة والإعلام، دار الرّشيد، «بغداد، ١٩٨٠م».

١٢٨- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، «٣٤٦هـ/٩٥٧م».

- التّنبيه والإشراف، مكتبة خياط «بيروت، ١٩٦٥».

- مروج الذّهب ومعادن الجوهر، تحقيق: شارل يلا، مطبعة شريف، «طهران، ١٤٢٢هـ/١٩٨٠م».

١٢٩- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمّد الرازي، «٤٢١هـ/١٠٣٠م»، تجارب الأمم، وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم الإمامي، دار سردش للطباعة والنّشر، ط٢، «طهران، ١٣٧٩هـ».

١٣٠- مغلطاي، علاء الدّين بن عبد الله البكجري الحنفي، «٧٦٢هـ/١٣٦٠م»، إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرّجال، تحقيق: عادل محمّد وآخرون، فاروق الحديث للطباع والنّشر، القاهرة، «١٤٢٢هـ/٢٠٠١م».

١٣١- المقدسي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد، «٣٨٠هـ/٩٩٠م»، أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: دغويه، مطبعة أبريل، ط٢، «ليدن، ١٨٨٩م».

١٣٢- أبو المناقب، محمود بن أحمد الزنجاني، «٦٥٦هـ/١٢٥٨م»، تخريج الفروع على الأصول، تحقيق: محمّد أديب صالح، مؤسسة الرّسالة، «بيروت، ١٣٩٨م».

١٣٣- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمّد أمين بن مكرم، «٧١١هـ/١٣١١م»، لسان العرب، دار صادر، «بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م».

١٣٤- ابن مودود، عبد الله محمود، «٦٨٣هـ/١٢٨٤م»، الاختيار لتعليل المختار، مطبعة المصطفى البابي، «القاهرة، ١٩٥١م».

١٣٥- الميداني، أحمد بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري، «٥١٨هـ/١١٢٤م»، مجمع الأمثال، تحقيق: سعيد محمّد اللحام، دار أفكار للطباعة والنّشر بيروت، «١٤١٢هـ/٢٠٠٢م».

١٣٦- النباهي، أبو الحسن عبد الله بن عبد الله بن الحسن الأندلسي، «٧٩٦هـ/١٣٩٣م»، المرتبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا المسمى «تاريخ قضاة الأندلس»، المكتبة التّجارية للطباعة والنّشر، «بيروت، د. ت».

١٣٧- النجفي، شيخ الفقهاء وإمام المحققين محمّد حسن «١٢٦٦هـ/١٨٤٩م»، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، تحقيق: محمود القوجابي، دار الكتب الإسلامية، «طهران، د. ت».

١٣٨- النسائي، الحافظ أبو عبد الرّحمن بن شعيب، «٣٠٣هـ/٩١٥م»، سنن النسائي معه زهر الرّبا على المجتبين، للحافظ جلال الدّين السيوطي، «٨٤٩هـ/٩١١م»، مع تعليقات حاشية السندي، مطبعة البابي وأولاده، «القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م».

١٣٩- النفوسي، طاهر بن موسى الجيطالي من علماء النّصف الأول من القرن الثّامن، قناطر الخيرات، تحقيق: كردوس حسن ومحمّد عبد المسيح، دار الكتب العلمية، بيروت، «١٤٢٢هـ/٢٠٠١م».

١٤٠- النّووي، محي الدّين أبو زكريا بن مشرف الشّافعي، «٦٧٩هـ/١٢٧٧م»، شرح صحيح مسلم للإمام النّووي، راجعه: خليل الميس، دار القلم، «بيروت، د. ت».

١٤١- تهذيب الأسماء واللغات، مطبعة دار الطّباعة الأميرية، «القاهرة، د. ت».

١٤٢- النّوري، منهاج الطّالبيين وعمدة المتقين، المطبعة الميمنية، «مصر، ١٣٢٢هـ».

١٤٣- النويري، شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهاب، «٦٧٦هـ/١٢٧٧م»، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، «١٢٢٩هـ/١٩٥٥م».

١٤٤- النسيابوري، أبو عبد الله محمّد بن عبد الله، «٤٠٥هـ/١٠١٤م»، المستدرك على الصّحيحين، مع تضمينات الإمام الذّهبي، «٧٤٨هـ/١٣٤٧م»، في التّخليص والميزان، والعراقي في أماليه في فيض الغدير، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا «١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م».

١٤٥- ابن هشام، أبو محمّد بن عبد الملك المعافري، «٢١٣هـ/٨٢٨»، السّيرة النّبوية مكتبة المدينة المنورة، «القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م».

١٤٦- الهندي، علاء الدّين علي المفتي بن حسام الدّين، «٩٧٥هـ/١٥٦٧م»، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، «بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م».

١٤٧- الهيثمي، نور الدّين علي بن أبي بكر «٨٠٧هـ/١٤٠٤م»، مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: عبد الله محمّد درويش، دار الفكر للطباعة والنّشر، بيروت، «١٤١٤هـ/١٩٩٤».

١٤٨- وكيع محمّد بن خلف بن حبان، «٣٠٦هـ/٩١٨م»، أخبار القضاة مطبعة الاستقامة، «القاهرة، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م».

١٤٩- اليافعي، عبد الله بن سعد بن علي بن سلمان، «٧٦٨هـ/١٣٦٦م»، الجنان، عبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزّمان مؤسسة الأعلمي، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، «بيروت، د. ت».

١٥٠- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب، «٢٩٢هـ/٩٠٤م»، تاريخ اليعقوبي، تحقيق: خليل منصور دار الاعتصام، «قم، ١٤٢٥هـ».

١٥١- أبو يعلي، محمّد بن الحسن الفراء الحنبلي، «٤٥٨هـ/١٠٦٥م»، الأحكام السّلطانية، صححه: محمّد حامد الفقي، مكتب الإعلام الإسلامي، «طهران، ١٤٠٦هـ».

المراجع الحديثة

١- أحمد عبد المنعم، تاريخ القضاء في الإسلام، مطبعة لجنة البيان العربي، «القاهرة، ١٩٦٥م».

٢- الأشتاني، ميرزا محمّد حسن، القضاء «طهران، ١٣٢٨هـ».

٣- بدران، الشّيخ عبد القادر، «١٣٤٦هـ/١٩٢٧م»، تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر، دار المسير، «بيروت، ١٩٧٩م».

٤- الأعرجي، زهير صديق الأكبر، السّيرة الذّاتية للإمام علي بن أبي طالب، المطبعة العلمية، «قم، ١٤٢١هـ».

٥- الأفغاني، سعيد، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، «دمشق، ١٩٦٠م».

٦- الألوسي، محمود محمّد شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، باعتناء، محمّد بهجت الأثري، مكتبة محمّد الطّيب، «بغداد، ١٣٤٢هـ».

٧- الآمدي، سيف الدّين أبو الحسن علي بن محمّد، الأحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، «بيروت، ١٩٨٥هـ».

٨- أمين، أحمد، فجر الإسلام، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، «القاهرة، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م».

٩- الأنباري، عبد الرّزاق علي.

- منصب قاضي القضاة في الدّولة العباسية، الدّار العربية للموسوعات ١٩٨٧م.

- النّظام القضائي في بغداد، مطبعة النجف «١٣٩٧هـ/١٩٧٧م».

١٠- البراقي، حسين سيد أحمد «١٣٣٢هـ/١٩١٣م»، تاريخ الكوفة، حرره وأضاف إليه محمّد صادق بحر العلوم، دار الأضواء، «بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م».

١١- البهادلي، أحمد كاظم، مفتاح الوصول إلى علم الأصول، دار المؤرخ «بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م».

١٢- البهنسي، أحمد فتحي، الحدود في الإسلام، «القاهرة، د. ت».

١٣- التجكاني، محمّد حبيب، النّظرية العامة للقضاء والإثبات في الشّريعة الإسلامية مع مقارنة بالقانون الوضعي، دار الآفاق العربية، «بغداد، د. ت».

١٤- التستري، محمّد تقي، قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، المطبعة الحيدرية «النّجف ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م».

١٥- التهانوي، محمّد بن علي بن محمّد الحنفي، «ت ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م»، كشاف اصطلاحات الفنون وضع حواشيه أحمد حسن، دار الكتب العلمية، «بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م».

١٦- الجبوري، يحيى، الإسلام والشّعراء، مطبعة الإرشاد، «بغداد، ١٣٨٣هـ/١٩٩٤م».

١٧- جرجي زيدان تاريخ التّمدن الإسلامي، مطبعة الهلال، «القاهرة، ١٩٠٢م».

١٨- الجناتي، محمّد إبراهيم، المساجد وأحكامها في التّشريع الإسلامي، مطبعة القضاء، «النّجف، ١٩٩٦م».

١٩- أبو حسان، عماد الدّين إسماعيل، العقوبات في الإسلام، شركة المرتبة للطباعة والنّشر، «جدة، ١٣٩٣هـ».

٢٠- حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السّياسي والدّيني والثّقافي والاجتماعي، مكتبة النّهضة «القاهرة، ١٩٦٤م».

٢١- الحكيم، حسن عيسى، النّظم الإسلامية، محاضرات ألقيت على طلبة كلية الفقه، مطبعة دار الرّواد، «بغداد، ١٩٨٤م».

٢٢- الحكيم، محسن الطباطبائي، نهج الفقاهة، المطبعة العلمية، «النجف، ١٣٧١هـ».

٢٣- خالد، خالد محمّد، رجال حول الرّسول، دار الكتب «بيروت، ١٩٧٣م».

٢٤- الحكيم، محمّد تقي، الأصول العامة للفقه المقارن، دار الأندلس، «بيروت، ١٩٦٣م».

٢٥- آبادي، محمّد حميد الله، مجموع الوثائق في عهد النّبي والخلافة الرّاشدة، دار النّفائس، ط٤، «بيروت، ١٩٨٣م».

٢٦- الخضري، محمّد، تاريخ الأمم الإسلامية، مطبعة الاستقامة، ط٦١، «القاهرة، ١٣٧٠هـ».

- تاريخ التّشريع الإسلامي، دار إحياء الكتاب، «القاهرة، ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م».

٢٧- الخطيب، محمّد عجاج، السّنة قبل التّدوين، مطبعة أحمد مخيمر، «القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م».

٢٨- الخوئي، أبو القاسم الموسوي.

- مباني تكملة المنهاج، مطبعة الآداب «النّجف، د. ت».

- معجم رجال الحديث، وتفصيل طبقات الرّواة،«بيروت، ١٤١٤هـ».

٢٩- الدوري، عبد العزيز، النّظم الإسلامية، «بغداد، ١٩٥٠م».

٣٠- الرّفاعي، أنور، الإسلام في حضارته ونظمه، دار الفكر «بيروت، ١٩٧٣م».

٣١- الرّيس، محمّد صفاء الدّين، عبد الملك والدّولة الأموية، ط٢، «القاهرة، ١٩٦٩م».

٣٢- زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التّاريخ الإسلامي، أخرجه زكي محمّد حسن وحسن أحمد محمود جامعة فؤاد الأول، «القاهرة، ١٩٥١م».

٣٣- الزركلي، خير الدّين الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، ط١٦، «بيروت، ٢٠٠٥م».

٣٤- زيدان، عبد الكريم، نظام القضاء في الإسلام، مطبعة العاني «بغداد، ١٩٨٧م».

٣٥- سانتيلانا، دافيري، القانون والمجتمع، بحث ضمن كتاب تراث الإسلام، إشراف السّير توماس أرنولد، تقريب: جرجيس فتح الله دار الطّليعة، ط٢، «بيروت، ١٩٧٢م».

٣٦- السجستاني جعفر طبقات الفقهاء، دار الأضواء، «بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م».

٣٧- السّعدي، النّظرية العامة لجريمة السّرقة، مطبعة الزّهراء، «بغداد، ١٩٦٨م».

٣٨- السّماوي، ظاهر، أنصار الحسين، مكتبة بصيري، «قم، د. ت».

٣٩- السنهوري، عبد الرّزاق، الوسيط في شرح القانون المدني الالتزام، دار النّهضة العربية، «القاهرة، لا. ت».

٤٠- شاهين، عاطف صابر، الرّجال والنّساء حول الرّسول، دار الفدي الجديد، «١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م».

٤١- شعبان، زكي، الأحكام الشّرعية للأحوال الشّخصية، دار النّهضة العربية، «القاهرة، ١٩٦٨هـ/١٩٦٩م».

٤٢- شبلي، أحمد.

- تاريخ التّربية الإسلامية، مكتبة الانكلو «القاهرة، ١٩٦٠م».

- الحياة الإسلامية في التّفكير الإسلامي، مطبعة النّهضة «القاهرة، ١٩٦٨م».

٤٣- شمس الدّين، إبراهيم، أيام العرب في الجاهلية والإسلام، دار الكتب العلمية، «بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م».

٤٤- شمس الدّين، محمّد مهدي، أنصار الحسين، مطبعة دار الإسلام، ط٢، «طهران، ١٤٠١هـ/١٩٦١م».

٤٥- الشهرستاني علي، منع تدوين الحديث أسباب ونتائج، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، «بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م».

٤٦- شوقي، ضيف، المدارس النّحوية، دار المعارف، «القاهرة، ١٩٦٨م».

٤٧- شيخ زاده، عبد الرّحمن محمّد سلمان، مجمع الأنصر، المطبعة العثمانية، «القاهرة، ١٣٠٥هـ».

٤٨- الشيرازي، عبد الله، القضاء، مطبعة النّعمان، «النجف، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م».

٤٩- صابر القادري، ديوان الإمام علي، المكتبة العصرية، «بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م».

٥٠- الصّالح، د. صبحي، النّظم الإسلامية نشأتها وتطورها، مطبعة الأمير، «قم، ١٣٧٥هـ/١٤١٧».

٥١- الصّنعاني، محمّد بن إسماعيل، «١١٨٢هـ/١٧٦٨»، المصنف باعتناء: حبيب الرّحمن الأعظمي، «بيروت ١٩٦٠».

٥٢- الهواري، صلاح الدّين، ديوان الإمام علي، دار مكتبة الهلال، «بيروت، ٢٠٠٣م».

٥٣- الطّائي، نجاح، سيرة الإمام علي بن أبي طالب، دار الهدى لإحياء التّراث، «بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م».

٥٤- الطّباع، عمر فاروق، ديوان الإمام علي، دار الأرقم ابن الأرقم للطباعة والنّشر والتّوزيع، «بيروت، د. ت».

٥٥- العاملي، محسن أمين، قضاء الإمام علي، دار الكتب، «النّجف، د. ت».

٥٦- عالية، سمير، القضاء والعرف بالإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنّشر، «بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م».

٥٧- عباس، القمي، الكنى والألقاب، المطبعة الحيدرية، النّجف، «١٣٧٦هـ/١٩٥٦م».

٥٨- عبد الباقي محمّد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، «بيروت، ١٩٨٧م».

٥٩- عبد الواحد، فاضل، الأنموذج في أصول الفقه، مطبعة المعارف، «بغداد، ١٩٦٩م».

٦٠- عبده، محمّد، شرح نهج البلاغة، مطبعة دار الحديث، «القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م».

٦١- العجم، رفيق، موسوعة أصول الفقه عند المسلمين، مكتبة لبنان، «بيروت، ١٩٩٨م».

٦٢- العراقي، ضياء الدّين «١٣٦١هـ/١٩٤٢م»، القضاء المطبعة العلمية، «النّجف، د. ت».

٦٣- عرنوص، محمّد بن محمّد، تاريخ القضاء في الإسلام، المطبعة الحديثة «القاهرة، د. ت».

٦٤- عطية الله، أحمد، القاموس الإسلامي، القاهرة، «١٣٨٦هـ/١٩٨٦م».

٦٥- العقاد، محمود عباس، عبقرية علي، دار الهلال، «القاهرة، د. ت».

٦٦- علي محمّد كرد، الإدارة الإسلامية في عز العرب، «القاهرة، ١٩٣٤»، الإسلام والحضارة العربية، مطبعة لجنة التّأليف والنّشر، «القاهرة، ١٩٦٨م».

٦٧- أ. د. صالح أحمد العلي، الكوفة وأهلها في صدر الإسلام دراسة في أحوالها العمرانية وسكانها وتنظيمها، شركة المطبوعات للتوزيع والنّشر، «بيروت، ٢٠٠٣م».

٦٨- عليان، شوكت، قضاء المظالم في الإسلام، تقديم صلاح الدّين النّاهي، مطبعة الجامعة، جامعة بغداد، «١٩٧٢- ١٩٧٧م».

٦٩- جواد، علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، «جامعة بغداد، ١٤١٢هـ/١٩٩٣م».

٧٠- العمري، أكرم ضياء، بحوث في تاريخ السّنة الشّريفة، مطبعة الإرشاد، بغداد، «١٣٨٧هـ/١٩٦٧م».

٧١- الغديري، عبد الله عيسى، القاموس الجامع للمطبوعات الفقهية، دار المحجة البيضاء، بيروت، «١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م».

٧٢- أبو فارس، محمّد عبد القادر، القضاء في الإسلام، «عمان، ١٩٧٨م».

٧٣- فيليب حتي وآخرون، تاريخ العرب المطول، دار الكشاف للنشر والطّباعة والتّوزيع، ط٣، «بيروت، ١٩٥٨».

٧٤- القاسمي، ظافر، نظام الحكم في الشّريعة والتّاريخ، بيروت، «١٣٩٨هـ/١٩٧٨م».

٧٥- القطان، ممدوح عبد الكريم، القضاة والولاة، المطبعة التّعاونية، «١٣٨٧ عمان، هـ/١٩٦٧».

٧٦- القطان، مناخ خليل، النّظام القضائي في العهد النّبوي والخلافة الرّاشدة، بحث منشور في كتاب دقائق النّظم الإسلامية، مكتب التّربية العربي في دول الخليج، «الرّياض، ١٩٨٧م».

٧٧- كاشف الغطاء، محمّد حسين، تحرير المجلة، المطبعة الحيدرية، ١٣٥٩هـ

٧٨- كبة، عبد الحميد، التّنظيمات القضائية والحركة التّشريعية في العراق، «بغداد، ١٩٧٢م».

٧٩- الكبيسي، أحمد، أحكام السّرقة في التّاريخ الإسلامي والقانون، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٢م.

٨٠- ماهر، سعاد، مشهد الإمام علي في النّجف وما به من الهدايا والتّحف، دار المعارف، «القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٦٩م».

٨١- المودودي، عبد الأعلى، القانون الإسلامي، مطبعة الغدير للطباعة والنّشر «بغداد، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م».

٨٢- متولي، عبد الحميد، مبادئ نظام الحكم في الإسلام، منشأة المعارف «الإسكندرية، ١٩٧٤م».

٨٣- المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت، «١٤٠٣هـ/١٩٨٣م».

٨٤- محمّد رضا عبد الجبار، الوكالة في الشّريعة، مطبعة المدني، «بغداد، ١٩٧٥م».

٨٥- محمّد صادق بحر العلوم، دليل القضاء الشّرعي، أصوله وفروعه، مطبعة النّجف، «١٣٧٥هـ/١٩٥٦م».

٨٦- المحمصاني، صبحي، المجتهدون في القضاء، دار الملايين، «بيروت، ١٩٨٠م».

٨٧- مدكور، محمّد سلام، القضاء في الإسلام، دار النّهضة العربية، «القاهرة، د. ت».

- مدخل الفقه الإسلامي، «القاهرة، ١٩٦٤م».

٨٨- مشرفة، عطية مصطفى، القضاء في الإسلام، شركة الشّرق الأوسط الطّبعة الثانية، ١٩٦٠م.

٨٩- محمود مصطفى، الأدب العربي وتاريخه في العصر الإسلامي والدّولة الأموية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢، مصر، «١٣٥٦هـ/١٩٣٧م».

٩٠- المظفر، محمّد رضا، أصول الفقه محاضرات ألقيت في كلية الفقه، مطبعة النّعمان، النّجف، «١٨٨٢هـ/١٩٩٦م».

٩١- المظفر، محيي الدّين، أوزنك الفتاوى وتعرف بـ الفتاوى العالمكير، المطبعة الأميرية، «القاهرة، ١٣١٠هـ».

٩٢- معرفة، محمّد هادي، التّفسير والمفسرون في ثوبة القشيب، منشورات الجامعة الرّضوية في العلوم الإسلامية، «طهران، د. ت».

٩٣- الملا، فاضل عباس، الإمام علي ونهجه في القضاء، مطبعة الغدير، بيروت، «١٤١٩هـ/١٩٩٩م».

٩٤- مؤنس حسين، المساجد في الإسلام، عالم المعرفة، العدد «٣٧»، لسنة ١٩٨١م.

٩٥- موريس ديمومبين، النّظم الإسلامية نقله إلى العربية صالح الشّماع وفيصل السّامر، مطبعة الزّهراء، «بغداد، ١٩٥٢م».

٩٦- الموسوي محسن باقر، القضاء والنّظام القضائي عند الإمام علي، مطبعة الغدير، بيروت، «١٤١٩هـ/١٩٩٩م».

٩٧- ناجي، د. عبد الجبار، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، مطبعة الجامعة، «البصرة، ١٩٨٦م».

٩٨- نصار موسى راضي، نظام الحسبة في الإسلام بين النّظرية والتّطبيق، دار الصّدى للطباعة والنّشر، بيروت، «١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م».

٩٩- النواوي، عبد الخالق، العلاقات الدّولية والنّظم القضائية في الشّريعة الإسلامية، «بيروت، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م».

١٠٠- هيكل محمّد حسنين، الفاروق عمر، «القاهرة، ١٩٥٤م».

١٠١- وجدي محمّد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، «بيروت، ١٩٧١م».

١٠٢- اليوزبكي، توفيق سلطان، دراسات في النّظم الإسلامية، مطبعة الجامعة، الموصل، ١٩٨٨م.

- النّظم الإسلامية، مطبعة وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي، «الموصل، ١٩٥٨م».

الدّوريات

١- أمين حسين، مسجد الكوفة في التّاريخ، مجلة الكوفة تصدرها جامعة الكوفة، المجلد الخامس العدد الأول «لسنة ٢٠٠١».

٢- الأنباري عبد الرّزاق علي، المحكمة العليا في الإسلام أو النّظر في المظالم، مجلة المؤرخ العربي، العدد الرّابع والعشرون، «لسنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٩م».

٣- الحكيم حسن عيسى، تمصير الكوفة بين الأرض والإنسان، مجلة الكوفة، المجلد الخامس العدد الأول «٢٠٠١م».

٤- العبيدي عبد الجبار منسي، إدارة الأمصار ودور المثقفين فيها، المؤرخ العربي، تصدرها الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العدد السّابع عشر، ١٩٨١م.

٥- فهد بدري محمّد، تاريخ الشّهود، مجلة كلية الشّريعة العدد الثّالث لسنة ١٩٦٧م، مطبعة الحكومة بغداد.

الرّسائل الجامعية

١- باسل طه، التّنظيمات الإدارية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب جامعة الموصل ١٩٨٦م.

٢- جاسم محمد ماهر، القضاء في العصر الأموي، رسالة دكتوراه غير منشورة في التّاريخ الإسلامي مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد «١٤١٢هـ/١٩٩١م».

٣- الدّوري مزاحم مهدي إبراهيم، القاضي شريح وأدواره الفقهية، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الشّريعة جامعة بغداد، «١٤٠٩هـ/١٩٨٨م».

٤- الشويلي، عصام كاطع داود، القضاء في البصرة رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى مجلس كلية التّربية جامعة البصرة، «١٤١٩هـ/١٩٩٩م».

٥- عبد الله رمزي أبو موسى الأشعري ودوره السّياسي والعسكري في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى كلية الآداب جامعة الموصل، «١٩٨٩م».

٦- الفؤادي كمال ناصر، إدارة أقاليم الدّولة العربية الإسلامية في العصر الرّاشدي، «١١- ٤١هـ/٦٣٢- ٦٦١م»، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب جامعة الكوفة، «١٤١٩هـ/١٩٩٩م».

٧- الفـؤادي كمـال ناصـر، النّظـام القـضائي فـي العهـد الرّاشدي، رسـالة ماجـستير غيـر منـشورة، مقدمـة إلـى كليـة التّربية جامعة بغداد، «١٤١١هـ/١٩٩٠م».

٨- الكليدار حيدر محمّـد حـسن عبـاس، الإمـام الـصّادق ودوره في المعرفة التّاريخية، رسـالة دكتـوراه غيـر منـشورة مقدمة إلى كلية الآداب جامعة الكوفة، «١٤١٨هـ/١٩٩٧م».

٩- الكنعاني نغم حسن عبـد النّبـي، النّظـام القـضائي فـي البصرة، في العصر العباسي من «١٣٢- ٣٣٤هـ/٧٤٩- ٩٥٤م»، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كليـة التّربيـة جامعـة البصرة، «١٤٢١هـ/٢٠٠٠م».

١٠- المـشهداني ياسـين عبـد الله بـن مـسعود، أطروحـة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الـشّريعة جامعـة بغـداد، «١٤١٠هـ/١٩٩١م».

١١- النّجم سهام كاظم، شعر الفقهاء في العـصر الأمـوي، دراسة موضوعية فنية، رسـالة دكتـوراه غيـر منـشورة كليـة الآداب، جامعة الكوفة، «٢٠٠٠م».

١٢- الهاشمي سلمى عبد الحميـد، أخبـار القـضاة لوكيـع، رسالة ماجستير غيـر منـشورة كليـة الآداب جامعـة البـصرة، «١٤١٢هـ/١٩٩٠م».

١٣- ياسين صالح، القاضي عبـد الـرّحمن بـن أبـي ليلـى ومكانته بين فقهـاء عـصره، رسـالة ماجـستير غيـر منـشورة مقدمة إلى كلية الشّريعة «بغداد ١٩٨٨م».

المصادر الأجنبية

1- Lovis cardet, Lacite musul maneive socialeet politioue paris 1961.

2- Schocht, j, An introducation to is lamiclaw: oxford university,London: «1964».

3- Tyne, Emile, Hisoriedel. Organization Juicaire Enpaysd Islam «Leiden 1960»..

❖ ❖ ❖